دموع الكلب الأصفر

رواية.

محمد زيتون.

دموع الكلب الأصفر 1
عيد في قلب الجبل..... 5
خوف وهلع 19
الصغير يكبر 30
الشاب الصغير. 40
داخل الغابة. 49
في صحبة الأعمام..... 59
حب قرب النهر 71
سر الغزلان..... 76
رحيل الاحباب الى المجهول..... 89
عيد حزين..... 100
الدبة تظهر من جديد 114
وعد الصديق..... 127
شبح يأتي من المجهول 137
سعادة المنزل الحزين 155
صيد الارانب 165
تجهيز منزل الزوجية. 172
ظهور المحبوبة من خلف الجبل 182
صيد الغزالة 189
الفخ..... 201
النهاية..... 215

عيد في قلب الجبل.

اللون الأبيض الناصع يسيطر على المكان، الأبيض منتشر في كل الاتجاهات، الغابة الكثيفة بشجر الصنوبر الطويل مغطاة بالثلج الأبيض وكذلك الأرض كلها مكسوة بطبقة خفيفة من الثلوج، أسطح المنازل الخشبية وعددهم ثلاثة وخمسين منزل في القرية النائية في سيبيريا مغطاة بثلوج فوق أسقفها المدببة، هذه المنازل الثلاثة والخمسين يقطنها سبعة عائلات أصيلة في هذا المكان الذي لا يعرف عنه أحد أي شيء ولا هم يعرفون عن العالم أي شيء ولا يريدوا أن يعرفوا عن العالم كذلك، فعالمهم بين أيديهم ولا يحتاجون أي شيء من خارجه، يصطادون الأسماك من البحر المتجمد على أعتاب قريتهم في الشمال ويصطادون الأرانب البرية وبعض الطرائد الأخرى من الغابة في جنوب قريتهم، يصنعون ملابسهم من فراء الحيوانات التي يصطادونها ويصنعون بيوتهم من الأشجار التي تحيط بهم، هذه هي احتياجاتهم، المأوى بيت مصنوع من الأشجار في الغابة والملبس من أجود أنواع الفراء التي يختارونها من بين الطرائد في الغابة من بين أرانب برية وثعالب ونمور ودببة والطعام متاح وفير فثمرة الصنوبر تنمو تلقائيا على الأشجار الكثيفة في الغابة والحيوانات منتشرة في الغابة الشاسعة والبحر المتجمد على مد البصر يحوي تحت جليده المسطح أسماك لذيذة وبكميات وفيرة، كل ما يحتاجونه موجود بين أيديهم، فيوجد أيضا في الغابة الشاسعة جبل مرتفع متجمد ويسري منه نهر عذب في وسط الغابة ليصب النهر في البحر في شمال القرية غير أن النهر يكون متجمدا في أغلب الوقت ولكنه مصدرا ممتازا للماء العذب للقرية.

حياة أهل هذه البلدة في غاية البساطة، هادئة كهدوء أيامهم، لا صراعات ولا حروب ولا خطر مجاعة ولا شيء من هذا القبيل، الكل هنا في البلدة

يعرف الآخر وتربطهم جميعا روابط نسب، في بعض الأحيان يتناحر الشباب في مشادات كلامية حول أصل هذه البلدة ومن هي العائلة التي أتت الى هذا المكان قبل الأخرى، ويروي الشباب روايات عديدة لهذا الأمر، كل منهم يقول أن عائلته هي من جاءت الى هذا المكان أولا ولكن الرواية الثامنة أن كل العائلات جاءت في وقت واحد عندما حل موسم الجفاف في الجنوب الشرقي واحترقت الغابات هناك ورحلت العائلات السبعة الى الشمال وكان هدفهم أن يذهبوا الى أرضا لا تطالها النار أبدا، لأن في بلادهم السابقة أكلت النار كل بيوتهم وممتلكاتهم وحينما رأوا الغابات المتجمدة والبحر المتجمد عرف الجميع أن النار لن تطال هذه البقعة المتجمدة أبدا فمكثوا فيها.

هذه رواية يصدقها بعض السكان أما الرواية الأخرى أن جميع العائلات هنا منذ نشأتها ولم تكن في مكان آخر، هذا ومهما بلغ الجدل والتعصب بين الشباب في هذا الأمر فأنه لا يتعدى حديث مشحون قليلا وينتهى الحديث دائما بين الجميع بالابتسام في وجه الأخر فهم هادئون مسالمون، قلوبهم لا تحمل الكثير من الحقد والغل، بل هي قلوب بيضاء ككل شيء محيط بهم، وهذا لم يكن من فراغ، لقد تعلموا هذا مع مرور الزمن وبالتجارب فالمكان هنا على هدوئه هذا إلا أنه خطر وقاس جدا، البرد هنا قاتل وإن لم تكن ترتدي الثياب المناسب فأنت ميت وإن لم تأكل الطعام المناسب فأنت ميت وهذه البلدة إن كتب لها الاستمرار لا تكن كذلك إلا بالتعاون والتأخي، فمن يصطاد أسماك كثيرة تفيض عن حاجته يعطى جيرانه ومن عنده فراء زائدة يقدمها كهدية لمن يحتاج، فمن يعطي في هذا المجتمع يعلم تمام العلم أنه سيحتاج يوما ما الى المساعدة من الأخرين فهو لن يستطيع أن يذهب الى الصيد كل يوم ولن يستطيع على الصيد وحده فهو يعطي وهو يعرف أنه في واقع الأمر يقدم الخير لنفسه أولا فيعطي الناس عن طيب خاطر لأنه حينما يحتاج الى أي مساعدة سيجد من يساعده، هذا المجتمع متماسك متأخ يقف سويا جنبا الى جنب حتى يصمد ضد قساوة هذه البيئة.

***

في أول يوم تظهر في الشمس على هذه القرية التي لا ترى الشمس ولا تشعر بدفئها إلا لشهور معدودة يحتفل الجميع بهذا الحدث المنتظر فالشمس سطعت في السماء وأنارت المكان بوضوح وأصبح الناس الآن يميزوا الألوان بعدما سيطر اللون الأبيض على كل شيء ففي الشتاء تكون الأرض بيضاء والأفق أبيض والبحر متجمد مستوي بلون أبيض فعندما يخرج أحد أفراد القرية من بيته المغطى بالثلج فتراه كحشرة صغيرة وقعت في إناء واسع من الحليب فإن كان الفراء الذي يرتديه أبيض أيضا فلن ترى هذا الرجل أبدا في مثل هذه الخلفية البيضاء الناصعة، ولذلك حينما تظهر الشمس يكون يوم عيد في هذه البلدة التي لا يعرفها احد.

خرجت كل نساء القرية ورجالها ليهنئ بعضهم بعضا بحلول موسم الدفء وبزوغ نور الشمس التي اختفت عنهم كثيرا، فالأشجار في الغابة على حدود القرية بدأت تتضح ويظهر لونها الأخضر والسماء من فوقهم تظهر الآن واضحة بلون أزرق فاتح مبهج والدفء بدء يعم الأجواء وتسقط بعض قطرات الماء من على أسطح المنازل المتجمدة وتظهر الابتسامات والفرح الشديد على وجوه أهل القرية ويسلمون على بعضهم بعضا في سعادة وينحنون قليلا أمام بعضهم البعض ويهنؤوا كل الموجودين بحلول العيد وظهور الشمس من جديد.

بعد التهاني والمباركات العديدة بين أهل البلدة تجمع النساء والأطفال في ساحة البلدة (التي تتوسط كل البيوت في البلدة لتكون مكان التجمع فيها في كل المناسبات) وجلست النساء والفتيات الكبيرة في السن في دائرة كبيرة وكانت تجلس معهم سيدة لم تبلغ الثلاثين من العمر بل إنها في الثالثة والعشرين من عمرها، جميلة جدا فهي أجمل نساء البلدة، عينها خضراء صافية ووجهها باسم رقيق تجلس بين النساء وعلى كتفها ابنها الصغير الذي سيبلغ من العمر عامين قبل اختفاء الشمس ثانيا بشهر كانت السيدة تدعى سيانا وقد اختارت لابنها الصغير اسم أيال تيمنا باسم أبيه أيتال الذي رفض أن يكون لابنه نفس الاسم فاختارت اسم قريب جدا لاسم زوجها.

بدأ الجميع في أنشاد أناشيد الاحتفالات وسيانا تنشد معهم في سعادة وهي تمسح على رأس صغيرها أيال وتتمنى أن تراه رجلا كبيرا مثل أبيه، هذا الرجل الذي تحبه حبا شديدا فهي اختارت أن تتزوج أبيه مفضلة إياه على كل رجال البلدة فمن شدة جمالها وحسنها كان الجميع يطلب الزواج منها فهي أجمل نساء القرية جميعا ولزواجها منه قصة أخرى سيأتي ذكرها لاحقا.

أهلا بك أيها الشمس الجميلة.

غبت عنا وقتا طويلا.

ابعثنا لنا دفئا كثيرا.

واجعلي الحر يخرج الحيوانات من جحورها.

لنأكل وننعم من لحومها.

ونرتدى فرائها الكثيفة.

لتقينا برد الشتاء القارص.

لا ترحلي يا شمسنا الجميلة.

امكثي معنا أياما كثيرة.

أنشدت النساء مثل هذه الأناشيد وغيرها وتركوا الأطفال من حولهم ترقص وتلعب وترمي بالثلوج الهشة في الهواء فتتناثر في الأجواء وعلى وجوه الأطفال الصغار الممتلئة الدائرية ذات العيون الضيقة التي تضيق أكثر وهم يضحكون في مثل هذه الأوقات من العام. أما الرجال فذهبوا

لبيوتهم لجلب شباكهم حيث يذهب كل شباب ورجال البلدة لصيد الأسماك في هذا اليوم، حمل الرجال شباكهم على ظهورهم وهم مبتسمين وخرجوا قاصدين البحر المتجمد وكانوا هم أيضا ينشدون أناشيد في مرح وفرح فهذا اليوم يمثل عيدا كبيرا عندهم وكالعادة يكون قائد الصيد في هذا اليوم أكبر الرجال سنا وكان رجلا مسنا يبلغ من العمر أقصاه، لا يعرف متى ولد ولا يعرف عمره بالتحديد ولكن الجميع يعرف أنه أكبرهم سنا بشهادة أكثر مسنات البلدة فهم يشهدون أنه ولد قبل جميع الجال الأحياء في البلدة.

الرجل المسن يمشى أمام الجمع سعيدا ويغنى الأناشيد والرجال يرددون خلفه، لا تخرج الكلمات واضحة من بين أسنانه التي غاب أغلبها ولكن الجميع يحفظ تلك الأناشيد عن ظهر قلب فلا يضرهم أختفاء بعض حروف الكلمات في غناء الرجل المسن.

بعدما مشوا بعيدا توقف الرجل فجاءة وأشار بعصا يتوكأ عليها في مكان محدد على الثلج المسطح فوق سطح البحر المتجمد ثم برم عصاته برمة خفيفة فألتصق بعض الثلج بعصاته وكان مازال ينشد الأناشيد فهم بعض الشباب مسرعين يحفرون حفرة في موضع إشارته ثم رحل عنهم في حركة رشيقة ومشى في خط مستقيم وابتعد وخلفه جمع أخر من الشباب وهو ينشد أيضا وكلهم يرددوا خلفه وأشار على مكان أخر ليحفروا فيه فوضعوا الشباك في الحفرة الأولى وأخرجوها من الحفرة الثانية بعدما مكثوا بعض الوقت ينشدون الأناشيد بوجوه باسمة.

كانت الشباك ثقيلة جدا احتاجت خمسة عشر شابا ليسحبوها وظل أخرين يوسعوا الثقب الذي صنعوه حتى يخرج الصيد الثمين، اخرجوا شباكهم في أول مرة فكانت محملة بأسماك كثيرة جدا فعلى صوت المسن بالأناشيد وقفز قفزة خفيفة في الهواء وهو ينشد احتفالا بهذا الصيد مما رسم الابتسامة الواسعة على وجوه كل الحاضرين، خرجت الأسماك من تحت الثلج في الشباك وهي تحاول جاهدة أن تفلت منها متزاحمة فيما بينها ونبحت الكلاب التي تصاحب الرجال في صيدهم

وخرجت بعض الأسماك من الشباك وظلت تقفز على الثلج ولكن جاء بعض الرجال والشباب واخرجوا الأسماك من الشباك ووضعوها في أجولة منسوجة، وجمعوا الأسماك التي تقفز على الثلج، رحل الرجل العجوز وهو يتراقص في بهاء ويحسّن صوته بالغناء ليختار موضعا أخر للصيد ومشى من خلفه الرجال في بهجة وسعادة.

*****

هناك في قلب الغابة قرب الجبل الكبير كانت الحيوانات في جحورها في ثبات طويل، بيات شتوي أنهك قواها، وكان من بين هذه الحيوانات دبة بنية في مقتبل عمرها تختبئ في جحر كبير في الجبل في قلب الغابة الذي يكسوه الثلج، تمكث هناك مع صغارها ذات الفراء الناعم فهي قد ولدتهم منذ شهرين وكانوا في بادئ الأمر عمى ودون أسنان، اندهشت كثيرا حينما رأتهم لأول مرة، هذا أول حمل لها، الأمر شاق جدا على هذه الدبة الشابة فهي ترضع صغارها منذ شهرين دون أن تأكل أي شيء، لقد أنهكتها الرضاعة ولم يتبقى الكثير من الدهن في جسدها، عندما شعرت بالدفء عرفت على الفور بأن وقت الخروج من الجحر قد حل، كسرت بيدها الثلج الذي يغطى جحرها وخرجت وتبعها دياسمها في دهشة كبيرة، أشعة الشمس تجعلهم يغمضوا أعينهم التي اعتادت الظلام والثلج تحت أقدامهم زلق لا تمسك فيه حوافرهم الناعمة فواجهوا صعوبة في تماسك أنفسهم على منحدر الجبل بعكس أمهم التي تمشي في ثبات على هذا المنحدر لا يشغل بالها إلا العثور على أي نوع من أنواع الغذاء وبشكل سريع فهي ضعفت وهزل جسدها الى حد بعيد، تمشي بفروها المترهل كطفل يرتدي ملابس أبيه الواسعة. هكذا هي الأم دائما تضحى بنفسها من اجل صغارها.

كانت الدبة تتذكر طريق النهر في الغابة جيدا فمشت في اتجاهه بينما كانت صغارها تتدحرج رغما عنها على المنحدر حتى ارتطم احدهم بالأخر في نهاية المنحدر واصدروا أصوات رفيعة ناعمة فرفعت الأم رأسها ونظرت إليهم فانتبهوا جميعا ومشوا خلفها في اتجاه النهر، كان الثلج

يذوب من على شجر الصنوبر المرتفع فسقطت قطعة على دب صغير وهو يمشي خلف أمه فارتعب وقفز من مكانه كأنما كوكب كبير سقط عليه من السماء، صنع الدب الصغير جلبة خلف أمه فالتفتت إليهم وأصدرت صوتا خشنا فانتظموا جميعا خلف أمهم خائفين فهي دليلهم الوحيد في هذه الحياة منها سيتعلمون كيف يصمدون في هذا العالم القاسي فعليهم أن يكونوا دائما في حالة انتباه شديد لكل ما تعلمهم إياه لأنه سيتوجب عليهم تركها بعد أقل من عامين من الآن وعليهم تكوين أسرهم الخاصة.

وصلت الدبة ومن خلفها أولادها الى النهر ولكنه مازال متجمدا، فلا مجال لصيد الأسماك الآن، وقف الصغار على الثلج بينما خطت الأم خطوات إلى منتصف النهر المتجمد ثم توقفت وبعد هدوء لنحو دقيقة رفعت نصفها الأمامي إلى أعلى لتهوي وتدفع بيدها على الثلج محاولة أن تكسره وتصل إلى الماء حتى تتمكن من الصيد، حاولت اكثر من مرة ولكن الثلج مازال كثيفا وبعد محاولات كثيرة في أماكن عديدة لم تفلح الدبة في كسر الثلج والوصول إلى الماء ولكن الجوع يقطع أمعاءها وبعد قليل سيطلب هؤلاء الصغار أن يرضعوا فقررت أن تذهب لتبحث عن الغذاء الذي يعينها في مكان أخر حتى الغد فمن الممكن أن يذوب الثلج غدا.

*****

على العكس تماما هناك في شمال القرية كان رجال وشباب القرية قد حظوا بصيد ثمين كثير يكفي جميع من في القرية لأيام، الرجل المسن مازال ينشد أناشيده الجميلة وهم يسحبون أخر شبكة لهم في هذا اليوم الجميل فكان يقول.

أيها البحر الجميل لا تبخل علينا.

جعلك لنا الخالق لننعم بأسماكك.

طلعت الشمس وعيدنا قد هل علينا.

أشعتها تعم المكان بالدفء العزيز.

فلا تبخل علينا بصيد كثير.

اليوم نرقص ونمرح فعيدنا قل حل.

نحيا جميعا إخوة أشداء.

نحيا جميعا فما عند جاري عندي.

تحملنا الشتاء القارص وقد آن أوان الشمس.

لا تبخل أيها البحر فعيدنا عيدك.

غدا سيذهب الثلج وتتلاعب أمواجك مرحا.

ظل الرجال ينشدون وهم يجمعون أسماكهم الكثيرة ثم حملوها وتوجهوا إلى ساحة القرية في أناشيدهم الجميلة والسيدات والفتيات يجلسن في دائرة وينشدن أيضا وعندما وصل الرجال كان النساء ينشدون خلف الرجل العجوز أيضا ولما رأوا الأسماك الكثيرة وهى تصب في وسط الساحة الكبيرة ارتفع صوتهم عاليا بالأناشيد فرحة وبهجة بالصيد الكبير وفرح الأطفال وظلوا يقفزون وهم يفعلون مثل ما تفعل الأسماك التي تقفز على الثلج متزاحمة فيما بينها في أكوام عالية وسقط البعض منها وحيدا فظل يقفز حتى تناثرت بعض الأسماك في اطراف الساحة، كانت الأسماك حية تريد أن تبحث عن الماء في أي اتجاه وكان الأطفال يركضون خلفها في مرح ويجمعونها في ما يشبه السباق بينهم يتنافسون من يجمع أكثر عدد من الأسماك وكانت الكلاب تأتي بالأسماك الهاربة هي الأخرى إلى أن قذف لهم بعض الرجال كميات كبيرة من الأسماك ليأكلوها

بعيدا عن الساحة فأكلت الكلاب أسماك كثيرة وأصابتها التخمة فنامت تحت أشعة الشمس الدافئة.

استعدت النساء لشواء الأسماك، أشعلوا الكثير من النيران وبدأوا في شواء الأسماك بكميات كبيرة، أعد شباب القرية الموائد وجلس أكبر أهل القرية سنا بجوار بعضهم البعض على مائدة كبيرة وجلس باقي الرجال على موائد أخرى والأغلب لم يجد موائد ليجلس عليها وجلسوا أرضا. وكانت بعض النساء قد هممن باختيار الأسماك التي ستعد للحفظ والتمليح والتدخين لتكون طعاما في الشتاء القادم.

تم وضع الطعام أولا على المائدة الكبيرة فتذوق كبار السن الأسماك واستحسنوا مذاقها، وبعدها بدأ توزيع الطعام على الرجال والنساء وبدأ الجميع في تناول الطعام في جو جميل.

قال أحد الرجال الجالسين على المائدة الكبيرة وهو يوجه حديثه للرجل الأكبر سنا الذي قادهم اليوم في صيدهم.

- شكر لك على قيادتك لنا اليوم، لقد كان صيدا وفيرا ولعبت فيه خبرتك الكثير يا عماه، نتمنى من الخالق أن تكون بيننا العام القادم وبصحة جيدة حتى تقودنا في صيد يوم العيد أيضا.

ضحك الرجل الكبير وقال في مرح.

- لا تخشى سأكون هنا في العام القادم وسيكون الصيد وفيرا هكذا، ولعلمك سأكون أخر من يرحل عنكم من بين جميع الجلوس على هذه المائدة، فأنا قد أحببت القيادة ولن أتركها لأحد.

ضحك الجميع لهذا الحديث وتمنى الحاضرين الصحة للرجل الكبير وظل الرجال يهنئون بعضهم بعضا بحلول عيدهم.

بعد قليل بدء الرجل الكبير في الحديث ثانيا وهو يقول.

- أيها الرجال، الصيف قد حل بعد شتاء قارص وأصدقكم القول عندما كنت شابا لم أخاف الشتاء أبدا ولكن الآن أنا كهلا كبيرا وأقول لكم أن أشد أعدائي هو الشتاء وبرده وأتمنى أنني إن مت أن أموت في الصيف لا أن أموت من البرد فأنها ميتة صعبة جدا، فاحرصوا جميعا على جمع أقواتكم في هذا الفصل اصطادوا الأسماك والأرانب وما استطعم من الطعام فما تصطادوه هو ما سيبقى أسركم أحياء في الشتاء القارص واحفظوا أسماككم ولحومكم المدخنة بعيدا عن متناول ثعالب الليل فالجوع لا يرحم أحدا في الشتاء وكم منا قضوا حتفهم في هذا الفصل القارص من شدة البرد.

بعد هذه الكلمات ساد الصمت المكان ولكن علت صرخة طفل من طرف الساحة كان يركد خلف سمكة ومن بعدها صرخت امرأة وهي تقول.

- دبة دبة ..... دبة كبيرة.

كانت الدبة تجلس بجوار شجرة وقد أمسكت بيدها سمكة كبيرة وترفعها بيدها وتقضمها وحينما صرخت المرأة انتبهت الدبة ودخلت الى الساحة مندفعة وأصدرت صوتا غاضبا عاليا وحينها ركض جميع من في الساحة من نساء وهم يحملون أطفالهم وركض كذلك جميع الرجال وهم يساعدون المسنين منهم، فخلت الساحة من الجميع ونظرت الدبة لدياسمه وأشارت لهم أن يظلوا خلف الأشجار وهو ما التزموا به، ذهبت الدبة الى كومة من الأسماك في وسط الساحة وشرعت في اختيار الأسماك الكبيرة وظلت تأكل بنهم كبير والجميع يراقبها من خلف شرفات المنازل وكانت الدبة تأخذ أكبر الأسماك وتضعها تحت أسنانها وتضغط بفكيها الكبيرين فتقضم السمكة ويسيل الدم على فمها، كانت الدبة في حاجة ماسة لهذا الطعام المجاني الوفير بعدما أنهكت نفسها في إرضاع دياسمها في البيات الشتوي.

كانت سيانا تحمل ابنها أيال الصغير وتركض به في اتجاه المنزل بينما رأت زوجها أيتال يركض مسرعا الى المنزل ويخرج حاملا قطعة خشبية كبيرة يمسكها في يده ويركض نحو الساحة فقالت له زوجته سيانا.

- أرجوك لا تذهب، تعال واختبئ مثل الجميع.

لم يسمع أيتال كلام زوجته ولم يعيه، كل همه هو الذهاب لطرد تلك الدبة.

كانت سيانا تدمع وهي تناديه.

- أرجوك يا أيتال، أرجوك لا تذهب.

أندفع أيتال إلى الساحة وتراجعت زوجته ووقفت بعيدا وهي تشاهد زوجها وهو يقف في الساحة يحمل القطعة الخشبية على بعد عشرة خطوات من الدبة، كانت الدبة حينها تنظر في اتجاه صغارها وتصيح فيهم أن يظلوا خلف الأشجار وفي يدها الأسماك تقضمها على مهل وهي جالسة على كومة الأسماك.

ضرب أيتال بالخشبة على الأرض ضربة قوية فتناثرت قطعة من الثلج وبعض الماء من تحت الثلج وحينها انتبهت الدبة لوجوده ولكنها لم تهتم كثيرا فعاودت النظر للأسماك التي في يدها وقضمت الأكبر منها غير مبالية بوجود هذا الأنسان الذي أمامها، أكلت الدبة سمكة كاملة وهو يشاهدها وهى لا تنظر إليه، ولكنه خطى خطوة إلى الأمام وزوجته تشاهده ودموعها على خديها وابنها على كتفها، انتبهت الدبة لخطوة الرجل فوقفت على قدميها ورفعت نفسها لتقف مرتفعة في غضب ثم أصدرت صوتا عاليا جدا جعلت جميع من في القرية يغلقوا شرفاتهم من الخوف، ولكن أيتال لم يتحرك من مكانه ولم يهتز، الشيء الوحيد الذي تحرك في هذا المشهد بل كاد أن ينخلع من موضعه هو قلب زوجته سيانا التي تبكي بحرقة.

كان أيتال يقف بجوار المائدة الكبيرة التي كان يجلس عليها من قبل الرجال الكبار في السن والدبة تنظر له بغضب شديد عسى أن يمشي ويتركها تنعم بوجبة كبيرة ولكنه لم يرحل بل تقدم خطوة أخرى إلى الأمام مما أغضب الدبة كثيرا فقهقهت بصوت عال غاضب وهي تقف على قدميها ثم اعتدلت على أربع أطرافها واندفعت بكل قوتها تجاه الرجل الذي يعكر صفوها وزوجته المسكينة تقف تشاهد هذه الدبة الكبيرة التي تزن مثل سبعة رجال وهى تندفع الى زوجها المتهور والد ابنها الوحيد وقلبها يكاد أن ينفجر خوفا على زوجها المتهور وما سيحدث له على يد هذه الدبة الغاضبة ولم تستطيع أن تشاهد مشهد زوجها والدبة تدهسه وتهشمه فعندما اقتربت الدبة منه أغمضت عينها وضمت ابنها الى صدرها بشدة واستدارت حتى لا ترى شيئا، سمعت صوت تألم شديد، صوت أنين عال، أصاب الدوار رأسها، اختل توازنها ولكنها شعرت بحركة قدم ابنها على صدرها فتماسكت حتى لا تسقط ويصاب ابنها المسكين، وإذا بصوت الأنين يتحرك ويبتعد فركزت فيه فلم يكن صوت أنين بشر بل كان صوت الدبة، نظرت الى زوجها وجدته يقف فوق المائدة التي في الساحة ويمسك بعصاه أما الدبة فكانت تمشى في تألم وحسرة مبتعدة عن الساحة إلى داخل الغابة خطواتها غير متزنة.

لم تنتظر سيانا اختفاء الدبة وركضت إلى زوجها وهي تحمل ابنها وكانت الدموع تنهمر على خديها، لما رآها زوجها أشار إليها أن تتمهل ومشى في اتجاهها بأعصاب باردة ولكنها لم تتمهل أكملت ركضها إليه وارتمت على صدره وظلت تبكي، كانت تتخيل أن ترى زوجها وحبيبها مقتول على يد تلك الدبة الكبيرة، كانت تعتقد أنها لن تراه ثانيا إلا جثة هامدة مهشمة الرأس ملقاة على الجليد والدم يسيل منه، ظلت تبكي وهي تقول له.

- لماذا تفعل بي هكذا، كانت تبكي بشدة وأنفاسها تتقطع..... كاد قلبي أن يتوقف، أرجوك لا تفعل هذا ثانيا، ألا تعلم أننا نحتاجك، ألا تعلم أن لك طفل الآن يحتاج الى أبيه، من يعولنا من بعدك.

كانت تقول هذه الكلمات وهي تنظر له في عينيه تارة وتضع رأسها على صدره تارة أخرى وبدأ الناس يخرجون من بيتوهم في حذر، وحينها خرجت الدبة ثانية من الغابة وأصدرت صوتا غاضبا عاليا، ففزع جميع أهل البلدة وأسرعوا بالدخول الى بيوتهم ثانيا واقتربت سيانا من زوجها وهو يقول لها.

- لا تخافي.

التفتت سيانا لتنظر إن كانت الدبة في طريقها إليهم أم لا ولكنها رأتها تنظر إليها وإلى طفلها الذي على كتفها في غضب شديد، تنظر الدبة نظرة حقد وانتقام فكانت تقف بعصبية وعدم اتزان وتلتفت في كل الاتجاهات بسرعة وذهبت الى شجرة خلفها وظلت تنبش فيها بحوافرها وتقتلع لحاء الشجرة وتنبش جزعها بكل قوة وتضع فكيها في الشجرة وتخرج قطعة كبيرة من الخشب.

ارتعبت سيانا لهذه المنظر وخشت على طفلها فضمته أكثر الى صدرها ورجعت بضع خطوات الى الخلف ولكن زوجها رفع خشبته وتقدم في بضع خطوات ثابته نحو الدبة مما جعل الدبة تدخل الى الغابة في خطوات بطيئة وهي تصدر أصواتا متألمة. التفت الزوج الى زوجته وأخذها بين يديه وذهب في اتجاه منزلهم والناس يخرجون فرحين من بيوتهم وهم يحيون هذا الرجل الشجاع الذي لا يهاب الدببة فكانوا يقولون.

- دائما أنت من تحمي هذه البلدة يا أيتال.

- ويقول أخرين." لولا أيتال لكانت الدبة تهدم بيوتنا الآن"

- هل رأيتموه وهو يقفز على المائدة ثم يضرب الدبة على رأسها الضربة القاضية، لقد كان شيئا معجزا، لقد أفقد الدبة توازنها في أقل من لمح البصر.

- ويقول النساء " هنيئا للبلدة بمثل هذا الرجل الشجاع يا لحظها سيانا"

- شكرا لك يا أيتال. وكان الرجال يقولون هذه الكلمات وهم يربتون على كتفه ورأسه احتفالا به وبما فعل.

تعالت الأصوات بالامتنان والشكر وكان أيتال يسمع هذه الكلمات ولكنه لم يكن يعيرها أي اهتمام بل كان يضم زوجته المرتعبة إلى صدره ويمشي بها في اتجاه المنزل الذي يقطن فيه مع أبيه وأمه وبعض إخوته.

*****

خوف و هلع

كان الصمت يعم المنزل الخشبي المكون من خمسة غرف كبيرة، غرفة لوالد أيتال ووالدته وغرفة لأيتال وزوجته سيانا وغرفة أخرى لأخوة أيتال الذين لم يتزوجوا بعد وهم ثلاثة وكلهم من الرجال ولم يكن له أي أخوات، ويوجد في المنزل غرفة أخرى لخزين الطعام المحفوظ وغرفة أخيرة للمطبخ غير منطقة المعيشة التي يجلسوا فيها الآن ففيها يتناولون طعامهم وفيها يجتمعون دائما.

كان أيتال يجلس بعد ما رافق زوجته في ركن في منطقة المعيشة لا يتكلم كعادته ويجلس أبوه وأمه خرج إخوته لإكمال الاحتفال بالعيد مع أهل البلدة وكانت سيانا تجلس باكية لا تتكلم، كان الجميع يعلم أن هذا الصمت لن يدوم طويلا، وبعد نصف ساعة من البكاء المتواصل انفجرت سيانا قائلا.

- ماذا تظن نفسك، هل تعتقد أنك أشجع الشجعان، ماذا تريد أن تثبت، تريد أن تثبت أنك أشجع رجل عاش في هذه القرية وليكن ذلك وبعدها، قل لي ماذا بعد، ما هي النتيجة، أن يكون ابنك دون أب، أن أكون أنا دون زوج، أتعرف كم عمر ابنك، إن لم تكن تخشى على نفسك فيتحتم عليك أن تخشى علينا، من سيعلمك ابنك كيف يحيا في هذه الحياة القاسية، من سيرشده الطريق في هذا الثلج الكثيف، ألا تعلم أن لديك عائلة تعولها وتعتمد عليك وتريد أن تكون بقربك حتى يوم أن تكبر في السن وتقود الناس في يوم العيد للصيد ويكون ابنك فخور بك، ألا تحسب المخاطر أبدا.

صمتت سيانا وهو تنظر بعينها بشدة الى زوجها أيتال ولم ترمش ولم تحول نظرها لدقائق منتظرة رده ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة فانفجرت ثانيا قائلة.

- لماذا لا تتكلم، لقد سئمت صمتك هذا، عليك أن ترد على لا تتركني اهلك هكذا، هل رأيت تلك النظرة التي نظرت بها إلينا الدبة، إنها نظرة من يريد الانتقام، أرأيتها؟ لابد أنك رأيتها وشعرت بها لأنها نفذت الى لحمي وقلبي، كانت تنظر إلى ابني أيال هذا، أتظن أنها ستتركنا، أبدا لن تفعل، تضرب دبة على رأسها وتفقدها الوعي وتظن أنك ناج هيهات، إذا ضربت قطة أو كلب بهذه الطريقة فأمن العواقب أما أن تكون دبة فلابد لها من الانتقام.

كانت الدموع تسيل مختلطة بكلامها وفمها يزبد كطفل تخلى عنه جميع من يحب وكان زوجها يسمعها مطرق الرأس لا ينظر إليها ثم أكملت وقالت.

- كلنا يعلم أنك شجاع ولكن للشجاعة حدود، عندما كنت أعزب الكل كان يحسدك على شجاعتك وعلى قصصك المشهورة في مصارعة الحيوانات المفترسة وصد الهجوم عن القرية، كل الشباب تريد أن تكون مثلك ولكن الوضع اختلف الآن أنت لك امرأة تعولها، لك ابن من المفترض أنك ترجو أن يكبر وتتمنى أن تراه رجلا كبيرا، ألا تنتابك مثل هذه المشاعر، لماذا لا ترد؟ فتقل شيئا.

نظر اليها زوجها في بطيء وقال لها.

- لا تخافي.

اندفعت هي وقالت.

- بل أنى خائفة جدا، خائفة لدرجة الرعب، أنا لست خائفة على نفسي أنا، كدت أموت خوفا عليك أنت، كاد قلبي أن ينفجر داخل صدري وأنا أنظر إليك والدبة تركض تجاهك في غضب عارم، إنه لمشهد مخيف، كنت اعتقد أنها ستقتلك ولا شك في ذلك لست أنا وحدى من اعتقد في ذلك الجميع كان يعتقد ذلك، كل من جاءوا يحيوك كانوا غير مصدقين لما

حدث، أتعلم ما كان يبقيني منتظرة هناك، هو الخوف عليك ثم الأمل، الأمل في أنك ستخرج من هذا الأمر سليم، ولكنه كان احتمال غير وارد بالنسبة لأي عاقل، الطبيعة تقول أن من يحارب دبة يموت، لن يقف أمامها عاقل، هل رأيت كيف كانت تنظر الدبة لابننا أيال الصغير، أنا خائفة جدا، أظنها ستأتي لا محالة، الحقد كان ظاهر عليها.

- لا تخافي، أنها لن تأتي. قال زوجها.
- ما الذي إدراك أنها لن تأتي إني حقا مرتعبة، نظرة الدبة لم تكن عادية كانت مليئة بالحقد والغضب والانتقام، فلتذهب شجاعتك الى الجحيم إن كنت لا تخشى فراقنا.

بكت سيانا بكاء شديد وذهب اليها زوجها وحاول أن يهدئ من روعها ووضع يده على ظهرها وضمها الى صدره وقبل رأسها وقال بصوت حنون.

- لا تخافي أنا بجوارك.

حينها قال أبوه يا بني عليك أن تحاذر على أهلك وعلى نفسك أكثر من هذا.

ثم قالت امه وكان كلام سيانا قد أثر فيها كثير فكانت تبكي وهي تقول.

- لا تندفع هكذا ثانيا يا بني، كلنا نحتاجك.

كان ينظر الى امه وأبيه ويضم زوجته إليه ويهز رأسه ثم يقبل رأس زوجته.

****

لم تستطيع سيانا النوم في هذه الليلة، كانت ترتعد من شدة الخوف وتضم ابنها الصغير الى صدرها وتنظر الى جدران البيت الخشبية وتقول في نفسها إن أرادت الدبة أن تقتحم هذه الجدران فستفعل فهي قادرة على خلع الأشجار من جذورها، ظلت تلك الأفكار تدور داخل رأسها ولم تغيب عنها نظرة الدبة إليها وإلى ابنها الصغير، وبينما هي غارقة في تلك الأفكار كان زوجها يغط في نوم عميق ولا يدري من الدنيا شيء، كانت سيانا تقترب بين الحين والأخر الى الجدران وتضع أذنها عليها لتسمع أي حركة غريبة بالخارج، فما كانت تسمع إلا بعض أصوات الرياح الخفيفة ولكنها في مرة سمعت صوت خطوات قادمة من بعيد ليست بخطوات البشر أنها خطوات حيوان يمشي على أربع، يمشي متمايل ببطء يشمشم خلف رائحة يتتبعها، إنها الدبة إنها تقترب من المنزل، والكلاب في البلدة تنبح على الدبة بصوت عال، ضمت سيانا صغيرها إليها وابتعدت عن الجدار وارتطمت بزوجها وهو نائم وصرخت قائلة.

- إنها الدبة، إنها الدبة قادمة، استيقظ، إنها الدبة.

استيقظ زوجها ونظر إليها في هدوء.

- كيف هذا، الم تنامي، لا تخافي، تعالي نامي بجواري.

صرخت سيانا بصوت أسمع جميع من في المنزل.

- استيقظ، انهض، إنها الدبة أتيه إلينا، اسمع صوتها.

حاول أيتال أن يسمع فوضع أذنه على الحائط فاذ به يسمع خطوات حيوان يقترب من المنزل فأنتفض قائما وأمسك بقطعته الخشبية ووقف في الغرفة ووقفت زوجته خلفه ثم خطى خطوات بطيئة ليخرج من الغرفة إلى غرفة المعيشة وبالقرب من باب المنزل وكانت زوجته تتبع خطواته ويسمعون الدبة تدور حول المنزل وتشمشم كأنها تبحث عن فريسة لتقض عليها وكانت الكلاب تنبح عاليا على الدبة إلى أن سمعوا

نباح ألم لكلب وكان ظاهر أنه تلقى ضربة قوية فتوقف نباح الكلاب وساد الصمت خارج المنزل إلا من حركات الدبة البطيئة ثم توقفت فجأة ولم يسمعا صوت لدقائق ثم سمعا صوت حوافر تنهش في الجدران، كانت تنهش بسرعة وغضب فصرخت سيانا ثانيا وجاء إخوة أيتال وجاءت أمه وأخذت زوجته الى الجدار الخلفي من المنزل ووقف إخوة أيتال بجواره كل منهم يمسك سكينا أو خنجر، حاول أيتال أن يخرج للدبة فمنعه أبوه وإخوته وسمعوا الدبة تصدر صوتا عاليا ثم سمعوا صوتها وهى تضرب الأرض بارجلها كأنها تريد أن تكسر شيئا وبعدها سمعوها تنبش شيئا أخر غير الجدران، تنبش بحوافرها بشدة، ظلت الدبة تنبش وكانت أصواتها تصيب سيانا بالزعر حتى فقدت السيطرة على نفسها وظلت تبكي كمن مات أبوها وأمها في يوم واحد، كانت دموعها تسيل على رأس أيال ابنها الصغير وكان يبكي هو الأخر.

استمرت الدبة في نبش الأرض لفترة ثم سمعوا صرير ماء وبعدها أصدرت الدبة صوتا عاليا وسمعوا صوت أقدامها تبتعد عن المنزل.

في الصباح خرجوا ليشاهدوا لماذا كانت تنبش الدبة وعندما فتحوا الباب وجدوا رائحة مقززة تعم المكان ووجدوا كلبا من كلابهم ميت على الأرض ووجدوا أن الدبة قد حفرت حفرة كبيرة خارج المنزل وملئتها ببولها ذو الرائحة الكريهة، كانت هذه علامة تحد واضحة من الدبة فهمها كل من حضر الموقف.

اخذ أيتال الكلب الميت ودفنه خلف المنزل، تأثر لموت كلب من كلابه وهو يحاول أن يدافع عن المنزل وأهله وعزم يومها على تربية عددا كبيرا من الكلاب والاعتناء بهم.

مر هذا اليوم المليء بدموع سيانا ومرت بعده أسابيع وشهور وهى تكرر أن الدبة ستأتي ثانيا وكانت تمر الأيام عليها وهى في خوف ورعب لا تنام إلا مغشيا عليها، ضعفت الأم الصغيرة كثيرا واسودت هالات عينيها واصفر جسدها، وكانت تخاف على ابنها كثيرا ولا تتركه أبدا يلعب مع باقي أولاد

القرية في الخارج بل كانت تحمله على كتفها دائما ولا ترتاح إلا وهو أمامها، ومع مرور الشهور لم تأت الدبة ثانيا واطمأنت حينما حل الشتاء لأنها تعلم أن الدببة تختفي في الشتاء كما يختفي كل شيء في هذا الجزء القاسي من العالم فتحسن نومها وبدأت تسترجع جمالها ثانيا وبدأت تكسب وزنا بعدما كانت نحفت كثيرا وكانت قد منعت زوجها لأسابيع أن يذهب للصيد في الغابة وتماثل لرأيها وكان يذهب مع إخوته لصيد الأسماك الذي يكره كثيرا فهو يشعر أن صيد الأسماك شيئا سهلا مملا، وعندما حل الشتاء اقنعها أن يذهب الى الصيد لأن الدبة في بيات شتوي الآن واقتنعت وتركته يذهب ولكنها كانت خائفة عليه فظلت هذا اليوم تخرج كل ساعة لتترقب وصوله الى المنزل خارجا من بين الأشجار الكثيفة المغطاة بالثلج وذات مرة وهى تراقبه شاهدته وهو يخرج من بين أشجار الصنوبر البيضاء وهو يحمل على كتفيه غزالة قد اصطادها لها، حلت السعادة عليها كثيرا لهذا المنظر فهي قد تذكرت يوم زفافها وهي عروس شابة جميلة ينظر إليها الجميع في سعادة وفرح تذكرت أن في يوم زفافهم اصر أيتال أن يذهب إلى الغابة ليصطاد فمنعته من ذلك وقالت.

- لن أتركك تذهب للصيد في يوم زفافنا، حتى يوم الزفاف ستذهب الى الغابة لتصطاد، ستتزوجني أم تتزوج الغابة.

حينها تبسم في وجهها تبسم الأطفال وقال.

- متى أخر مرة تذوقت لحم الغزلان؟
- لا أتذكر. قالت سيانا.
- ستذوقينه اليوم. قالها أيتال بثقة.
- ما الذي يجعلك واثق من ذلك. قالت سيانا في تساؤل، ثم أكملت قائلة، لقد بذلت جهدا وأنا أحاول أن اقنع نفسي أنك لست متعال وإنما صمتك هذا طبع فيك.

ابتسم أيتال حينها وقال.

- فقط تركيني وسأتي قبل موعد الزفاف بالغزالة لتتذوقيها وتكون ذكرى دائمة لنا.

وبالفعل جاء يومها أيتال من الصيد وهو يحمل غزالة كبيرة وسعد كل أهل البلدة لهذا الصيد الجميل الذي لا يتكرر إلا كل فترة بعيدة وكانت سعادة سيانا يومها بهذا الصيد لا توصف فهي علمت في هذا اليوم المهم يوم زفافها أن زوجها إن وعدها لن يخلف وعده، علمت أنها تزوجت رجل يمكنها الاعتماد عليه طوال حياتها، مازالت تتذكر طعم هذه الغزالة التي اصطادها زوجها من أجلها في يوم زفافها، غمرتها السعادة وهى تنظر إلى زوجها وهو يحمل الغزالة وينظر إليها من بعيد في سعادة عارمة لم تراه سعيدا كذلك منذ فترة طويلة تتذكر الآن وجهه السعيد في يوم الزفاف، ما أجمل الذكريات حينما تتكرر.

كانت سيانا تقف أمام المنزل وابنها أيال يقف خلفها داخل المنزل وزوجها يمشى تجاههم وهو يحمل الصيد على كتفه فاستدارت سيانا الى ابنها ثم حملته وهي تبتسم وتقول له في فخر.

- انظر ماذا احضر لنا أبوك، احضر لنا صيدا ثمينا.

كان أيال مازال صغيرا لا يفهم ما قالت أمه ولكنه ضحك حينها لأنه شعر بسعادة أمه.

دخل أيتال الى المنزل ليضع الغزالة في المطبخ الواسع وخرج والده من غرفته وقال له.

- صيدا ممتاز يا أيتال، أحسنت يا بني، ما أحسن توقيت هذا الصيد يا بني، أحسنت صنعا.

قال والده هذه الكلمات وهو يضع يده على كتف أيتال ويغمز بعينه.

قطع أيتال الغزالة وطبخت أمه في هذا اليوم رافضة أن تساعدها سيانا فقالت لها.

- اليوم مثل يوم زفافك يا سيانا، أنا أتذكره الآن أتذكر حين أصر ابني أيتال على الذهاب للصيد كي يصطاد غزالة للزفاف، أتعلمين أنا أتذكر يوم زفافي أيضا فقد اصطاد لي والده غزالة أيضا في يوم زفافنا.

قالت والدة أيتال هذه الكلمات وهي في سعادة كبيرة وكأنها رجعت في العمر عشرين سنة فكانت يومها في غاية النشاط والمرح. وزاد سعاتها ونشاطها حينما ذهب اليها زوجها وقال في أذنها "لن تضاهي أبدا هذه الغزالة التي اصطدتها لك في يوم زفافنا".

التفوا جميعا حول المائدة، ورائحة اللحم المطهي تعم المكان والجميع متلهف لهذه الوجبة اللذيذة التي لا تتكرر، كان أيتال يجلس بجوار أبيه وعلى يساره تجلس زوجته وابنها أيال وعلى يمينه يجلس أبوه وكان كل إخوته مجتمعين أيضا، أخوه كاسكال وكان يبلغ من العمر حينا عشرين عاما وأخوه الأصغر أهيال الذي حرص على أن يحضر أعز أصدقاه الذي لا يفارقه أبدا، صديقه منشاري وهما في سن متقارب حول السابعة عشرة وكان أخوهم الأخر هناك أيضا.

وضعت الأم الطعام على المائدة ومد والد أيتال يده ليأخذ قطعة من اللحم وبعدها تجرأ الجميع من بعده، تذوق والد أيتال اللحم وقال.

- لحم شهي حقا، أحسنت صنعا يا بني. ثم توجه الى زوجته وقال، مازال طعامك لذيذ يا زوجتي العزيزة.

ثم قال كساكال وهو يلتهم قطعة كبيرة من الغزالة.

- أكان من المفترض أن تمرض سيانا حتى نتذوق هذا اللحم اللذيذ، ما أبخلك يا أيتال، الجميع يعرف أنك وحدك من تجلب هذا الصيد الثمين.

ثم توجه الى منشاري صديق أخوه أهيال وقال كل جيدا يا منشاري، أنت في بيتك يا صاحبي، أنت بمثابة أخ لنا، أنت تعرف أن الجميع لن يتذوق هذا الطعام إلا في زفافي، ستصطاد لي مثل هذه يا أخي العزيز في يوم زواجي، صحيح. كان كساكال يقول هذا الكلام وهو ينظر الى أخيه أيتال.

- سأحاول. رد أيتال.
- الجميع يعلم أنك تستطيع يا أخي. قال كاسكال. عندي فكرة سأتفق مع سيانا حينها أن تدعي المرض حتى تصطاد مثل هذه الغزالة.

تعالت ضحكات الجميع وكان يوما جميلا سعيدا أكلوا ووزعوا بعض اللحم على جيرانهم وحفظوا منه ما يكفيهم لأيام. تغذت سيانا على ما تبقى هذه الغزالة فاستردت صحتها وجمالها في أسابيع قليلة وكان زوجها يحاول إسعادها والتلطف لها مع قلة كلامه ولكنها كانت تفهمه ومع انتهاء فصل الشتاء وجدت بطنها قد ازدادت حجما فثبت شكها في أنها حامل في طفل جديد.

كان حملها الثاني أخف من الأول فكانت تعمل في المنزل في همة ونشاط وكانت مرحة الى حد بعيد ومن الواضح أنها تخطت ازمه الدبة تلك التي أرعبتها وكانت سعيدة بهذا الحمل الذي كانت تنظره، لم تصرح بذلك لأحد ولكنها كانت تتمنى أن تنجب طفلا ثانيا بعد أيال ابنها الذي كان لصيق بها دائما ولا تتركه يغيب عن نظرها أبدا.

***

أشرقت الشمس وحل العيد على القرية بعد شتاء شديد، خرج أهل القرية كعادتهم ليحتفلوا بتلك المناسبة التي ينتظرونها كل عام وخرجت النساء إلى الساحة في مرح وسعادة وجلسوا في دائرة كبيرة يغنون الأناشيد في أصوات ناعمة وتناغم جماعي بينهم.

أهلا بك أيها الشمس الجميلة.

غبت عنا وقتا طويلا.

ابعثي لنا دفئا كثيرا.

واجعلي الحر يخرج الحيوانات من جحورها.

لناكل وننعم من لحومها.

ونرتدى فرائها الكثيفة.

لتقينا برد الشتاء القارص.

لا ترحلي يا شمسنا الجميلة.

امكثي معنا أياما كثيرة.

ذهب الرجال كعادتهم في هذا اليوم خلف اكبر الرجال سنا الى الصيد في البحر المتجمد وتجري خلفهم كلابهم، بينما يمكث الأطفال الصغار يلعبون حول أمهاتهم ويشاركون في غناء الأناشيد وكان أيال يلعب مع الأطفال وكانت امه سيانا تجلس وبطنها كبيرة أمامها وتغني مع النساء والابتسامة على وجهها ولكنها بعد فترة من غناء الأناشيد وجدت ابنها قد بعد عنها وبدء يلعب مع الأطفال بالقرب من أشجار الغابة فقامت من مجلسها وذهبت لتحضر ابنها واقتربت من الأشجار الكثيفة التي لم تدخلها قبل ذلك أبدا، نظرت الى الأشجار عندما اقتربت منها وهى تحضر ابنها فأصابتها رعشة في عظامها وخافت أن تظهر الدبة من جديد، جذبت ابنها إليها بشدة ورجعت أدراجها الى مكان مجلسها بين النساء في وسط الساحة وجعلته يجلس بجوارها نظر إليها بعض النسوة وقلن لها.

- اتركيه ليلعب مع الأطفال.

لكنها لم تعبأ بكلامهم وجذبت إليها طفلها أكثر، كانت تغني مع النساء ثم تسهو ويفوتها النشيد وهي تنظر ساهمة في قلق وخوف إلى الغابة وتجذب طفلها إليها.

مر العيد بسلام ولم تظهر الدبة.

لم تظهر الدبة ثانيا حينها ولم يتم ذكرها إلا في أول الشتاء التالي حين كانت تولد سيانا طفلها الجديد، لم تكن ولادة سهلة، أصابها الكثير من الألم فكانت تصرخ بشدة وقالت السيدة التي تساعدها في الولادة يومها.

- إذا صرخت السيدة بشدة هكذا في ولادتها فهي تولد ولدا شجاع قوى.

كانت صوت سيانا عاليا يسمع اغلب من في البلدة اعتقد الجميع أن سيانا لن تحيا بعد هذه الولادة وأن ابنها الجديد سيكون خلفا لأبيه الشجاع لأنهم لا يرون في أيال أي علامات الشجاعة، فقد دللته امه كثيرا بخوفها عليه وأفسدت الرجولة في داخله، كانوا يقولون هذا مع أن أيال لم يكمل عامه الرابع بعد.

صرخت سيانا عاليا ثم اغمى عليها وهي تقول.

- يا إلهي أنها الدبة، حاذر من الدبة يا صغيري، احذر يا أيال من أن تأكلك الدبة.

ثم تفيق سيانا وبعد فترة يغمى عليها وتقول.

- لماذا تفعل كذلك يا أيتال، لقد جلبت الدبة إلينا ستأكل أطفالنا.

ظلت سيانا تهلوس هكذا وكان زوجها أيتال يخشى عليها كثيرا من الموت فكان يقف بقرب الباب ويدعو ربه أن تكون سيانا بخير، فإن مات الولد

الشجاع الذي سيولد فلن يغضب بل هو يريد زوجته، هكذا كان يفكر ويبتهل الى ربه.

بعد فترة طويلة من الصراخ والكلام الغير واع عن الدبة سمع الجميع صراخ طفل صغير قد خرج الى الدنيا فهرع أيتال الى الداخل ودفع باب غرفته ونظر الى زوجته، فوجدها كأنهم أنقذوها من الغرق في نهر ساخن، كانت تتنفس بصعوبة وغارقة في عرقها ووجهها شاحب إلى حد بعيد، اقترب منها ومسح بيده على جبينها المتعرق وقال.

- حمدا للرب على سلامتك. قالها أيتال والفرحة تعمه.

نظرت اليه في ابتسامة خفيفة خلفها كثير من الإجهاد، بينما كان الحضور يمسحون جسد المولودة الجديدة ويغطونها ببعض الأقمشة ثم بفرو صغير غطى جسدها الأحمر النحيل، كانت تحرك يديها وتصرخ في الجميع، تصرخ وتبكي بشدة، كأنها ترفض الخروج الى هذا العالم القاسي.

مدت سيانا يديها وأخذت بنتها وقبلتها وضمتها الى صدرها، ابتسمت سيانا لأبنتها وبدء وجهها يعود اليه الدم ويتغير لونه بعد الشحوب الذي أصابه.

*****

الصغير يكبر

كان أيال يلعب مع الكلاب خارج المنزل في يوم مشمس من أيام الصيف، قد كبر هو الآن وصارت رأسه تظهر من بين الكلاب وهو يلعب بينهم فعمره الآن سبعة أعوام، لم تعد أمه تخاف عليه مثل سابق عهدها فلم

تعد تذكر تلك الدبة ولا حتى في يوم العيد فكانت تترك أيال يلعب مع الأطفال خارج المنزل ولكنها لا تتركه ليذهب الى الساحة وحيدا.

أخته الصغيرة كانت تدعى مايانا، كانت تبلغ من العمر أربعة أعوام وكانت تستطيع الكلام في عمرها هذا بخلاف أخوها أيال الذي تحدث عندما قارب السادسة لقلة اختلاطه بالناس، كانت مايانا ناعمة صغيرة ترى فيها براءة الأطفال التي تأثرك فعيناها باسمة بلونها الأخضر الفاتح كلون العشب النضر والتي ورثتها عن أمها ووجهها دائري ممتلئ، الجميع في المنزل يحبونها حبا شديدا فلا تكاد تحط أقدامها الأرض إلا ويحملها أحد أعمامها أو جدها وتلعب بعض الوقت حتى يراها فرد آخر من أفراد العائلة فيجد نفسه منجذب إليها بعينيها الجميلة الناعسة التي تشبه عيون بعض القطط الوديعة ويحملها ثم يلعب معها بعض الوقت ثم يضعها بعد ذلك حتى يراها فردا آخر ويصنع مثل ذلك فهي لا تكاد تكون وحيدة بخلاف اخوها أيال الذي يبقى وحيدا أغلب الوقت وقد فضل اللعب مع الكلاب فهم صامتين مثله، كان أمام البيت تسعة كلاب من بينهم كلبين لأبيه يفضلها أبوه على كل الكلاب أحدهما رمادي اللون والأخر اسود، لا يفارقان أباه أبدا في صيده بينما هو يفضل أن يلعب مع كلبة بيضاء بها بقعة بنية أسفل وجهها كما كان يحب أن يعتني بالكلاب ويضع بعض الماء والطعام لها، ولكنه لا يطعم الكلبين الخاصين بأبيه أبدا لأنه حاول في مرة أن يقدم لهما بعض قطع من الأسماك فجاءه أبوه من خلفه وقال.

- انتظر.

التفت أيال فوجد أبوه يكلمه وهو غير معتاد على ذلك فنادرا ما يتكلم أبوه، اكثر حديثه يكون من كلمتين أو ثلاثة تسأله زوجته كيف كان يومك فيرد بكلمة واحدة جيد ثم يصمت، حاول أيال كثيرا أن يتابع والده في حديثه مع امه وجده مقل في الحديث مع كل الناس أن استطاع أن لا يتكلم ويومئ فهو يفعل ذلك، ففي يوم من الأيام في الشهر الماضي تأخر أبوه في الغابة وبدأت امه تقلق عليه كما قلق عليه أعمامه وجده وجدته

لأنه تأخر كثيرا عن موعده، وليست الغابة بالمكان الذي توجد فيه الكثير من الاحتمالات الطيبة، بل إن تأخر احدهم فهو في الغالب ميت، كانت امه قلقة للغاية وبدأ الجميع يعدوا عدتهم ليدخلوا الغابة بحثا عنه ولكنهم وجدوه يخرج من الغابة وفي يديه ثعلبين كبيرين وبه جرح في وجهه، ركضت سيانا الى زوجها ومن خلفها عمه كاسكال ثم قالت امه.

- ما بك يا أيتال، ما هذا الجرح الذي في وجهك، ماذا حدث لك، لقد كنا على وشك دخول الغابة للبحث عنك، ما هذا الدم.

كان أيال يراقب هذا المنظر ويرى تلهف امه على أبيه وهي تمسح الدم من على وجهه ولكن أبوه لم يتكلم كثيرا وقال.

- لا تقلقي.
- كيف لا اقلق، أخبرني ماذا حدث، أنت بك جرح في وجهك كبير. قالت امه هذه الكلمات في اندفاع ونفاذ صبر.

بينما التفت أبوه لها في بسمة خفيفة بعدما اعطى لأخيه الثعلبين ثم رفع يده ووضعها على كتف زوجته وقال.
- لا تقلقي، أنا هنا يا عزيزتي.

هدئت امه قليلا ومسحت من على وجهه الدماء بيدها وهي تقول له.

- أنت تقلقني عليك كثيرا، ما كل هذه الدماء التي على وجهك.
- أنه خدش بسيط. رد أبوه.
- أنه ليس خدش بسيط يا أيتال لا بد أن تعتني بنفسك أكثر من هذا.

لم يرد أبوه بكلمات بل قبل رأس امه ثم اتجهوا الى المنزل وانتهى الموقف هكذا ولم يسأله أحد عن هذا الموقف ثانيا فقد اعتاد الجميع منه عدم الكلام إلا في المواقف الحرجة وفقط، فعندما يسمع أحدا صوته ينتبه بشدة معتقدا بأنه سيقول كلاما ضروريا جدا ولأن سماع صوته ليس

بالشيء العادي وهذا ما حدث عندما سمع أيال صوت أبيه عندما كان يبادر بإطعام الكلب الرمادي الخاص بأبيه، كان أيال ممسكا بقطع من السمك فسمع كلمة أبيه وهو يقول.

- انتظر.

فالتفت أيال فوجد أباه مقبل عليه على غير عادته، وقف أمام أباه وهو ينظر اليه الى الأعلى كأنه يقف أمام عملاق كبير، اخذ أبوه منه الطعام وصمت نصف دقيقة وقال.

- لا تطعم هذين الكلبين.

كان أبوه يشير الى الكلب الرمادي والكلب الأسود ثم صمت نصف دقيقة أخرى وابتسم ابتسامة خفيفة وهز رأسه لابنه.
رد أيال في صوت خافت " حسنا لن أطعمهم"

أعطاه أباه قطع الأسماك مجددا ورحل عنه فتوجه أيال الى الكلاب وأطعمهم ولعب معهم وترك الكلبين الذين تحدث عنهما أبوه.

***

كان أيال في هذا السن مرتبطا بالكلاب كثيرا فكان عندما يستيقظ في الصباح يخرج ليلعب معهم ويعتني بهم ولكنه لاحظ أن الكلبة البيضاء ذات الفرو الناعم التي يحبها كثيرا قد كبرت بطنها وتكبر أكثر مع تتابع الأيام فذهب الى امه وتحدث معها، فعرف منها أن تلك الكلبة حامل وستلد كلابا صغارا فكان سعيدا جدا لهذا الخبر وقرر أن يولي تلك الكلبة عناية خاصة فكان يأتيها بطعام خاص ويجلس بجوارها لفترات طويلة يملس على فروها الناعم ويمسح على رأسها وكان يذهب ليسأل.

- متى ستلد الكلبة يا أمي.
- لست اعلم يا بني ولكنها ستلد قريبا.

- هل ستلد غدا؟
- لا أظن ذلك يا صغيري.
- إذن متى سيحدث ذلك. كان أيال يقولها بعصبية.
- لا بد أن تصبر يا بني، لكي تحدث الأشياء الجميلة علينا انتظارها.

لم يقتنع أيال بهذا الكلام ولكنه كان يذهب ليراقب الكلبة ويعتني بها ثم يأتي بعد يومين ويسأل امه ويقول لها أن انتظاره قد طال فترد عليه بمثلما قالت من قبل.

ذات صباح خرج أيال من المنزل كعادته ليلعب مع الكلاب ولكنه توقف خارج المنزل مذهولا صامتا لبعض الوقت ثم قفز في الهواء وصاح قائلا.

- الكلبة البيضاء ولدت يا أمي، الكلبة ولدت، هناك كلابا صغارا جدا.

كان أيال يقفز ويركض وهو يقول تلك الكلمات مما اضحك جده وجدته وأعمامه وتبسمت امه كثيرا واحتضنته فأخذها من يدها وخرج بها خارج المنزل وهو يقول لها.

- تعالي شاهديهم أنهم خمسة كلاب، تعالي أنهم يرضعون من بطن أمهم جميعا في وقت واحد، لقد انتظرت كثيرا وهاهم الكلاب الصغار.

كان الجميع يضحك على هذا الكلام من أيال الصغير بينما كانت امه تدمع دمعات باسمة فهي لم ترى ابنها بهذه السعادة من قبل ولم تراه يهتم لشيء ويتحمس له مثل هذا الأمر بل أن تلك الكلمات التي قالها هي أطول جمل قالها منذ ولادته، كانت سيانا تشعر بالذنب أحيانا حيث أنها تعتقد أنها أفرطت في حماية ابنها وفي خوفها عليه فهو لم يكن يخرج ليلعب مع الأطفال ولم يكن يتحدث مع أحد ولقد لامت ننفسها كثيرا لأن ابنها تأخر في الكلام وها هي تراه سعيدا كما لم تراه من قبل فدمعت عيناها فرحا بسعادة ابنها.

وقفت معه أمام المنزل لترى الكلبة البيضاء مستلقية على الأرض وصغارها الخمسة متراصين بالتوازي بجوار بعضهم البعض في منظر جميل ويرضعون من أمهم المجهدة بنهم، كان الخمسة كلاب صغارا جدا أكبر من حجم كف سيانا بقليل وعيونهم مغلقة لم تفتح بعد وفرائهم ناعم كملمس الحرير، ثلاثة منهم لونهم ابيض ناصع كأمهم واحدهم لونه رمادي والأخير لونه اصفر زاهي ببقعة صغيرة بيضاء في أخر ذيله، كان أيال يقول.

- أنظري يا أمي كم هم في غاية الجمال. لقد انتظرت بصبر شديد يا أمي وها هي الأشياء الجميلة تحدث، ما أجملك يا أمي. أنظري الى تلك الكلاب الصغيرة، انه لشيء رائع.

كانت سيانا تنظر الى ابنها بعيون دامعة وقلب سعيد وهي تسمع كلماته الفرحة فرفعته اليها واحتضنته بشدة وقبلت وجهه وقالت.

- انه لشيء رائع يا بني. انه لشيء رائع جدا.

جاءت الصغير مايانا تمشي كالبطريق متمايلة كمثل الأطفال في سنها ونظرت الى أمها وأخيها ثم نظرت الى الكلاب الصغار وذهبت لهم ولكن أيال أفلت من امه وامسك بها وقال لها.

- اتركيهم فهم يرضعون الآن، عندما يكبرون وتكبري قليلا سأدعك تلعبين معهم.

كان أيال سعيدا جدا ولا يريد مفارقة الكلبة وصغارها وجاهدت امه لتأخذه الى داخل المنزل حتى يتناول الإفطار معهم فأفطر على عجالة وخرج للكلبة ببعض الطعام وبعض الماء فتجمع حوله باقي الكلاب فدفعهم بيده واعطى الكلبة البيضاء الطعام والماء ثم بعدها احضر للكلاب الأخرى ما عدا كلاب أبيه.

خرج من المنزل عم أيال الذي يدعى أهيال ذاهبا الى بيت صديقه منشاري ونظر الى أيال وجده جالس بجوار الكلبة البيضاء وصغارها ساهما، رجع أهيال الى داخل المنزل ثانيا وقال لسيانا.

- سأخذ أيال معي ونخرج سويا لبعض الوقت، أرجوك يا سيانا لا تخافي عليه.
- أين ستذهب يا أهيال، أرجوك مازال صغيرا لتذهب به الى الصيد مع صديقك منشاري. قالت سيانا بصوت قلق.
- لا تخافي لن نذهب الى الصيد الآن، سأخذ أيال معي ونجلس عند منشاري بعض الوقت ثم أتيك بأيال قبل ذهابنا للصيد. قال أهيال.
- حسنا، ولكن لا تتأخرا. ردت سيانا.

خرج أهيال من المنزل ونادى أيال وقال.

- هيا بنا يا صديقي سنذهب في نزهة.

لم يصدق أيال نفسه، لم يذهب مع أي أحد الى أي مكان من قبل، المكان الوحيد الذي يذهب الذي يذهب اليه هو ساحة القرية وتكون في العيد فقط ويكون برفقة امه.

نهض أيال وهم بالذهاب مع عمه الى بيت صديقه منشاري، أهيال ومنشاري أصدقاء منذ الطفولة، لا يتفارقان أبدا، فمن المفترض أن يذهب أهيال لصيد الأسماك مع إخوته على حسب تقاليد البلدة ولكنه يذهب مع صديقه منشاري دائما، يصطادا سويا ويتقاسمان الصيد أخر اليوم، بالرغم من أن الصيد يحتاج الى مجموعة من الرجال إلا أن أهيال ومنشاري يصرون على الصيد سويا وحدهما فهما كالأخوين التوءم لا يبتعدا عن بعضهما أبدا.

في الطريق الى المنزل المقصود كان أيال ينظر من حوله على المنازل الخشبية وينظر الى النساء والأطفال ببعض الاستغراب وجذبه فتى يلعب مع أصدقاءه يدعى هينوا ممتلئ بعض الشيء، نظر اليه هينوا وقال.

- تعالى العب معنا يا صديقي. قالها هينوا والابتسامة تعم وجهه الممتلئ مما طمس ملامح عيناه.

لم يرد أيال ونظر الى الأمام وتابع مسيرته مع عمه حتى وصلوا الى منزل منشاري فطرق أهيال الباب فخرجت فتاة جميلة ذات شعر اسود طويل جدا جعلته ضفائر متدلية الى الأمام على كتفيها وتصل الضفائر الى ما يقرب من خصرها، أمسكت الفتاة ذات القوام الممشوق بالباب وهي تنظر الى أهيال في عينه وصمتت قليلا وكذلك صمت هو الآخر، ابتسمت الفتاة التي تدعى إيتا كأنها وجدت شيئا جميلا كانت تبحث عنه وابتسم أهيال أيضا.

- أهلا أهيال. كيف حالك. قالت إيتا وهي تمسك بضفيره شعرها اليمنى وتبتسم وهي تهتز قليلا.
- كيف حالك. قال أهيال.
- أنا بخير طالما أراك. ردت بصوت هامس. ثم على صوتها وهي تقول" تفضل يا أيال منشاري بالداخل"

كان أهيال يحب إيتا كثيرا هو يخطط أن يتزوجها ولكن لابد أن ينتظر زواج أخيه الأكبر كاسكال، كما أنه غير متأكد من ردة فعل أخيها وصديقه منشاري في أن يكتشف أن اعز أصدقاءه يحب أخته، كثيرا من الأحيان يشعر بالقلق لهذا الأمر ويعزم على أخبار منشاري أنه يحب أخته ويريد أن يتزوجها وتارة أخرى يقرر أن يبتعد عن منشاري واخته وينسى الأمر برمته ولكن كلا الأمرين اصعب من أن يتحملهما فهو لا يستطيع أن يترك إيتا فهي حبه الوحيد ولا يستطيع أن يخبر صديقه وهو غير متأكد من ردة فعل صديقه فهو لم يتخيل ولو للحظة أنه من الممكن أن يفقده فبعض الأحيان يأتيه هاجس أن صديقه سيفكر أنه يتقرب منه طوال هذا الوقت

من اجل أخته وفي ظل هذا الوضع المتوتر قرر أهيال بعدما اتفق مع إيتا أن يحتفظوا بسر هذه الحب الى أن تسنح الفرصة فعلى كل حال لن تتاح فرصة الزواج لهما إلا بعد زواج كاسكال، اتفق هو وإيتا على ذلك عندما قابلها في العام الماضي وهي ذاهبة لتحضر بعض الماء العذب من النهر الذي ينبع من الجبل في قلب الغابة ويصب في البحر ففي فصل الصيف يذوب الثلج وتجري الماء الى البحر من اعلى الجبل ويذهب أهل القرية الى النهر، فالنهر يكون ماءه عذب ونقى لم يمسه احد من قبل أما في الشتاء يحضر أهل القرية الماء في صورة ثلج من النهر المتجمد ويذيبونه في بيوتهم ولذلك ارسى كبار أهل القرية قواعد حفاظا على النهر أولها أن لا يذهب الكلاب أبدا بالقرب من النهر حتى لا يبولوا فيه وثانيا لا يلعب أي طفل بجوار النهر والأخير لا احد يذهب لملئ الماء من النهر وحيدا حتى لا يقف على ثلج رقيق وهو لا يدري فيسقط في النهر ويموت ولا يشعر به أحد، وهذه القاعدة الأخيرة هي دائما فرصة لجمع إيتا وأهيال فهي تذهب الى ملئ الماء من النهر وتمر في طريقها على بيت أهيال فيرها وبدافع الشهامة أمام الناس يذهب خلفها ليراقبها وتكون بينها وبينه عدة خطوات يتحدثون خلالها عن حبهم وعن اشتياقهم لبعضهم البعض قال لها مرة.

- كم غرفة تريدين في منزلنا.
- كم أنت حالم، يا ليتني مثلك احلم كما تحلم.

فرد عليها في بهاء وفرح وهو يقول.

- سأصنع لك يا إيتا منزلا لم يصنع في هذه القرية.
- كم أحب كلامك يا أهيال، أتمنى أن يتزوج أخاك حتى تستطيع أن تكلم أخي ونتزوج.
- سأكلمه وسنتزوج وسيصطاد لنا أخي أيتال غزلة كبيرة في يوم زفافنا وسيفرح كل أهل القرية وستكونين أجمل النساء رآها أهل قريتنا.

كانا يتلاطفا دائما بحديث كهذا وكانوا حريصين جدا حتى لا ينكشف أمرهما ولذلك تحدثت إيتا بصوت عال عندما كانت تحدثه وتقول له أن منشاري في انتظاره في الداخل حتى لا تشك أمها ولا أخها في أي شيء، فبقدر خوف أهيال من ردة فعل صديقه تخشى إيتا من أفعال أمها الغير محسوبة فبعض الناس في القرية يقولون أن أمها هي سبب وفاة أبوها حيث دفعته في يوم عاصف للذهاب الى الغابة لاصطياد أرنب بري حتي تصنعه على الغذاء وقالت أنها ملت اكل الأسماك، عارضها زوجها يومها ولكنها عارضته بشدة وسمع الجيران صوتها العالي وهي تعنفه وتدفعه للذهاب الى الصيد وذهب الرجل يومها الى داخل الغابة ولم يرجع.

تعرف إيتا هذه القصة بل وتصدقها فهي تعرف عن أمها الاندفاع والأفعال غير المحسوبة، ولذلك دائما ما تحرص على أن تخفي أي شيء أمامها.

دخل أهيال الى داخل بيت منشاري بعدما رمق إيتا بنظرة حب وإعجاب وكان يمسك يد ابن أخيه فوجد منشاري متهللا في انتظاره وصنعت لهم إيتا بعض الشاي الساخن وجاءت وهي حاملة للشاي وكانت تحمل كوبين فقط فقال لها اخوها

- لم أحضرت كوبين فقط، نحن ثلاثة رجال هنا.

قال منشاري هذا الكلام وهو يشير الى أيال، لم يكن منشاري غاضبا من أخته بل أراد أن يعظم من شأن أيال ويجعله يشعر أنه رجل مثلهم، أحضرت إيتا كوبا من الشاي لأيال ورحلت عنهم فنظر منشاري لأيال وقال له.

- متى ستنضم إلينا من اجل الصيد يا صديقي.
- لا اعلم، لا اعتقد أني سأذهب للصيد في هذه الأيام. قال أيال في هدوء.
- ولم ذلك يا صديقي. قال منشاري.
-لأن كلبتي قد ولدت خمسة كلاب صغار وعلى أن اعتني بهم جميعا.
- حسنا أنها لأخبار جيدة.

تكلم أيال بعض الوقت عن كلابه وعن الاعتناء بهم وشرب بعض الشاي الساخن وبعد فترة هموا بالخروج من المنزل وهما يحملان الشباك على ظهورهما استعدادا للصيد ولكن عليهم أولا أن يصطحبوا أيال الى المنزل وخرجت إيتا خلفهم تودع أيال ورفعت يديها ولوحت بها في الهواء وقالت.

- ودعا يا أيال، لا بد أن تأتي كثيرا سأصنع لك الكثير من الشاي.

ابتسم أيال كما ابتسم عمه وفهم أن وجود أيال معه سيمنحه هذا الوداع الجميل ويرى تلك البسمة الضاحة بين الضفيرتين الطويلتين، فكان أيال ضيف شبه دائم مع أهيال في زياراته الى منشاري بعد ذلك.

*****

الشاب الصغير.

مرت أعواما خمسة كبر أيال وتغير شكله، كما أصبحت مايانا تساعد أمها في المنزل وتركض في نشاط كل يوم في جميع أنحاء المنزل خلف أمها واكثر الأوقات وحدها تحاول أن تثبت أنها فتاة يعتمد عليها وأنها تستحق الحب الذي يعطيه لها جميع من في المنزل، كما أن النشاط الحاصل في المنزل لم يكن من فراغ فيتم الآن علي يمين هذا المنزل بناء منزل أخر جديد يساعد فيه عدد من شباب القرية كما يساعد فيه أهيال ومنشاري اغلب الوقت فالمنزل سيكون لزواج كاسكال فهو اختار عروس في القرية العام الماضي وتحدد موعد الزواج في منتصف الصيف، تبقى على موعد الزفاف شهر وهذه ليست بالفترة الطويلة حتي يكملوا المنزل الذي سيحتوي على ثلاثة غرف، فيحتاج الأمر الى إحضار عدد من الأشجار الميتة في الغابة وقصها وإحكام البناء حتى لا يتسلل البرد الى داخل المنزل، البرد في هذا المكان هو العدو الأول.

كان أيال يساعد في بناء المنزل على قدر استطاعته وكان هينوا هو الأخر يأتي ليساعد بين الحين والأخر. هينوا كان صبي ممتلئ دائري الوجه تقريبا في نفس عمر أيال، كان هينوا ينتابه فضول تجاه أيال يحب أن يتكلم معه أول يوم رأه تكلم معه قائلا.

- أهلا يا صديقي أنا اسمي هينوا أن لم تكن تعرفني، كنت أراك كثيرا وأنت تذهب مع عمك أهيال الى بيت صديقه منشاري، كنت الوح لك بيدي حتى تلعب معنا ولكن اعتقد أنك لم تكن تراني أو لم تكن تنتبه، اعرف أنك أيال ابن الرجل الشجاع أيتال، لكم أتمنى أن أكون مثل أباك في شجاعته وشهرته، أتعرف أن جميع فتيان القرية يريدون أن يكونوا مثل أباك، إنهم جميعا ينظرون له بكل التقدير والإعجاب، يقولون إنه منذ سنوات عديدة ونحن صغار هجمت دبة على القرية وكان هو من حاربها ولقنها درسا كبيرا وجعلها لا تعود الى القرية مرة ثانية كما تكثر الحكايات عن أبيك،..... عذرا يا صديقي لماذا لا تتحدث.

كان أيال لا يعرف ما يقول فهو لا يعرف تلك الحكايات عن والده، فهو بداخله نفور من أباه ولا يعرف معنى كلمة الأب حتى بالنسبة له عمه

أهيال أفضل بكثير من أبوه أيتال فعمه أهيال يصحبه في كثير من الأوقات الى التنزه حتى النهر والى بيت صديقه منشاري ويكثر حديثهم سويا كما أن عمه أهيال سبب في تعرفه على إيتا التي يحبها كثيرا، فهي لطيفة الى حد بعيد ودائما ما يصادفها عند النهر وهو يتنزه مع عمه أهيال ودائما ما تقول له كلاما لطيفا جدا وتبتسم في وجهه، أما أباه فهو لا يأخذه في أي نزهة ولا يتحدث معه أطلاقا.

كان هينوا ينظر الى أيال وهو ساهما فقال له.

- أه أنت لا تتحدث مثل أباك، يا الهي، الولد بالطبع يرث صفات أبيه، هذه من صفات الشجاعة إذن عدم الحديث الكثير، أنا احب ذلك، أنا أيضا أحاول أن لا أتحدث كثيرا مثل أباك، أحيانا اجلس خلف منزلنا لمدة طويلة لا احدث أحدا ونظر في الأفق ولكن صراحة لا اعرف ما يعني هذا ولكننا جميعا نرى أن والدك شجاعا جدا ولكنه لا يتحدث فكلنا نريد أن نكون مثله، أمي أيضا تشجعني على عدم الحديث الكثير وتقول أنني أتحدث كثيرا ولكنني لا اعتقد ذلك، اعتقد أنني أتحدث بقدر معتدل كباقي الناس ولكن ما اعجز عن فهمه هو أن الناس يسمعونني اكثر ما يتكلمون أظن أن كلامي من الممكن أن يحتوي حكما ولذلك يسمع الناس كلامي اكثر ما يتحدثون معي، أتعرف، جدتي قالت لي مرة، كثرة الحديث تنم عن تشتت العقل وعدم الثقة بالنفس ولكن كثرة السماع تجلب الحكمة، اعتقد أن الناس تريد الحكمة مني كما يريدون الشجاعة من أبيك، أتعرف أنه يقال أن أباك اهدي لامك بعد زفافها جلد نمر كبير، يقال أنه صارعه وقاتله في الغابة بعد زواجه بشهر ولذلك ترى امك ترتدي هذا الفرو طوال الشتاء، كما يقال أيضا أنه صارع دبا في الغابة وقتله علاوة على أنه الوحيد القادر على صيد الغزلان في هذه البلدة، أتعرف أن جميع أهل البلدة متطلعون جدا ليوم زفاف عمك كاسكال حتى يتزوقوا طعام الغزلان الذي لم يتذوقوا منذ فترة طويلة..... صديقي أنت لا تتكلم ولا تومئ ولا أي شيء، أتعرف أن أبوك يهز رأسه عند الحديث مع بعض الناس ويحيي الناس رافعا يده ولكنك لا تفعل أيا من هذا ما بك يا صديقي.

لم يرد أيال على هينوا ولكنه أنصرف للاعتناء بكلابه بينما كان عمه أهيال يجد في صناعة المنزل بكل همة ونشاط، كان يفكر في إيتا حبيبته الجميلة ذات الضفيرتين الطوال والوجه الناعم، يفكر في اقتراب وعده لها في الحديث لصديقه منشاري لخطبتها، كما يفكر أيضا في منزله الذي سيبنيه لزواجه من إيتا ويفكر أن يصنعه اكبر من هذا حيث سيكون خمسة غرف لا ثلاثة ويفكر أن يتحدث مع أخيه أيتال ليصطادوا سويا دبة كبيرة ويصنع من فروها سرير ناعم له ولإيتا، يفكر في اقتراب اقترانه بحبيبته التي احبها لفترة طويلة، يبني وهو يتذكر ابتسامتها وعيناها اللامعة ولقاءهم المتكرر عند النهر وكلامهم سويا يتذكر حين مره قالت له عند النهر.

- هل لو كنت صديق شخص أخر غير منشاري، هل كنت أحببت أخته.

كانت تقول هذه الكلمات وهي تبتسم ابتسامة ماكرة منتظرة الرد وتراقب كل حركاته، حينها تنهد أهيال ونظر أرضا ثم نظر في الأفق وبعدها نظر اليها وقال.

- أن كنت صديق شخص أخر غير منشاري لم أكن لاحب أخته، كنت سأحبك أنت، هل تصدقينني أن قلت لك أني لم أكن اصدق نفسي عندما نبع حبك في قلبي.
- كيف هذا؟ قالت إيتا.
- الفارق بيننا في العمر خمسة أعوام، صحيح؟
- نعم هذا صحيح.
- لم يكن يخطر ببالي أن احبك يا إيتا، أنك كنت في مثل أختي الصغيرة ورأيتك تكبرين أمام عيني فكان فكرة أن احبك بعيدة جدا عن خيالي، أقول لك الحق، حبك اقوى مني، لقد قاومته كثيرا حفظا على علاقتي بأخي منشاري ولكن كان حبك اقوي مني، اعتقد أن حبك حل علي كما تحل الثلوج على مياه البحر فتوقفها في مكانها ولا تستطيع الماء إلا الاستسلام والتحول الى ثلوج، لقد استولى حبك علي وغلب مقاومتي له بل وحولني كلي الى حب فيك، يا وجه القمر، وجهك دائري مضيء كالقمر، شعرك

كمثل شعر الجواد الذي يذكر في الأساطير، عندما تنظرين الي تبعثين الي أشعة حب وفرح تبعثينها الى صدري الى داخل قلبي، بالضبط كما تشع الشمس دفئها على الأرض والغابات.

- توقف أرجوك يا أهيال، كلامك أصابني بالدوار، لكم أتمنى أن يحل موعد زفافنا.
- وأنا كذلك يا حبيبتي أتمنى أن أحيا معك طوال عمري، يا خليلة روحي، أتعلمين أني ارسم وجهك على وجه القمر بخيالي.
- لا تعذبني بكلامك العذب أرجوك. كل ما أتمناه في الدنيا أن أكون بجوارك، أن أكون زوجتك وتكون أنت نصيبي من الدنيا، لا أتمنى شيئا أخر.
- سيحدث ذلك يا حبيبتي.

يتذكر دائما أحاديثهما المختلسة سويا، يستيقظ كل يوم وعلى وجهه ابتسامة لأنه يعرف أنه سوف يراها عندما يذهب الى صديقه.

هبت عاصفة شديدة في يوما من الأيام والعاصفة في هذا المكان لا تشبه شيئا أخر، الرياح هنا تأخذ الثلوج الناعمة من على الأرض فيكون لون الرياح ابيض ويكون الجو بارد لأقصى درجاته، عندما هبت العاصفة قال أهيال في نفسه أنه لن يستطيع أن يرى حبيبته اليوم ولذلك كان منزعجا بعض الشيء ولكنه قال غدا ستهدأ العاصفة وحينها اذهب لمنشاري وبالتأكيد سأراها ولكن في اليوم التالي لم تهدأ العاصفة بل اشتدت، كان يجلس كأنما يجلس فوق ماء يغلي لا يستوي في جلسته أبدا يريد أن يذهب ليرى وجهها حاول أن يفتح الباب ولكن الرياح كانت شديدة وبالكاد فتحه ولكن عندما نظر في الخارج كان كل شيء لونه ابيض لم يرى أمامه لمقدار ذراع واحد فكل شيء ابيض كأن القرية كلها غارقة في أناء كبير من اللبن الخالص، لم يستطيع حينها أن يخرج من المنزل وعنفه أبوه وأخوته على فتحه للباب في هذا الجو الصعب فهم يحاولون الحفاظ على درجة الدفء في المنزل في مثل هذه الحالات.

استمرت العاصفة لمدة ستة أيام كاد فيها أهيال أن يفقد صوابه، كان عصبيا لدرجة كبيرة ولم يكن يأكل كالمعتاد، ولم يكن ينام، تغير وجهه وبدأ جسده بالنحول وكان لا يتحدث مع أحد ولا يطيق أن يجلس مع الجمع بل كان دائما ما يجلس وحيدا وعند انتهاء العاصفة ذهب راكضا الى بيت إيتا وفتحت له أمها الباب ورحبت به فخاف أن يكون أصابها مكروه ثم رحب به صديقه منشاري وقال.

- لقد اشتقت اليك يا صديقي.

لم يكن أهيال مدرك لحديث منشاري بل كان يفكر في إيتا، أين هي، هل حدث لها مكروه، كانت الكلمات ستفلت من فمه ويقول أين هي، أين إيتا حبيبتي لقد اشتقت اليها، ولكنه تمالك نفسه ووجد صديقه يكرر عليه الحديث وضربه على كتفه ثم قال له.

- ما بك يا رجل، أكلمك ولا ترد، هل أصابت العاصفة أذنك، هل بك من شيء.

أنتبه أهيال حينها فقال.

- لا يا صديقي لم يصيبني شيء، كنت أخشى عليك أنت واهلك في الأيام السابقة.
- كانت عاصفة شديدة يا أخي لم أرى مثل قوتها من قبل، أتعرف لقد نفذ ماءنا ليلة أمس ولذلك ذهبت الصباح حين هدئت العاصفة قليلا لأحضر بعض الماء، كانت مخاطرة كبيرة.

سمع أهيال تلك الكلمات حينها وعمت رأسه الأفكار والقلق إذن أين إيتا فهي من تذهب الى النهر في العادة، ماذا أصابها وظل منشاري يتحدث عن شدة العاصفة وأهوالها حتى جاءت امه بالمشروب الساخن وحينها ازداد قلق أهيال وكانت أم منشاري تسعل وهي تمشي فهم أهيال بالوقف وعلى وجهه الكثير من علامات القلق وقال.

- لما أحضرت الشاي بنفسك يا أماه؟ يظهر عليك علامات المرض، ما بك يا أماه. سأل أهيال.
- أظن أن البرد أصابني كما أصاب إيتا بشدة أظن أننا لم نأكل الكثير من الدهن في الأيام الماضية حتى يدفأ جسدنا. قالت والدة منشاري.
- لا تخشي شيئا يا أماه.

قال أهيال هذه الكلمات وخرج من المنزل في سرعة البرق وذهب الى منزلهم وسأل امه وسأل سيانا عن باقي دهن الأسماك فقالوا لقد استهلكوه كله في الأيام السابقة، اخذ اخوه كاسكال من يده ومشي به دون أن يتكلم معه واخذ الشباك على ظهرة وتوجهوا للبحر لكي يصطادا بعض الأسماك الطازجة وهم في الطريق ابلغ أخيه أن أم صديقه منشاري مريضة وبها سعال شديد وتشعر بالبرد وهم في حاجة الى بعض الدهن من السمك الطازج.

اصطادا يومها فيما يقرب من عشرون سمكة، كانا عدد الأسماك قليلا ولكنه كان يكفي لاستخراج كمية مناسبة من الدهن لصناعة حساء دهن الأسماك الذي يعطي الجسم الحرارة التي يحتاجها، ذهب أهيال بالأسماك والدهون التي استخرجها هو بنفسه الى بيت صديقه وأعطاهم الدهن حتى يصنعوا حساء دهن الأسماك ويأكلوا بعض الأسماك الطازجة وكانت والدة منشاري تصفه بالصديق الشهم منذ ذلك اليوم فهي أحبت خوفه عليها وعلى صحتها ولكنها لم تعلم حقيقة الأمر.

في اليوم التالي ذهب الى صديقه منشاري ليصطحبه الى الصيد وفتحت منشاري الباب بنفسه وكان على ظهره الشباك، كان مستعدا وفي انتظار صديقه، لم يستطيع أهيال أن يطمئن على حبيبته في هذا اليوم ولذلك لم يكملا صيدهم بل جلبوا بعض الأسماك وقال أهيال أنه به تعب ولا يستطيع إكمال الصيد في هذا اليوم.

وفي اليوم الثالث ذهب أهيال وطرق الباب ففتحت أم منشاري وكانت صحتها قد تحسنت وقالت.

- أهلا بالصديق الشهم، شكرا لك يا بني، لقد تحسنت صحتي بعدما شربت حساء الدهن وكذلك تحسنت إيتا قليلا لقد ظلت خمسة أيام طريحة الفراش وكانت بها حمى شديدة والآن هي أفضل، شكرا لك يا بني.
- لا أماه لا تشكريني، لم افعل إلا ما يتوجب على الابن فعله.

قال أهيال هذا الكلام في ارتياح وبسمة لأنه سمع أن إيتا أصبحت بصحة أفضل وسمع أحد يتحرك خلف والدة منشاري فاذا بها إيتا تتسند على الجدار وتقف مبتسمة لحبيبها فكاد يطير فرحا لما رآها وكادت أم منشاري تكتشف الأمر لولا أنها التفت حينما سمعت الصوت الذي خلفها وقالت حينها.

- حمدا للرب على سلامتك يا بنيتي، لما غادرتي الفراش، سآتي لك ببعض الشاي حالا.
- لا يا أماه أنا بخير أنا من سيصنع الشاي، لا تخافي أنا بخير الآن.

ثم التفت إيتا الى أهيال وقالت.

- شكرا على حساء الدهن لقد كان ذا نفع كبير.

قالت إيتا هذه الكلمات ثم ذهبت في صمت الى المطبخ فرد أهيال في هدوء وقال.

- لا تشكريني يا أختاه.
- تفضل بالدخول يا بني. قالت أم منشاري

لم أهيال يصدق أنه قال تلك الكلمة لحبيبته "يا أختاه" ولكنه كان مجبر على ذلك، جلس حينها مع صديقه متهللا سعيدا وجاءت إيتا إليهم

بالشاي الساخن وكانت الحياة قد عادت الى عروقها وأوردتها فنشطت وتحسنت صحتها كثيرا.

يتذكر أهيال هذه القصة وكثيرا من قصصه وذكرياته الجميلة مع إيتا، هذه الفتاة التي غيرت عالمه وغيرت حياته، فهو يجلس أحيانا في أيام الصيف الدافئة ويشاهد القمر أو يسرح في الأفق ويسأل نفسه ماذا كانت ستصبح حياتي لو لم توجد إيتا فيها؟ وكانت الإجابات كلها أشياء بلا لون ولا طعم ولا روح، وجودها في حياته جعله اسعد مما كان وجعل لحياته معني وكانت تنتهي به الإجابات الى جملة مختصرة " أن لم تكن إيتا حبيبتي في حياتي، فحياتي جسد بلا روح"

كان أهيال يفكر على تلك الحالة أيضا وهو يساعد في بناء بيت أخيه كاسكال، كان يبني بصورة أنشط مما يبني بها كاسكال نفسه.

***

أما أيال فترك البناء بعد الحديث مع هينوا وذهب ليجلس أمام المنزل يفكر في كلامه عن أبيه وانشغل باله كثيرا فلم يدعوه أبيه مرة واحدة ليذهب معه الى الصيد وأقرانه من الفتيان بدأوا يتعلمون الصيد في هذا السن، انشغل أيال كثيرا في فكره وهو يجلس أمام كلابه فجاءه الكلب الأصفر، كان هذا الكلب بالذات يأتي الى أيتال كلما كان مهموما أو مشغول البال فيرقد على الأرض ولا يتحرك ولا يصدر أي صوت كأنما يشارك أيال فكره وانشغاله ثم بعد فترة من هذه الصمت ينهض الكلب الأصفر بهدوء ويدور ببطء حول أيال وهو يتمسح فيه ولا يسع أيال حينها إلا أن يمد يده على فروه الأصفر الناعم ويداعبه ليزيد الكلب الأصفر حينها من حركته ونشاطه وينتقل هذا النشاط الى أيال فينتهي بهم الأمر باللعب والقفز سويا في الهواء ويبتسم أيال ويضحك فينضم اليهم بعض الكلاب الأخرى للعب والمرح فكما الحزن والاكتئاب معدي يكون الفرح معدي، لذلك كان أيال يحب الكلب الأصفر كثيرا يحبه لأنه لا يتركه مهموما أبدا

بل يتحايل عليه دائما ويخرجه من فكره في علاقته بأبيه الذي لا يجد بينهما أي رابط عاطفي، يخرجه من ذلك الصمت الرهيب الذي يدخل فيه دائما.

*****

داخل الغابة.

بناء منزل زواج كاسكال كان يتم على قدم وساق وكان أهيال متحمس للغاية لأنهاء هذا المنزل فالجميع كان يذهب للصيد في الصباح ثم يأتون بعد تناول وجبة الغذاء ليكملوا البناء، أما أيال فكان مشغول بشيء أخر من وقت حديث هينوا له عن أبيه وعن أمجاده في الصيد ومصارعة الحيوانات المفترسة فكان كل صباح يخرج خارج المنزل ليشاهد أباه وهو يحضر نفسه للصيد، يقطع بعض قطع الأسماك والخبز وبعض قطع الأرانب ثم يضعهم في جوال صغير يحمله على ظهره ويحمل عصاه الثقيلة في مكان مخصص لها على ظهره بجانب ذراعه الأيسر ثم يعطي كلبيه البني والرمادي قطعتين صغيرتين من اللحم ويضع خنجره في جيب ظاهر على قدمه اليسرى ثم يهم بالرحيل ويتبعه كلبيه.

كان أيال يريد حقا أن يتحدث مع أباه ويقول له أنه يريد أن يذهب مع للصيد ولكنه لم يستطيع قول هذا فهو لا يعرف كيف يتحدث الى رجل لا يتحدث ولا يريد أن يتحدث، كان أيال ينظر الى أباه بتمعن ولكن أباه نظر اليه نظرة فيها شيء من الابتسام الخفيف ثم رحل واختفي بين الأشجار الى داخل الغابة.

غضب أيال غضبا شديدا وذهب غاضبا الى الغرفة وشاهدته امه وهو في غضبه هذا فتبعته ثم سألته.

- ما بك يا بني.
أندفع أيال بلهجة غاضبة قائلا.

- لما تزوجت هذا الرجل. الم تجدي خيرا منه زوجا لك.

صعقت سيانا من هذا السؤال فشهقت ووضعت يدها على فمها ولكنها تمالكت نفسها فهي تحب أيال حبا شديد ودائما تفكر في أنها قد ظلمته بخوفها الشديد عليه كما صرح لها بعض الناس بذلك أيضا، جلست سيانا بجوار أيال على الفراش وقالت بلهجة هادئة.

- هل يعقل أن تقول مثل هذا الكلام على أبوك.
- أنا لا اشعر أن هذا الرجل أبى، في الحقيقة أنا لا اشعر تجاهه بأي مشاعر فهو أن اختفي في الصباح لن اشعر بأي شيء مختلف.

لم تصدق سيانا ما سمعت ولم تدري ما تقول لترد على ابنها فصمت قليلا وهي تنظر اليه وهو في ثورته وغضبه فتابع كلامه قائلا.

- جاوبيني يا أمي كيف تزوجت هذا الرجل، أرجوك جاوبيني لأن هذا شيء يحيرني، اسمع من الجميع أنك كنت ولا زلت أجمل نساء هذه البلدة فكيف تتزوجين أبي، أنا لا افهم.
- أتريد أن تعرف كيف تزوجت أباك.
- أرجوك أريد أن افهم.
- حسنا اسمع ذلك، أنا سأقص عليك هذه القصة لتعرف من هو أبوك الذي اخترته ولكن أحذرك أن تقول مثل هذا الكلام ثانيا.
- أرجوك يا أمي اشرحي لي كيف حدث الأمر.
- اسمع في بادئ الأمر كنت امقت والدلك مقتا شديدا.
- هذا ما يجب أن يكون.
- أتريد أن تسمع أم لا؟
- طبعا يا أمي أريد أن اسمع.
- إذن فلتصمت ولا تقل كلاما فارغا.
- حسنا.
- في البداية كنت اكره والدك وكنت أظنه شاب يحب أن يفتخر به الناس وكنت افسر صمته هذا على أنه كبرياء شديد، كنت أراه صماتا يمشي بكل جدية وكانت كل فتيات القرية يحبونه حبا شديا فهو كان مهيبا كما هو الآن ولكني كنت أراه صامتا طوال الوقت ولا يتكلم أبدا ولا حتى يلقي السلام على احد وإن حياه أحدا فهو يومئ برأسه أو يرفع يده في برود هذا كل شيء، كنت أظن أن هذا اكبر نوع من أنواع الكبرياء والعجب بالنفس وفي ذات مرة هجم نمر علي القرية فهرب كل الرجال خلف نسائهم وأطفالهم الي داخل بيتوهم وكان أبوك عائدا من الصيد وكان معه مجموعة من الأرانب التي اصطادها، كنت أراقب الأمر من خلف الشرفة،

رأي النمر أباك يخرج من الغابة ويحمل تلك الأرانب فتوجه نحوه يركض سريعا، كل الناس شاهدوا أباك وهو يلقي بالأرانب من على ظهره جانبا واعتقدنا جميعا أن أباك سيركض بعيدا ولكن ما حدث غير ذلك وجدناه يمد بيده اليمنى الى ظهره على الجانب الأيسر ليخرج عصى كبيرة ومد يده اليسرى الى رجله اليمني وأخرج خنجر وكان خلف أباك كلبه الرمادي وكلب أخر اسود كان أبوك يحبه كثيرا قلته دبة وعمرك عامان، تراجع الكلبان حينها خلف أبوك وكانت الأرانب على يسار أبيك، كانت كل الناس تعتقد أن أباك سيهرب في اللحظة الأخيرة فما من عاقل في هذه الدنيا يقف أمام نمر جائع ولكن النمر اكمل الركض تجاه الأرانب وحينها اخذ أبوك خطوة الى اليسار ليكون أمام الأرانب الملقاة على الثلج وحال بين النمر والأرانب فأسرع النمر ناحية أباك ولم يهتز أبوك حينها بل امسك بالخنجر والقطعة الخشبية بشدة وعندما اقترب النمر مندفعا قفز على والدك ليرفع والدك النمر بالخشبة ويدب الخنجر في رقبته وسقط النمر حينها على والدك وسال دم النمر على وجه أباك وعلى الثلج الأبيض، خرج جميع أهل القرية ليحتفوا بابيك ولكنه اخذ أرانبه على ظهره ورحل بوجهه الملطخ بدماء النمر الساخنة كان شيئا لم يكن، كان الناس يحيوه وهو ينظر ويبتسم ويمشي ويهز رأسه، حينها كاد الدم أن ينفجر في رأسي هذا الرجل مغرور فعلا وتساءلت لماذا يفعل هذا الرجل هكذا وظلت الفتيات تتكلم عنه وعن قوته وشجاعته وكل منهم تتمناه زوجا أما أنا فلا أتمناه زوجا أبدا حتى ولو كان أخر رجل في الكون، ولكن كل شيء تغير فالأنسان دائما عدو ما يجهل.

- كيف تغيرت الأمور يا أمي؟

- في يوم من أيام الشتاء القارص كنت أصبت بالملل الشديد، كانت الشمس لم تشرق منذ أكثر من عشرون يوما وكان الجو شديد البرودة وملل، لم اخرج من المنزل لفترة طوية وكدت أن أموت من الملل وفي ذلك اليوم كانت الرياح شديدة وقررت أن اخرج من المنزل بأي ثمن، بكيت كثيرا الى أمي يومها حتى تتركني لأذهب الى احدى صديقاتي في منزل قريب من منزلنا ووافقت لأنها ملت بكائي، خرجت من المنزل وكان الجو

قاتل وكنت ارتدي معطفا مصنوع من فرو كثيف وتلمست طريقي على جدران المنازل حتى وصلت الى صديقتي، جلسنا وتسامرنا سويا وردت روحي الي بعدما كدت أن أموت فحديث الأصدقاء يحي الدم في العروق، ضحكنا كثيرا يومها ونسينا برودة الجو وشدة الرياح وبعد أن دمعت من كثرة الضحك هممت بالرحيل وخرجت وأنا اشعر أن روحي أصبحت اخف من ذي قبل وكنت امشي بحذر ولكن هبت ريح شديدة دفعتني بشدة ورفعت عني الفرو فدفعت الرياح الفرو ودفعتني معه بشدة حملتني الرياح فوق الأرض قليلا وحينها شعرت بالخطر الشديد وكان لابد أن افلت الفرو حتي لا أطير في الهواء اكثر، فتركت الفرو وطرحتني الرياح أرضا على شجرة فعلقت قدمي تحت جذر من جذور الشجرة كان ظاهرا فوق الأرض ولم استطيع أن اخرج قدمي وحاولت بكل قوتي أن أخرجها فلم استطيع وبدأ البرد يدخل الى عظامي وشعرت أن قلبي كاد أن يتجمد وحاولت الصراخ ولكن لم يسمعني احد اعتقدت أني ميتة لا محالة، وفكرت حينها أنه كان يجدر بي أن أموت من الملل على أن أموت من البرد وحيدة متجمدة، بدأت حينها أرى خيالات لجدي وجدتي المتوفين وهما ينظرا الي بحسرة ويقولا "يا للحسرة ستموت وحيدة متجمدة" وكانا يبكيان بشدة على حالي وفجاءة ظهر شخص في الظلام لم اعرفه ولم اكن أعي جيدا أكنت احلم أم كان الأمر حقيقة فكنت حينها قد دخلت في سكرات لا اعرف منها الواقع من الخيال ولكن حين اقترب عرفت أنه أباك ساعدني بأن رفع جذر الشجرة واخرج قدمي وبعدها خلع معطفه وغطاني وحملني وذهب بي الى المنزل ووضعني ورحل بعدما أعطته أمي معطفا أخر، لقد أنقذني أبوك أنقذ حياتي، لما عرف أبي الأمر ذهب اليه ليشكره وجده مريضا جدا، أتعرف يا بني كم شعرت بالندم حينها على ظني السيء بأبيك بهذا الرجل الذي أنقذني من الموت وكان من الممكن أن يموت هو الأخر، كانت حالتي سيئة جدا وكنت ارسل أبي يوم بعد يوم ليزوره ولما تحسنت صحتي صممت على أن اذهب مع أبي لزيارته وطلبت أنا حينها الزواج منه ووفاق هو ولم يعارض أبي، لقد قررت أن ارتبط بالرجل الذي عنده استعداد أن يضحي بحياته من اجلي، أنت لا تعرف أباك جيدا يا ولدي، لم اكن لاختار غيره زوجا لي.

- ولكنه لا يتكلم يا أمي لا يشعر بي.

- أنت لم تقترب منه يا صغيري حينما تقترب منه ستعرفه جيدا وتحبه كثيرا.
- إذن سأذهب للصيد معه.

فكرت سيانا قليلا ولم تستطيع أن ترد وظهر التردد على وجهها فقال لها أيال.

- أريد أن اذهب للصيد معه هكذا سأكون قريبا منه.

لم تستطيع سيانا رفض ذلك الطلب فهي تريد أن يكون ابنها على وفاق مع أبيه الى جانب سبب أخر مهم هو أن على الفتى أن يتعلم الصيد، أما صيد الأسماك وهو الأسهل والأمن أو صيد الطرائد لأن الحياة في هذا المكان تعتمد اعتماد كليا على توفير الفرد لاحتياجاته واحتياجات من يعول من طعام وشراب وملبس فلابد أن يتعلم ابنها ذلك وإلا لن يقبل أحد بتزويجه لأبنته.

***

في اليوم التالي خرج أيال من المنزل بعد الإفطار مباشرة متطلعا أن يدعوه أبوه للصيد معه في الغابة، جلس هناك خارج المنزل يداعب كلبه الأصفر ولكنه لم يكن مرتاح فهو متوتر ويفكر هل سيدعوه أبوه للذهاب معه فعلا أم لا هو متأكد أن امه قد تحدثت مع أبيه في هذا الأمر ولكنه لا يعرف إذا كان وافق على هذا الأمر أم لا. كان يمرر يده على كلبه بسرعة ويرده تهتز على غير عادته بينما خرج أبوه وبيده قطعتين من الأرانب التي اصطادها بالأمس، قطعتين صغيرتين جدا من الأرانب لا تسمن ولا تغني من جوع القاها لكلبيه فأكلوها في نهم مع أن تلك القطعتين لا يصلحا إلا للتذوق وفقط.

وضع أبوه القطعة الخشبية على ظهره وأخذ الخنجر وأخذ يقطع قطع أخرى من الأرانب ثم وضعها في جوال صغير ملطخ بالدماء، كان أيال يراقب كل هذه الأمور منتظرا أي كلمة من أبوه أو حتى نظرة تدعوه

للذهاب الى الصيد معه، ولكن أبوه هم بالذهاب الى الصيد وخطى بعض الخطوات متجها الى الغابة وبدأ أيال يفقد الأمل في أن يذهب للصيد يومها وبدأ في لعن أباه في عقله مئات المرات وهو ينظر اليه وهو يبتعد قليلا تجاه الغابة وفجأة توقف واستدار ونظر الى أيال وأشار اليه برأسه أن يتبعه، لم يصدق أيال ما حدث نهض من مكانه مسرعا فرحل عنه الكلب الأصفر وهم أيال بمتابعة أباه فاستوقفه مشيرا اليه بيده بإشارات لم يفهمها أيال مما دفع أبوه للكلام.

- اختر كلبا للصيد.

لم يعي أيال تلك الكلمات في بادئ الأمر ولكنه كأنما استرجعها في رأسه لأنه يعرف أن أباه لا يعيد كلاما أبدا، فعلم أن أباه يريده أن يختار كلبا ليصاحبه أثناء الصيد كما يصاحب أبيه كلبين، لما طالت فترة تفكير أيال أشار اليه أبوه بيده أن يختار من بين الكلاب فنظر أيال لأبوه وأشار الى الكلب الأصفر ثم نظر الى أبيه منتظر منه موافقته على هذا القرار ولكن أبوه أشار له أن يتبع هو وكلبه.

مشي أيال خلف أبوه مع كلبه الأصفر متطلعا الى عالم خفي داخل الغابة فتلك هي أول مرة تطأ فيها قدمه خلف أشجار الصنوبر الطويلة الكثيفة، طالما نظر اليها وهو يجلس خارج منزلهم، فهي مجهولة تماما بالنسبة اليه، يري أبيه يرجع من الصيد ولا يدري كيف تم صيد هذه الأشياء، سمع قصص وأحاديث عن الغابة من الناس وسمع عن حيوانات تقتل بشر داخل هذه الغابة كما سمع من هينوا عن بعض مغامرات أبيه داخل هذه الغابة وصيده للغزلان الذي دائما ما يكون في الوقت المناسب.

كان على الأشجار بعض الثلوج التي لم تذوب من أثار الشتاء الماضي وكانت قطرات الماء تنزل من فوق فروع الشجر صانعة ثقوب فيما تبقى من الثلوج على الأرض، كان أيال ينظر الى الشجر بمهابة فالشجر طويل جدا مرتفع في السماء يعلن عن وجوده في هذا المكان بهذه الكثافة وهذا الارتفاع، فكأن الأشجار تقول نحن هنا أيها الأنسان، نحن هنا من قبلك،

نحن موجودون هنا منذ القدم واقفون شامخون في سماء هذه المنطقة قبل أن تحل أنت الى الدنيا وسنبقى هنا بعدك. (أو كذلك كان يفكر أيال الصغير الذي اخذ بمهابة الأشجار وكثافتها وارتفاعها).

كان الكلب الأصفر يمشي خلف أيال لا يدري أين هو ذاهب يمشي ينظر الى اعلى والى اليمين والى اليسار خائف من هذا المكان الجديد المجهول تماما كما يشعر صاحبه أيال فكان يمشي تارة خلفه وتارة بمحاذاته ويرفع رأسه المدببة وهو يمشي مهتز بعين مرتعشة وينظر الي أيال فيجد أيال ينظر الى أبيه في الأمام وخلفه كلباه البني والرمادي، كان الكلبان يمشيان في ثقة وجد كما يمشي صاحبهما أيتال وبعد مضي بعض الوقت من المشي في الغابة الزلقة نبح الكلبان نباحا عاليا وركضا تجاه شجرة كبيرة على اليمين فأسرع أباه خلف كلابه واسرع خلفه أيال حتى لا يفوته شيء فوجد ثعلب صغير ميت بين جذعين من الشجر وفي فمه قطعة صغيرة من لحم أرنب.

كان الكلب البني يقف فوق الجذع الأعلى بينما يقف الكلب الرمادي بمحاذاة الثعلب ووقف أيال ينظر الى هذا المشهد فجاء أبوه ورفع الجزع فنزل الكلب البني بسرعة والتقط الثعلب بفمه وجره من بين الجزعين ثم رفع الثعلب الميت المتجمد كالخشبة الصلبة الى صاحبه فوضع أيتال الجزع ثانيا ثم وضع الثعلب جانبا، وأخرج الجوال الصغير الذي يحوي قطع الأرانب الصغيرة وأخرج قطعة ونظر فيها وحينها التف الكلب الأصفر حول أيال وحاول أن يقترب من الثعلب الميت وفتح فمه ليقضم منه قضمه فنبح الكلبين الأخرين وركضا في اتجاهه فتراجع مسرعا ووقف خلف أيال فرجعت الكلاب.

كانا الجزعين هما مصيدة من مصايد أيتال في الغابة وقد اعدها مسبقا لصيد الحيوانات أكلة اللحوم وهو الآن يجلس أمام ابنه أيال بينما هو يراقبه عن كثب ويضع قطعة من لحم الأرانب الطازجة في قطعة خشبية رفيعة طولها شبرا تقريبا وحينما وضع أبوه قطعة اللحم كطعم في القطعة الخشبية الصغيرة رفع جذع الشجرة ووضع القطعة الخشبية التي

تحوي الطعم بين الجذعين وظل يوازن الجذع الأعلى بحذر حتى توازن فإن جاء أي حيوان ليأكل الطعم عليه أن يدخل بين الجذعين وحينما يحاول أن يأكل قطعة اللحم فستهتز القطعة الخشبية التي تفصل الجذعين ثم يسقط الجذع الأعلى عليه فلا يستطيع أن يتحرك وفي الغالب يموت ويتجمد.

راقب أيال أباه وهو ينصب تلك المصيدة وكان الكلب الأصفر من خلفه هو الأخر يراقب المشهد ولكن تظهر على وجهه علامات غريبة، أندهش أيال من كلاب أبيه فهي لا تقدم أبدا على قطعة اللحم ولا تظهر أي نية لأكلها فأنتظر حتى أنهى أبوه نصب المصيدة وكان أبوه هم بالمشي بعيدا عن المصيدة وتبعه أيال وسأله في تردد.

- أبي هل لي بسؤال.

التفت اليه أبوه في ابتسام خفيف وهز رأسه دلالة على الموافقة، فقال أيال.

- لماذا لا تقدم كلابك على اكل الطعم الم تفكر في أنها من الممكن أن تأتي وتفعل ذلك.

ابتسم أبوه بسمة واسعة وفتح فمه وقال.

- أنتظر وستفهم.

لم يكمل أبوه الكلمة إلا وقد سمعوا نباح الم شديد فالتفتا فوجدا الكلب الأصفر بين جذعي المصيدة وينبح نباحا رفيعا، ركض أيال تجاه كلبه وقد سبقه الكلبين البني والرمادي، كان الكلب الرمادي يحاول أن يجر الجذع بفمه ولكن كانت أسنانه تفلت من الجذع لأنه اثقل من أن استطاعته، نظر أيتال الى الكلب فوجده محشور بين الجذعين ويرفص بجميع أقدامه كمن يحاول أن ينقذ نفسه من الغرق ويصدر صوتا رفيعا وأيال يحاول

جاهدا أن يرفع الجذع ويدفعه بكل ما أوتي من قوة ولكنه فقط يهزه، فيسمع أيال نباح الكلب فاذا به نباحا مكتوما يدمي قلبه فيذهب مسرعا لينظر مجددا على وجه الكلب فينظر له الكلب نظرة حزينة جدا والدموع تنسال من عينيه وتسيل على وجهه المدبب الحزين، فيستجمع أيال كل قواه ويدفع الجذع الأعلى ولكن الجذع يذهب في الاتجاه الخاطئ ويطبق اكثر على رقبة الكلب فيصدر تأوهات استسلام فينظر أيال الى أبيه الواقف دون حراك ويقول.

- أبي هيا ساعدني في إخراج كلبي، أن الكلب يموت هيا يا أبي أرجوك.

يخطي أباه عدة خطوات بالقرب من الجذع ويضع رجله في الجانب الأخر من الجزع من الطرف البعيد ولكنه لا يفعل شيء فينظر له ابنه باندهاش لم يدم إلا بضع من اللحظة ورجع لينظر الى كلبه الذي بدأت قدماه تتحرك ببطء ظاهر وصوت نباحه اصبح مكتوما للغاية فيبكي أيال لهذا المنظر وهو ينظر الى الكلب الأصفر في عينيه الدامعتين الممتلئتان بالألم والاستسلام ثم يحاول أيال بكل قوته أن يرفع الجذع الأعلى وهو ينظر الى الكلب في عينيه فيرفع أبوه الجذع بحيث لا يراه الكلب الأصفر فيخرج الكلب بسرعة فائقة ويقف يلهث وهو ينظر الي المصيدة ويبتعد عنها ثم يقف أيال ويتجه تجاه الكلب الأصفر ويمسح على رأسه ويتفقد رقبته فينبح الكلب نباحا رفيعا كمن يشتكي الألم لصاحبه.

اقترب أيتال من ابنه وهو يتفقد كلبه وقال.

- لن يأكل طعم ثانيا، وسيكون كلبك الوفي.

وقف أيال الصغير ونظر الى أبيه نظرة فيها بعض الغضب والحقد وقال.

- أكنت تعرف أنه سيقدم على اكل الطعم.
- نعم. رد أبوه وهو يمشي الى الأمام.
- إذن لماذا لم تمنعه، كاد الكلب أن يموت. أتعرف كم أحب هذا الكلب.

توقف أيتال ونظر الى ابنه وقال في هدوء.
- هكذا تتعلم الكلاب.
- ولكن هذا درس قاسي جدا.

أكمل أيتال يومه مع أبيه ولكنه لم يعي أي شيء مما كان يفعل أبوه فقد كان يمشي هائما على وجهه خلف أبيه ويسيطر عليه منظر الكلب الأصفر تحت الجذع والدموع تنهمر من عينيه الصغيرتين يا له من منظر قاس لا يمحى من الذاكرة بسهولة.

****

كانت سيانا تجلس على قطعة خشبية أمام المنزل تنتظر خروج ابنها وزوجها من بين الأشجار وكلها قلق على ابنها الوحيد الذي تخشى عليه كثيرا ولكنها كان عليه أن تتركه ليذهب مع أبوه لأن الولد لابد له أن يقترب من أبوه والسبب الثاني والاهم هو أن أيال لابد أن يتعلم الصيد أي صيد وإلا سيكون عديم النفع في هذا المكان ولكن ترضى به فتاة للزواج ولن يستطيع أن يعيل نفسه في هذه البيئة القاسية، لم تتذكر سيانا الدبة منذ زمن طويل ولكنها تذكرتها اليوم وخشت على أيال أن تهجم عليه الدبة وتأكله انتقاما من أبيه الذي أهانها منذ سنوات وتذكرت تلك النظرة التي نظرت بها الدبة اليها والى ابنها أيال وهو صغير على كتفها كما أنها تذكرت مجيئها ليلا الى المنزل ومحاولتها لنبش الجدران.

كانت رأس سيانا تعصف بهذه الأفكار وتبتهل الى ربها أن يرجع لها ابنها سالما وفجاءة خرج أيتال ومن خلفه ابنه أيال من الغابة وكان أيتال يحمل ثعلبين وثلاثة أرانب فوقفت سيانا سعيدة وهي تنظر الى ابنها وزوجها وتشكر ربها على رجوعهم سالمين كأنما غابوا عنها أربعة أعوام ولا تعرف أخبارهم وعندما اقترب منها أيال ضمته الى صدرها الحنون الدافئ وقالت والدموع في عينيها.

- كيف كان يومك يا بني. كيف أنت، هل أصابك مكروه.
- أني بخير يا أمي، ما بك، ما هذه الدموع.
- اشتقت اليك يا بني، هذا كل شيء.
- لم أغب كثيرا يا أمي. أحدث شيء لجدي أو جدتي.
- لا يا بني الجميع بخير. أخبرني كيف كان يومك.
- كان لا بأس به.
- هل أحببت الصيد.
- ليس كثيرا يا أمي.
- اعتقد أن صيد الأسماك أفضل لك ستحبه كثيرا.

التفت أيال ليجد أباه يمسك أرنب من الأرانب التي اصطادها ويرفعه عليا بعدما وضع كل صيده على الأرض ووجد الكلبين البني والرمادي يلتفا

حول أبيه وينبحا وهما يقفزان في الهواء وهو ما لم يراه من قبل طوال النهار فلم يجرؤا على القرب من أي من الصيد الذي جمعه أبوه بل كانا يحضران الصيد دون أن يبديا أي رغبة في الأكل منه مع أنهم لم يأكلا إلا قطعة صغيرة من اللحم في الصباح، وجد أبوه يمسك سكينا ويقطع قطعا من الأرانب ثم يعطي كلبيه وقطع قطعة أخرى ثم أشار الي أيال أن يأتي ويأخذها فمد أيال يده ثم أشار أبوه على الكلب الأصفر الذي كان يقف خلف صاحبه حزينا خائفا فمد أيال يده اليه بقطعة اللحم ومسح على رأسه وعلى رقبته فسمع أيال أبوه يقول له.

- لابد أن تطعم كلبك من صيدك ولكن بعد انتهاء الصيد.

هز أيال رأسه في صمت وهو يمسح على رأس كلبه الذي كان يأكل ببطء.

أخذت سيانا ابنها من يده ودخلت المنزل وشاهد الجد منظر الفتى الصغير وهو متغير الوجه فحاول أن يتحدث معه قائلا.

- ماذا حصدتم اليوم يا أيال.

لم يسمع أيال سؤال جده ولم يعي أنه يتحدث اليه وكان يجلس مطأطئ الرأس وينظر في الأرض ويبدو عليه التيه والحزن، كرر جده السؤال فلم يسمعه ثانيا فقالت له امه.

- جدك يسألك عن الصيد، يقول ماذا حصدتم اليوم؟

أنتبه أيال حينها ونظر الى جده وقال له.

- أبي اصطاد بعض الأرانب وثعلبين.
- أنه لصيد جيد يا بني. أتعلم كيف تعلم أباك الصيد.
- كيف يا جدي. رد أيال في قليل من الاهتمام.

- لقد كان يصاحبني في الصيد كل يوم وهو في مثل سنك، أتعرف أن أباك لم يكن صيادا ماهرا في البداية ولكنه كان مثابرا كان يريد أن يتعلم ولذلك أصبح أفضل صياد في القرية غير أنه الوحيد الذي ورث مني مهارة صيد الغزلان، اشعر أنك سترثها عن أبوك بدورك يا بني، ستكون صيادا ماهرا جدا، أنا اعرف ذلك جيدا.

صمت أيال قليلا ثم نظر الى جده وقال بصوت خافت.

- اعتقد أني سأتحول الى صيد الأسماك لا أريد أن اذهب للغابة مع أبي مجددا.

كان أباه يسمع تلك الكلمات ولكنه لم ينزعج كثيرا بينما اندفعت امه وقالت.

- اذهب للصيد في الصباح الباكر مع أعمامك ثم تعال لتساعدهم في بناء بيت عمك كاسكال.

بينما تابع الجد حديثه وقال.

- صيد الأسماك مهم يا بني اذهب وتعلم مع أعمامك، اسمع هل قصصت عليك قصة الحيتان من قبل.

كانت مايانا تمر بينما سمعت هذا السؤال من الجد فقالت في حماسة.

- أنا أحب تلك القصة كثيرا يا جدي، لقد سمعتها منك مرات عديدة ولكني لا املها أبدا، أرجوك قصها علينا.
- هل سمعتها من قبل يا أيال. قال الجد.
- لا لم اسمعها.

اعتدل الجد في جلسته بينما كانت تنظر اليه الجدة وعلى وجهها بسمة لطيفة وقال الجد.

- كنت شابا في مثل سن عمرك يا أيال وكانت القرية اصغر من ذلك بكثير فكان يتعدى عدد البيوت هنا اكثر من عشرون بيتا وكانا في فصل الصيف وكانت الحرارة شديدة وكانت أمواج هذا البحر المتجمد تلعب وتهتز ولم يكن على سطحها أي ثلج كما كانت مياه النهر تسيل منسابة في البحر بسرعة كبيرة ولم يستطيع الناس صيد الأسماك حينها لأننا معتادون على الصيد من فوق الثلج وظل هذا الأمر لفترة ثلاثة أسابيع نفذ كل الطعام في البلدة ولم يعد أي مصدر للغذاء في البلدة فبسب حرارة الجو هربت كل الحيوانات من الغابة، كان الأمر سيئ للغاية، اجتمع أهل البلدة كلهم واتفقنا أن نقسم أنفسنا الى مجموعتين للبحث عن الطعام، مجموعة تبحث في الغابة ومجموعة تحاول أن تصطاد من البحر بأي طريقة ولكن كنا نرجع الى البلدة منهكين متعبين ولم نجد أي شيء ولم نجد أي وسيلة إلا اللجوء الى خالق السموات والأرض ظللنا نبتهل وندعو في خشوع وبكاء أن يعطينا ربنا بعض الطعام لأننا كنا نموت جوعا وحينها سمعنا صوت اندفاع ماء شديد على شاطئ البحر وأصوات أخرى غريبة تصاحب هذا الصوت لم نسمعها قبل ذلك فركضنا كلنا الى الشاطئ لم نخاف أبدا بل ركضنا كلنا بشكل تلقائي فعندما تكون على حافة الموت سيكون أي شيء هو مصدر للأمل حتى ولو كان شيئا مخيفا، ذهبنا جميعا ركضا رأينا حينها اسماك على الشاطئ تقفز في الهواء تحاول أن ترجع الى الماء ثانيا، اندهشنا جميعا من هذا المنظر واسرعنا لجمع الأسماك المتناثرة على الشاطئ ولم يكن هناك وقت للتفكير في كيفية مجيء هذه الأسماك الى اليابسة، كان اهم شيء بالنسبة لنا هو جمع ما نستطيع من الأسماك، ثم حدث امر غريب أخر لم نراه قبل ذلك رأينا حيتان كبيرة سمراء اللون تسبح في الماء بسرعة كبيرة في مجموعات فرجعنا الى الخلف خوفا من هذا المنظر وبدأ بعضنا الرجوع الى منازلهم مسرعين ولكن عند اقتراب الحيتان من الشاطئ دفعت كميات كبيرة من الماء الى الشاطئ ومعها الأسماك ففرحنا جميعا بهذا الأمر وظللنا نجمع في الأسماك وكانت من الأنواع الممتازة التي نادرا ما نصطادها مثل اسماك القد الفاخرة، ذهبنا الى

بيوتنا جميعا بأسماك لذيذة أشعلنا النيران في ساحة البلدة وشوينا الأسماك واكلنا وحفظنا باقي الأسماك بالملح الذي كان يكثر حينها من جفاف بعض بقع ماء البحر التي كانت في مناطق منعزلة على اليابسة لم نكن نعتقد أن الشتاء سيأتي ثانيا ولكن بعد شهر من هذا اليوم السعيد حل الشتاء وتجمد البحر الذي لم يصدق احد أنه سيتجمد ثانيا وبدأت الحيوانات في الظهور مجددا وعاد كل شيء الى طبيعته.

كانت مايانا مستمتعة كثيرا بهذه القصة الممتعة وشكرت جدها عليها وكانت الجدة تنصت بسعادة لزوجها وتنظر اليه وتنظر الى أحفاده من حوله وتتمني أن يمتلئ هذا المنزل بالأحفاد فتقول.

- ما رأيكم في أن نعجل بيوم زفاف كاسكال.

يندهش الجميع من هذا الاقتراح فيقول زوجها في هدوء.

- كيف ذلك يا عزيزتي المنزل الجديد لم ينتهي بعد، لا اعلم لماذا اصر علي بناء منزلا واسعا فحجرتين تكفي أي أسرة صغيرة هنا وكما تقول الحكمة القديمة شيد منزل صغيرا لكي تشعر بالدفء سريعا فالبرد يحكم البيوت الواسعة، ولكن الشباب في هذه الأيام يحاول أن يأخذ كل ما يستطيع فلا احد يسمع الحكمة القديمة أيضا التي تقول خذ من الدنيا على قدر حاجتك وليس على قدر ما تشتهي، ولكن لكل الناس أن تصنع ما تريد وعلى كل فرد في هذه الدنيا لا يريد أن يتعلم من الماضي أن يختار بنفسه ويعلم دروسه بنفسه وأن فعل هكذا سيموت سريعا بعدما أرهقته الحياه.

اندهشت زوجته من هذا الحديث وتغير وجهها كثيرا وقالت.

- ما هذا! لما تتحدث عن الموت ونحن نتحدث عن زفاف ابنك، هذا ليس موضع للحديث في هذا الأمر، هذا فأل سيء، لا اعلم لماذا تتحدث هكذا.

- لم اقصد ذلك، كل ما وددت أن أقوله إن يتعلم الأنسان من غيره ومن أخطاء الأخرين الذين سبقوه.
- ماذا صنع كاسكال أنه اختار أن يبني بيتا مثل غالب الشباب الآن فهم يبنون بيوتا بها ثلاثة وأربعة غرف. قالت زوجته في امتعاض.

استمر الجدال بين الجد والجدة حول ما يجب وما لا يجب ولم يكن أيال يدرك أيا من هذا الحديث ولا ادرك قصة الحيتان التي قصها عليهم جده، كل ما كان يفكر فيه هو كلبه الأصفر، خرج أيال من المنزل ليطمئن عليه فوجده راقدا على الأرض ولكنه عندما رأي صاحبه وقف وذهب في اتجاهه في خطوت ضعيفة بطيئة فظل أيال يمسح على رأسه وعلى فروه وكان الكلب حزينا في بادئ الأمر ففكر أيال أن يخرجه مما هو فيه فمشى أمامه فتبعه الكلب ثم اسرع خطوته فتابعه الكلب ثم ركض أيال بسرعة ليسرع الكلب بدوره ويقفز سويا في الهواء فينشط الكلب ويقفز هو الأخر ويضحك أيال كثيرا وتظهر السعادة على حركات الكلب فتخطر على رأس أيال فكرة ويذهب الى المنزل ويدخل فينتظره الكلب خارج المنزل وهو يهز ذيله ويخرج أيال بسطل فارغ ثم يركض ناحية النهر بسرعة ويحاول الكلب أن يلحق به وبعد قليل يسبقه فيتوقف أيال فيقف بجواره الكلب ثم يسرع أيال الى النهر مجددا فيصل قبل الكلب فيملئ السطل ويأخذه بعيد عن النهر قرب المنزل ثم يسكب الماء على كلبه ويمسح فروه ويمسح رقبته من الموضع الذي كان بين جزعي المصيدة ويمسح رأسه.

***

قرر أيال أن يذهب مع أعمامه لصيد الأسماك كما رجحت امه وكان الصيد يتم في مجموعات فكان أعمامه يذهبون مع بعض الرجال من القرية ويتقاسمان الصيد في أخر اليوم، خرج أيال من المنزل وأنتبه كلبه الأصفر وكان أبوه حينها يحضر نفسه للصيد فاعد خشبته وخنجره واطعم كلبيه القليل من صيد الأمس ثم رحل دون أن ينظر الى أيال نظرة واحدة وقف الكلب الأصفر ينظر الى الكلبين الأخرين وهما يرحلا خلف

صاحبها مبتعدين الى الغابة فكان الكلب ينظر تارة الى صاحبه وتارة الى الكلبين فيخرج أعمام أيال يحملون على ظهورهم شباك الصيد فيتبعهم أيال ويتبعه كلبه الأصفر.

وصلوا الى البحر وكان مازال متجمدا مسطحا كصحراء مستوية جرداء ذات رمال بيضاء جاء كاسكال الى ابن أخيه وقال.

- أنتبه هذا البحر غدار لابد أن تنظر تحت قدميك وتعلم أين تضعها أن رأيت أي تشقق في الثلج فعليك بالرجوع ببطء وأن رأيتني أن شخصيا أسقط في الماء تحت الثلج وأموت لا تحاول أن تنقذني فلن يسعك ذلك وسينتهي بك الأمر ميت تحت الثلج مثلي، هذا البحر ابتلع عائلات بأكملها، لا تنخدع بسكونه هذا عليك أن تتبعنا فنحن الآن في الصيف وقد بدأ سمك الثلج في النقصان ومن الممكن أن ينكسر من تحتنا ولكن لا تخف فنحن نأتي الى هنا منذ أكثر من عشرة سنوات ولنا خبرة جيدة بسماكة طبقة الثلج، فقط اتبعنا ولا تذهب وحيدا الى أي مكان.
- حسنا يا عماه. قال أيال هذه الكلمات في خوف.

تابعوا مشيهم وكانوا يغنوا جميعا وهم سائرين الى مكان صيدهم.

اتبع يا فتى الحكمة أينما تجدها.

اتبع الحكمة لا تضيع في الدنيا.

قال الحكيم لولده اسمع يا بني واتبع.

فسأقول لك قولا مهما.

اتبع الجمع وعانوهم على الخير.

لا تكن وحيدا فتموت متجمدا.

صادق من الناس أوفاهم.

فالصديق الوفي كمخزن من الطعام لا ينفد.

أما الصديق الخائن فهو كالثلج الرقيق فوق بحر غائر.

أنعم يا ولدي بخير الناس.

ولا تبعد عن الجمع أبدا.

فأن انطفئت نارك فعندهم منبع للنار.

وأن نفذ طعامك أعطاك صديقك من طعامه.

احفظ يا ولدي عني تنعم في حياتك.

لا تخرق الغابة بعيدا خلف الجبل.

فلم يذهب أحد من قبل الى هناك.

يزعمون أن أجدادك جاؤوا من هناك.

فأن صدقوا فأجدادك جاؤوا هاربين الى هنا.

واستقروا ونعموا وعاشوا هنا في هناء.

فلا تذهب يا بني خلف الجبل.

خلف الجبل يكمن المجهول.

خلف الجبل لا يوجد صديق وفي.

خلف الجبل لا يوجد من يعطيك طعام إذا كان قد نفذ منك.

خلف الجبل مجهول عنك.

اجلس هنا بجوار صديقك الوفي.

ولا تذهب يا بني الى شمال الغابة.

شمال الغابة أشجار كثيفة تخنق من يحاول.

اجلس بجوار صديقك الوفي.

احفظ يا بني عني لعلك تنجو من ثلج قاسي.

اجعل لشتائك فرو سميك ولحم مخزن وسمك وفير.

ابعد أخشابك التي تشعلها عن تساقط الثلج.

اعتني بأخشابك ومخزن طعامك أكثر ما تعتني بمكان نومك.

سيقول لك أيضا ذلك صديقك الوفي.

احفظ الحكم واعمل بها يا بني تنعم في حياتك.

كان أيال يستمع الى تلك الأغاني وينظر بحذر تجاه خطواته وكان يجد بعض الماء على الثلج مما كان يخيفه كثيرا، توقفوا عند موقع واخرج أحدهم فأسا وبدأ يضرب على الثلج مما اعتبره أيال ضربا من الجنون وتراجع لبضع خطوات فمن الممكن أن ينكسر الثلج بهم جميعا وينتهي بهم الأمر متجمدين تحت الثلج، ظل أيال يتراجع ليجد عمه كاسكال يضحك ويقول له.

- لا تخف، ابق مكانك أنت هنا بأمان.

وقف أيال ليجدهم ثقبوا ثقبا ليس بالصغير في الثلج وادخلوا طرف الشباك فيه ثم ثقبوا ثقبا أخر في الثلج وامسكوا بالشباك بين الثقبين لبعض الوقت وتفقدها احدهم وقال حان وقت إخراج الشباك، تجمع كل الرجال في طرف واحد وكانوا يجرون الشباك بشدة وكانت ثقيلة وكان أيال يشد معهم من طرف الشباك ظلت تخرج الشباك فارغة الى أن ظهرت أول سمكة عالقة في الشباك وهي تحاول أن تفلت منها فتهلل الجميع وبعدها تتابعت الأسماك في الخروج وكلما خرجت اسماك كثيرة كلما على صوت الرجل بالصيحات وعلت أصوات الكلاب بالنباح وأنضم اليهم الكلب الأصفر أيضا وسقطت أمامه سمكة فتردد في التقاطها بفمه بل ظل ينبح وهو يقفز مثلما كان تقفز السمكة حتى امسكها أيال بصعوبة ووضعها في جوال مخصص لجمع الأسماك بينما كان الرجال يحاولون إخراج الأسماك العالقة من الشباك دون إفساد الشباك فإصلاح الشباك يتطلب جهدا كبيرا.

كرروا فعلتهم هذه مرة أخرى ثم حملوا أسماكهم ورجعوا الى البلدة ثم تقاسموا الأسماك فيما بينهم وأطعموا كلابهم وذهبوا الى بيوتهم، كان أيال سعيدا بهذا الصيد وخرج ليلعب مع كلبه خارج المنزل بعدما استراحوا بعض الوقت لأنه عليه أن يذهب ليساعد في بناء بيت عمه كاكسال كباقي الرجل الذين كانوا يصطادوا معه.

شاهد أيال أبوه يخرج من الغابة ولم يكن معه أي صيد فتحقق من الأمر وبالفعل لم يجد مع أباه أية أرانب ولا ثعالب فأصابه فرح لأن يومه كان أفضل بكثير في صيد الأسماك ولما رجع أبوه دخل المنزل واخذ سمكين مدخنتين قديما وأطعمهم لكلابها بينما كان الكلب الأصفر يأكل بعض السمك الطازج المتبقي أمامه وعلم أيال أن اختياره تعلم صيد الأسماك لم يكن بالأمر السيء فقرر المواظبة على الذهاب لصيد الأسماك مع أعمامه.

*****

حب قرب النهر

وقف أهيال مع حبيبته قرب النهر وكان الثلج قد ذاب اغلبه من على سطح النهر فكانت بقايا الثلج كقطع من بلور منثورة فوق سطح النهر اللامع تحت أشعة الشمس ونزلت إيتا لتملئ سطلها بالماء وأهيال يشاهدها وكله شوق ولهفه فاقترب منها وقال.

- لقد اقترب موعدنا يا حبيبتي فلم يعد على موعد زفاف كاسكال إلا أسبوع واحد.
- نعم أني أنتظر يوم أن تخطبني من أخي بفارغ الصبر، أتمنى أن يمر هذا اليوم بسلام. قالت إيتا بتلهف.
- سيمر بسلام يا عزيزتي، لا تخافي، فأنا أعاهدك ألا أتزوج إلا أنت.

ابتسمت إيتا عند سماعها هذا الكلام ولمعت عينيها الجميلتين وابتسمت وصمتت في سعادة.

- لن أتزوج إلا أنت يا إيتا الجميلة يا من أخذني جمالك وسحرني.
- اخفض صوتك يا أهيال، أن سمعنا أحد سيفسد الأمر كله، غير أن النهر امن الآن سيندهش بعض الناس الآن لأنك تبعتني الى النهر. قالت إيتا.
- اعتقد أن الناس تعلم بحبنا. قال أهيال.
- لا تقل هذا، أن علم أخي أو علمت أمي سينتهي كل شيء وسأكون في اشد الحزن.
- لا، لا تخافي لن يعلم أخاك إلا مني أنا، أنا أيضا أخشى ذلك، فهو أخي منذ الطفولة.
- معنى ذلك أني أختك بالتبعية. قالت إيتا ذلك مازحة.
- لن تكوني إلا حبيبتي، لا أستطيع اعتبارك إلا كذلك، حبيبتي ومعشوقتي وساحرتي.
- كلامك جميل جدا.
- عندي المزيد من الكلام الجميل الذي تعلمته من عيناك ذات الجمال الأخاذ.

- توقف أرجوك، توقف، حينما تتحدث هكذا لا أتمالك روحي، متى سينتهي بناء منزل كاسكال.
- غدا سننهي بناء المنزل، أتعرفين أنا أفكر أن ابني منزلنا بالقرب من النهر، بالقرب من مكان لقاءنا الدائم.
- يا لك من رجل حالم.
- سأبنيه لك وسيكون واجهته للنهر وظهره للبلدة لا أريد أحدا غيرك، فقط أنا وأنت والنهر أمامنا.

حملت إيتا سطل الماء وهمت بالرحيل بينما قال أهيال.

- لما ترحلين مسرعة هكذا؟
- أن ظللت بجوارك ستبقيني الى ساعات طويلة وحينها تبحث عني أمي وتأتي الى هنا وترانا.

رحلت إيتا تمشي في اتجاه القرية وأهيال يمشي على بعد خطوات خلفها بينما رأته بعض الفتيات ورأوا إيتا أمامه فقالت أحداهن.

- لما لا تأتي معنا الى النهر يا إيتا، دائما ما تأتي وحدك ويأتي خلفك أهيال.

احمر وجه إيتا ولم يعلم أهيال ماذا يقول فقالت إيتا.

- دائما ما ننهي الماء قبلكم ولا نستطيع أن نجلس بلا ماء، في المرة القادمة سآتي إليكم لنكون سويا.

بينما قال أهيال في صوت مهزوز.

- أتحتاجون أن أصحبكم الى النهر يا فتيات.

ضحكوا جميعا وقالت أحداهن.

- لقد ذاب كل جليد النهر فلم يصبح النهر خطر حتى على الفتاة الصغيرة يا أهيال.

ارتبك أهيال ونظر إليهن ثم تبعهن وهو يقول.

- الحرص دائما مفيد يا إخوتي، ها سأتبعكم حتى تنهوا أمركم، هيا بنا.

صحب أهيال الفتيات الى النهر ثم رجع الى المنزل وهو متوتر قليلا ليجد صديقه منشاري قد سبقه الى بيت أخيه كاسكال يساعد الرجال في البناء ونظر اليه أهيال فوجده يبتسم اليه ويقول له.

- أهلا بالعريس الجديد.

ذعر أهيال من كلام صديقه منشاري وظن أنه يعرف شيئا من أمره وامر أخته إيتا فحاول الأنكار وقال مرتبكا.

- كيف هذا أنا لست بالعريس فهذه ليست داري التي نبنيها.

قال أهيال هذه الكلمات وهو يحاول أن يتظاهر بالانشغال برفع الأخشاب لإكمال جدار غير مكتمل، فجاء منشاري وضربه على كتفه وقال له.

- ما بك يا رجل سيتزوج أخوك كاسكال بعد أيام وستكون أن العريس المنتظر من بعده. أنا مزح معك، لماذا أنت متوتر هكذا يا صديقي.

لم يعرف أهيال بما يرد على صديقه غير أنه اختلق عزر واهي فقال.

- لا أحب أن يظن كاسكال أني أغار منه فأنت تعلم أن الأمور بين الأخوة بها بعض الحساسية.

لم يعقب منشاري على هذا الحديث من صديقه بل نظر اليه نظرة غريبة تنم عن عدم فهم ثم رفع كتفيه وأكمل البناء مع الرجال الأخرين وكان أيال هناك يساعد الرجال الذين كانوا ينادونه باسمه كواحد منهم وفرد من أفراد فرقة صيد الأسماك، كان أيال سعيدا جدا لانضمامه لهؤلاء الرجال واعتبارهم له كفرد منهم وكان سعيدا جدا عندما رفعوا نصيبه من الصيد كنصيب أي فرد أخر بعدما كانوا يفرضون له نصيب نصف أحدهم في أول أسبوع من الصيد فهو أصبح مجتهدا جدا في صيد الأسماك وأصبح أكثر ثقة في نفسه.

رأه الفتى الذي يدعى هينوا وهو في قمة نشاطه هكذا في بناء بيت عمه فقال له.

- لم أراك سعيدا كهذا من قبل يا أيال.
- شكرا يا صديقي.
- ما سر هذه السعادة يا فتى. قال هينوا.
- لقد أصبحت اصطاد السمك مع أعمامي وهؤلاء الرجال فنحن نصطاد سويا منذ أكثر من أسبوعين وكل يوم نصطاد الكثير من الأسماك ومنذ أن بدأت الصيد لا أطعم كلبي إلا سمك طازجا. قال أيال في حماسة.
- أنه لشيء جميل يا صديقي، لقد ذهبت أن الأخر مع أبي وبقية الرجال للصيد وهم الآن يفرضون لي نصيب فرد في الصيد.

قاطعه أيال مندفعا وقال" وأنا كذلك أصبح لي نصيب فرد كامل في الصيد" قالها أيال وعيناه تلمع ويعم وجهه الفرح.

- نعم يا صديقي أنه لشيء رائع أن يصير الفتي منا رجل يعتمد عليه ولكني مازلت متطلع أن أصير مثل أبوك.

صمت أيال انطفأت الحماسة في عينيه ونظر الى هينوا في شيء من البلاهة.

- صيد الحيوانات هو الصيد الحقيقي يا صديقي، في الغابة تواجه الأخطار وتتعلم الشجاعة فمن ينجو في الغابة ينجو في أي مكان كذلك تقول جدتي ووعدني أبي أن اذهب معه للصيد في الغابة قب انتهاء فصل الصيف فنحن نحتاج الى بعض الفراء ولذلك سينصب أبي الكثير من المصايد للثعالب قبل حلول الشتاء فكما ترى لقد كبرت على هذا الفراء القصير الذي ارتديه منذ عامين فيحتاج الى أن يكون اكبر من هذا فقالت لي أمي أن أبي سيصطاد ثلاثة ثعالب لي لتكمل ملابسي بفرو اثنين منهم وتصنع لي حذاء جديد باخر، فحينما سنكمل احتياجنا من مخزون الأسماك لفصل الشتاء سنتوجه أنا وأبي الى الغابة لاصطياد بعض الثعالب وأن وجدنا بعض الأرانب في طريقنا فسيكون امرا جيدا أن نأكل بعض اللحوم اللذيذة، أتمنى أن نصطاد غزالة كم يفعل أبوك فيقال أنه سيصطاد غزالة في يوم زفاف عمك كاسكال بعد أيام والناس هنا في البلدة جميعهم متطلعين لتذوق طعم لحمها لأنهم لم يتذوقوا إلا منذ أعوام مضت وكان أبوك أيضا من اصطادها، الكثير من الناس يعتقدون أن هناك سرا ما في صيد أبوك للغزلان فهو الوحيد الذي يصطادها في هذه الأيام ولكن بعض الناس يقولن أن أباك رجل خارق يستطيع أن يفعل كل شيء، ليتني استطيع أن أتعلم منه.

كان أيال يسمع هذا الكلام ووجه يتغير شيئا فشيئا ثم قال فجاءة بغضب.

- إلا تعلم أن كثير الكلام يا هينوا، لماذا لا تتعلم أن تصمت بعض الوقت.
- ليتني أستطيع يا صديقي الجميع يشتكي مني في هذا الأمر كما أن أمي تقول لي أن أردت أن أكون مثل أباك أنت على أن اصمت مثله وتقريبا هذا هو الشيء الوحيد الذي لا أستطيع أن افعله فما أن يفتح فمي بالحديث لا أستطيع أن اغلقه بعدها، أن لشيء مؤلم حقا، أتشاركني الرأي يا صديقي، أنا فعلا أريد أن أكون مثل أباك ولكني أتحدث كثيرا جدا وهو صامت طوال الوقت بعض الفتيان في البلدة يعتقدون أنه اخرص ولكني.....

قاطعه أيال في غضب شديد وقال.

- اصمت يا فتى اصمت.

رحل أيال من أمام هينوا وذهب مع كلبه بعيدا.

*****

كان الاستعداد للزفاف يسري على قدم وساق فقد تم الانتهاء من بناء المنزل في الوقت المحدد وتم فرش المنزل بالفرو المناسب حيث جاء أيتال بفرو سميك لدبة كبيرة بيضاء اللون قال إنه وجدها نافقة في الغابة، اخذوا هذا الفرو ووضعوا عليه الكثير من الملح ووضعوها في الشمس حتى تصلح أن تكون سرير للزوج السعيد وكان كل من يمر على هذه الفروة وهي معروضة لأشعة في أشعة الشمس يقول.

- يا لحظ العريس والعروس بوجود أيتال، احضر لهم فرو دب ابيض سميك ناعم وسيحضر لهم لحم غزالة في يوم زفافهم، لن تنسى العروس هذا اليوم أبدا، يا لحظها ويا لسعدها أن أخو العريس هو أيتال.

كان اغلب من في البلدة يعتقد أن أيتال سارع هذه الدبة البيضاء ليأخذ فروها لتكون سرير اخوه ولم يصدقوا قوله إن تلك الدبة كانت نافقة في الغابة، كما يتعقد الجميع أيضا أن أيتال سيجلب غزالة كبيرة في يوم الزفاف، بل أن جميع من في القرية يمني نفسه بقطعة من لحم الغزال المشوي الذي لم يتذوقه قط إلا من صيد أيتال أما كبار السن منهم فقد ذاقوا طعمه من صيد أبوه فكان بعض الرجال في القرية يقولون.

- لا بد أن هناك سر في اصطياد تلك الغزلان.
- مؤكد أن هناك سر.
- نعم لا يعقل أن يكون اصطياد الغزلان محصور في رجلين فقط أيتال وأبوه.
- من الغريب أن يكون هذا.
- لا بد أن اكتشف هذا السر. قال هذا رجل هادئ له ندبة تحت عينه اليمني.
- كيف ستكتشف سر الغزلان.

صمت الرجل ذو الندبة والتي على الأرجح هي من صنع ذئب كان يصطاده، صمت بعض الوقت وقال.

- أنه امر غريب ألا نأكل الغزلان إلا في زفاف أو مناسبة لاحد من أهل أيتال، هل رأي منكم أحد غزلان في الغابة من قبل، أنها نادرة جدا هنا وأن ظهرت فأنها تختفي في لمح البصر، كلنا يعرف أن أيتال صائد ماهر ولكنه لن يكون ماهر في أن يتفق مع الغزلان أن تظهر في معاد محدد ويكون مناسبة له ولأهله.
- صدقت يا رجل، أنا أحب أيتال كثيرا ولكن صمته هذا يشعرني أن هذا الرجل يجلب تلك الغزلان بشيء من السحر أو الشعوذة.

ضحك بعض الرجال ومنهم الرجل صاحب الندبة وهز رأسه رجل أو رجلين ثم ضحكوا لما رأوا أن الجميع يضحك ثم قال الرجل صاحب الندبة.

- اسمعوا لن يفوت موعد زفاف كاسكال إلا ومعي سر تلك الغزلان.
- أنا لا يهمني كل ذلك كل ما يهمني أن اكل قطعة كبيرة من لحم الغزلان الشهي سواء من يدك أو من يد أيتال. قال أحد الرجال وهو يضحك.

قال رجل من الجمع في جد.

- ما بالكم أيها الرجال، كلنا يعرف أيتال تمام المعرفة فهو رجل همام شجاع دافع عن تلك القرية وكاد يفقد حياته وهو يدافع عنا جميعا ضد هجوم الحيوانات المفترسة على البلدة، خلاصة القول أيتال أفضل منا جميعا وامهر منا جميعا وعلينا الاعتراف بهذا، اتركوه وشأنه ولا تمكروا له سوء فمنذ متى ونحن نحقد على بعضا البعض نحن نعيش هنا بالتعاون والتأخي اتركوا هذا الحديث السيء أرجوكم وعودوا الى صوابكم.

قال بعض الرجال " نعم القول شكرا لك"
بينما تمتم صاحب الندبة بقوله "أرى أن أحدنا يعد نفسه ليكون كبير القرية من الآن"

أنفض جمع الرجال ورحلوا كل واحد الى ما يشغله بينما كان يغني بعض النساء أقارب العروس بعض الأغاني للعروس الجديدة وتعلو أصواتهم ويسمع أهل البلدة صوت طبولهم ومزاميرهم الجميلة.

***

في يوم الزفاف بدئت الطبول تدق والمزامير تلحن الحان جميلة ووضعت بعض الزينة على بيت العروسين كما علقت على الباب فرو ذئب كبير تم اصطياده من أهل العروس كان الفرو بلون بني زاهي وكان أيال مع أعمامه وبعض الرجال مستعدين للذهاب لصيد الأسماك تجمعوا أمام منزل العريس بينما قال منشاري.

- لماذا علينا الذهاب اليوم، كلنا يعلم أن أيتال سيصطاد غزالة كبيرة للزفاف.
- ماذا لو لم يصطاد أيتال اليوم الغزالة سيأكل الناس الأسماك المخزنة ويكون يوم زفافي كيوم شتاء بارد. قال كاسكال.
- لم اقصد ذلك يا صديقي، نحن جميعا نعلم أن ذلك لن يحدث وأن أيتال سيصطاد تلك الغزالة من اجل الزفاف، أين أيتال، اهو بداخل المنزل؟ قال منشاري.
- لا أيتال رحل قبل أن يستيقظ أحد وذهب للصيد في الغابة. قال أهيال.
- الم اقل لكم، هذا الرجل جاد فيما يفعل ليتنا جميعا مثله، على كل حال لابد أن نذهب لصيد الأسماك الطازجة احتياطا في حالة عدم اصطياد أيتال الغزالة حتى لا يكون يوم زفاف كاسكال كيوم شتاء بارد بل يكون كيوم العيد الذي نأكل فيه الأسماك الطازجة.

قال منشاري هذا الكلام وكان يظهر على جمع الرجال عدم الاقتناع بذلك ولكنهم ذهبوا جميعهم ومعهم كاسكال وأيال وأهيال، كانوا يبتعدون بعيدا عن البلدة بينما يتباعد صوت الطبول والمزامير والنساء التي تغني للعروس.

أهلا بك في عالم جديد.

ستحلين اليوم بيتك الجديد.

نسأل الرب أن يكون بيتا سعيد.

ويكون زوجك نعم العريس.

يأتيك بالأسماك الطازجة في الصيف الجميل.

ويأتيك بالفرو السميك قبل الشتاء.

ويأتيك بالدهن الطازج في قلب الشتاء القارص.

ويدفئ بيته بخشب غير رطب.

ويدف ء قلبك بحب رقيق.

يا أجمل عروس في البلدة الصغيرة.

كانت النساء تغني تلك الأغاني في بيت العروس التي كانت تجلس والخجل والسعادة يسيطران على وجهها الدائري الصغير وجسدها النحيف وقلبها يدق فرحا بحلول هذا اليوم الذي كانت تنتظره بينما كان قرينها المنتظر يبتعد في طريقة الى الصيد وهو متلهف أن يعود ويرى وجه حبيبته وينتهي هذا اليوم ويغلق باب بيته الذي اجتهد كثيرا في بناؤه ويكون هو وزوجته وحدهما أخير في بيتهما.

كان أهيال يمني نفسه هو الأخر وهو يسمع تلك الأغاني بأصوات النساء المتناغمة مع الطبول والمزامير، يمني نفسه بزواجه من إيتا التي خطفت فؤاده وسحرت عقله فلا يستطيع أن يتخيل نفسه للحظات مع غيرها

فقد تكلمت معه امه منذ يومين أنه لابد وأن يفكر في الزواج وأنها فكرت في أكثر من عروسة تناسبه وعدت له بعض الفتيات من البلدة ولكنها لم تذكر إيتا أبدا فقال لها أنه سيفكر في الزواج فور الانتهاء من زوج كاسكال وسيختار عروس ويخبر امه وأبيه ليذهبوا ليخطبوها معه.

ظل كل من كاسكال وأهيال يهيمان بخيالهما وقلوبهم معلقة بأصوات النساء التي تغني فكانت الأغاني تصل أيهم بصوت هافت تارة وتارة يتغير اتجاه الريح فتأتي بشكل واضح ويزداد حينها كاسكال ابتساما ويبسم أهيال أيضا الى أن وصل الجمع الى مكان صيد اختاره منشاري والتفت لكاسكال وقال.

- هذا هو موضع صيد زفافك أيها العريس وسيكون وفيرا لأجل حظك السعيد.

قال منشاري هذا الكلمات والبسمة تعم وجه ثم توجه الى أهيال وقال.

- وسيكون يوم زفافك أفضل يوم في حياتي يا أخي الذي لم احظي به من أمي وسيكون حظك سعيدا أيضا وصيدك وفيرا يكفي البلدة ليومين.

لمعت عيني أهيال بالدمع الخفيف ثم احتضن منشاري وضرب على كتفه ثم تجمع الرجال وبدأوا الصيد ومعهم أيال الذي كان يتمنى أن يكون الصيد فعلا وفيرا كما تمنى شيئا سيئا لم يعلم به أحد، تمنى ألا يصطاد أبيه اليوم أية غزلان وأن يصطادوا اسماك كثيرة ولذيذة يضرب بها أهل البلدة الأمثال بعد ذلك. تلك الغزالة كانت تشغل بال أيال كثيرا كما كانت تشغل بال أبيه الذي دخل الغابة من الصباح الباكر ولكن أبيه لا يشغله كيف يصطادها بل يشغله شيء أخر، فعندما خرج من المنزل شعر بأحد الرجال يتبعه الى داخل الغابة ولكن بحذر شديد فكان الرجل صاحب الندبة تحت عينه، فكان الرجل يراقبه من بعيد يريد أن يعرف سر صيد الغزلان لعله يظفر بمثل تلك الغزالة فيما بعد ولكن ما لم يعرفه هو أن

أيتال قضى عمره بالكامل في الغابة ولذلك فهو يميز خطوات الأنسان من خطوات الحيوان ولو من بعيد.

ظل الرجل صاحب الندبة يراقب أيتال ساعات طويلة ولكنه لم يجد أنه يصنع شيئا غريبا فهو يمشي ببطء الى مواقع مصايده ومعه كلبيه ويجمع ما يجد فيها، تعب الرجل وهو يتابع أيتال فكاد الزفاف أن يبدأ ولم يظهر أي سر على أيتال ولم تظهر أي غزالة ولكنه لاحظ شيئا غريبا لاحظ أن أيتال اخذ أرنب قد اصطاده ثم قطعه كله لكلبيه وتركهم يأكلوه ثم وجده يصعد اعلى شجرة ذات فرع كبير ثم فرد جسده على هذا الفرع وغط في نوما عميقا، ذهب الرجل ذو الندبة ليتحقق بنفسه من نوم أيتال واقترب قليلا بحيث لا يشعر الكلاب به وسمع شخير أيتال بنفسه فقرر أن يخرج من الغابة ليستعد لحضور الزفاف مثله مثل باقي رجال القرية.

رجع أيال مع أعمامه من الصيد وهم يحملون صيدا كبيرا من الأسماك الطازجة اللذيذة وعندما وصل كاسكال الى المنزل وكان من خلفه أيال سأل أبوه.

- هل وصل أيتال بالغزالة يا أبي؟

كان أيال متطلع الى إجابة هذا السؤال كما بنفس الدرجة التي كان متطلع به عمه ولكن الغرض كان مختلف كل الاختلاف، ظهرت علامات القلق على وجه أبيه وهو يقول.

- لا يا بني لم يرجع أخوك أيتال، هذا امر غريب حقا.
- وما الغريب في ذلك من الممكن أن يكون مستغرق في بحثه عن الغزالة. قالت سيانا. ثم تابعت قولها. الأمر الجيد هو أنكم أحضرت الكثير من الأسماك الطازجة حتى ينعم الناس بطعام لذيذ.
- أخي وعدني أنه سيصطاد لي غزالة في يوم زفافي وقد وعدت عروستي بهذا الأمر، الرجل أهدي لي فرو دبا ابيض ليكون سريرا لي ولزوجتي إلا يستطيع أن يأتي بغزالة مسالمة. قال كاسكال في نفاذ صبر.

- لا تخشى يا بني، سيأتي أخوك بالغزالة، أيتال مثل أبوه لا يخلف وعده أبدا. قال والد أيتال.
- وما يجعلك متأكد الى هذه الدرجة يا جدي. قال أيال بتحمس وتطلع.
- لأني اعرف أبوك جيدا يا بني ولأني علمته الصيد بنفسي. قال الجد.

كانت أم كاسكال حاضرة لهذا الحديث فقالت لابنها.

- لا تقلق يا بني والآن تعال فقد أحضرنا لك ماء من النهر وعطرناه بورود بعثتها لك عروستك، هيا لا بد أن تستحم وتزيل من عليك رائحة السمك. قالت الأم في سعادة.
- لا داعي لكل هذا يا أماه سيكون كل الزفاف براحة السمك المشوي ولأول مرة في عائلتنا.
- لا تقلق من هذا يا بني، فقط اعتني بنفسك هيا.

كان الرجال في الخارج وبينهم منشاري يخرجون الأسماك من الشباك لأن كاسكال لم يريد أن ينتظر بل كان متطلعا أن يرى أن كان اخوه قد جاء بالغزالة أم لا فأخبرهم أن بإمكانهم اخرج الأسماك من الشباك عند المنزل ولكن أهيال قد اختفي لم يعد له أثر فور وصولهم أمام المنزل، لم يستطيع أن ينتظر فتلك الأغاني قد الهبت قلبه ففكر أن يذهب ليرى حبيبته قبل أن يتكلم مع اخوها في الصباح وفكر حينها أنها ستكون عند العروس تغني مع باقي النساء.

ذهب أهيال الى بيت العروس وكان الباب مفتوح فرأي إيتا تجلس بجوار العروس ففرح قلبه ولمعت عيناه ثم تظاهر أنه جاء الى امر أخر وقال للعروس.

- جئت لأطمئنك على كاسكال، لقد عدنا جميعا سالمين من الصيد وهو يستفسر منك أن كنت تريدين أي شيء.
- شكرا لك يا أهيال، تفضل. قالت العروس في خجل.
- شكرا لك.

كان أهيال يتحدث مع العروس وعيناه تحدث إيتا بأحاديث جانبية وعندما رحل أهيال همت إيتا بالوقوف وقالت إنها ستذهب الى بيتهم وترجع في الحال.

كان أهيال ينتظرها خلف المنزل كما توقعت امسكها من يديها وضمها اليه وهو يقول لها.

- لكم تمنيت أن يكون هذا اليوم هو يوم زفافنا نحن وتكون تلك الأغاني هي لنا ولكن الأمر أصبح أقرب مما تتخلين سأتحدث مع أخيك في الصباح وتكوني لي في أخر الصيف أن استطعنا أن ندبر امرنا.

كان أهيال يقول تلك الكلمات وهم يضم إيتا على صدره ويشعر بدقات قلبها التي تضرب في صدره وتهز كيانه ويشعر بصدرها يعلو ويهبط كأنما جاءت راكضة من قلب الغابة. لم تتكلم إيتا بل استسلمت على كتفه وأغمضت عينيها بينما قال هو.

- عندما سمعت تلك الأغاني اليوم وتذكر وعدي لك منذ أيام عند النهر أني لن أتزوج إلا أنت، أتتذكرين هذا الوعد.

لم تجيب إيتا ولكن هزت رأسها على كتفه فتابع هو.

- هذا الوعد لم يكن تطوعا مني بل أنا لا أطيق أن أحيا مع أي امرأة أخرى.....

قطع أهيال حديثه لأن بعض الفتيات رأوه هو وإيتا ثم نظر الى إيتا على صدره فأبعدها بسرعة وارتبكت هي الأخرى وذهبت الى داخل منزل العروس وذهب هو مسرعا الى بيتهم ليجد منشاري هناك مع الرجال وقد قارب على الانتهاء من فض أخر الأسماك من الشباك فيقول منشاري.

- أين أنت يا أخي، أتتركنا في مثل هذا الوقت، هل ذهبت للبحث عن أيتال، لم يعد حتى الآن ولا يوجد غزالة، كاسكال غضبان جدا، أنظر خلفك الناس بدأت في القدوم لا بد أن يبدأ الشواء والا لن يجد الناس ما يأكلوه وسيكون زفاف سيء للغاية.

- حسنا يا صديقي سأبلغ النساء أن يبدأوا الشواء، أشكرك على رأيك السديد. قال أهيال.
- هل كنت تبحث عن أيتال؟ هل دخلت الغابة خلفه. قال منشاري.

تردد أهيال في الجواب وظهر عليه الارتباك ثم قال.

- ذهبت الى أول الغابة ولكني عدلت عن الدخول أن سأجده الآن، أنت تعرف أن لم اذهب الى الغابة منذ زمن بعيد اعتقد أن أيتال مازال يبحث عن غزالة يصطادها.

غسل أهيال يده ووجهه في ماء معطر بالزهور أمام المنزل مجهز للضيوف ونظر خلفه فاذا ببعض الرجل يأتون ليباركوا هذه الزيجة السعيدة وكان من بين الرجال الرجل ذو الندبة الذي كان يضحك وهو يقول.

- اليوم لا غزلان، سنأكل السمك المشوي وفقط، أن أيتال يغط نوما في قلب الغابة، كنت أتتبعه حتى اعرف هذا السر ولكن من الواضح أنه لا يوجد أية أسرار، الرجل كان محظوظا في المرات السابقة ومن الظاهر أن شعر بالخذلان هذه المرة لعدم اصطياده للغزالة ففضل ألا يأتي وينام داخل الغابة ثم يأتي متظاهرا بالتعب من كثرة البحث عن الغزالة، حينما يقول هكذا سأفحمه.

رد رجل أخر من الرجال.

- أيتال لا يتكلم يا صديقي، أتعرف أن كل هذه القرية تعتقد اعتقادا رسيخا أن أيتال سيخرج من الغابة في أي وقت ومعه الغزالة المقتولة على ظهره.

- أي سفاهة هذه الرجل يغط في نوم عميق، إلا تصدقني. قال الرجل صاحب الندبة. ثم أكمل. لن يكون اليوم أية غزلان، أسمعتني جيدا.

كان أيال حينها في غاية النشاط فقد اخذ بعض القطع الخشبية المعدة مسبقا لشوي الغزالة وبدأ هو وجمع من الشباب في الاستعداد لشوي الأسماك فأشعلوا النار في بعض الأخشاب وبدأوا يحضروا الأسماك التي ستشوي وهو في كامل همته ونشاطه والابتسامة تعم وجهه وبدأ هو بوضع أول الأسماك على النار ووضع الشباب بعض الأسماك الأخرى بينما جاءت بعض النساء لتأخذ المهمة بدلا من الشباب عديمي الخبرة في شوي الأسماك.

أنتشر الدخان في جو البلدة كما انتشرت رائحة شوي الأسماك واصبح ووصل الأمر الى العروس أنه لن يكون هناك غزلان في هذا اليوم، حزنت العروس كثيرا واعتبرت هذا فأل سيء في بدء حياتها وتحدثت لامها عن تفكيرها في تأجيل الزواج حتى يتم اصطياد الغزالة ولكن أمها قالت لها أن ذلك ضرب من الجنون فكل البنات تتزوج في البلدة ويكون الطعام هو السمك المشوي، لم تقتنع العروس بهذا الحديث وبكت قليلا ثم اقنعها من حولها بأن تأجيل الزفاف نفسه هو ذاته الفأل السيء فنزلت على رأيهم على امتعاض ولكنها كانت حانقة على كاسكال زوجها لأنه وعدها كثير بزفاف أسطوري وأن جميع الناس سيأكلون من الغزالة التي سيصطادها أيتال.

كان الناس يمشون في غير همة الى بيت العريس والى بيت العروس ليقدموا التهاني والمباركات ولكن كان جوا من الإحباط يخيم على البلدة كما يخيم عليها الآن دخان شوي الأسماك.

خرج العريس بعد طول حديث مع أبوه ليحضر زوجته ليتم الزفاف لأن الناس تنتظر في الخارج منذ فترة كما قال له أبوه وكان كاسكال يريد أن ينتظر أيتال لبعض الوقت ولكنه اضطر في أخر الأمر أن يخرج وهو مرتدي زي جديد مصنوع من فرو الثعالب الجديدة وحياه الناس وعلى

صوتهم متمنين له زوجا سعيدا وكان يرد على الناس في غير ابتسام وذهب الى عروسته والرجال من خلفه وبعض النساء يغنون له ولعروسته ومعهم الطبول والمزامير.

حظا سعيد يا عريس مرحا مرحا بالعريس.

مرحا بالرجل السعيد، ذو القوام القوي.

اخترت فتاة جميلة.

جمالها له صيت وهيبة.

ظفرت بها من بين الرجال.

لم تطلب منك كثير المال.

رفقا رفقا بالعروس، أخذتها من بيت كريم.

أطعمها لحما ودهنا وافرش لها فروا سميكا.

أريها ما تستطع من رغد العيش.

تدفئ بيتك ببنين أقوياء.

يحملوا اسمك ليعلو في السماء.

مرحا مرحا بالعريس السعيد.

كانت النساء تغني في صوت باهت بعض الشيء ودخل العريس بيت العروس ليحضرها وخرج بها ورأي الناس دمعة تنزل من عينها اليمنى

وقالوا إن هذا هو الفأل السيء ذاته وقالت سيدة أنها لن تنجب رجالا أبدا، وقالت أخرى أنا لن تنجب أصلا وستكون أول امرأة تترك بيت زوجها ولكنهم في نهاية الأمر تابعوا الغناء ومشوا خلف العريس والعروس الى بيت العريس وبدأ الشباب في توزيع الطعام وكان الناس في جوع شديد لأن موعد الزفاف قد تأخر لبضعة ساعات ونساء القرية لم يعدوا أية طعام في هذا اليوم.

كان الناس قد بدأوا في تناول الأسماك والعريس والعروس يقفون على عتبة بيتهم الجديد وينظرون الى الناس ويحيوهم وقال كاسكال لزوجته الحزينة.

- أن الناس يأكلون سمك لذيذا وهم سعداء حقا أنظري لوجوههم.

لم تنظر العروس للناس ولكن كان كاسكال على حق فقد كان اغلب الناس سعداء لهذا الطعام الطازج وكان أيال في غاية السعادة والفخر وهو يعطي الناس بعض الأسماك التي شارك هو في اصطيادها وكان يشعر بنشوة كبيرة وهو يرى الناس سعداء ويمتدحون طعم الأسماك الطازجة وذكر بعضهم أن هذه الوجبة تذكره بوجبة العيد، كان أيال كالفراشة ينشط حاملا الطعام للناس في سعادة وكان العريس والعروس يستعدون لدخول منزلهم بينما قال شاب بصوت عال جدا.

- أنظروا الى الغابة، أنه أيتال يخرج من الغابة ويحمل غزالا كبيرا.

نظر الناس فوجدوا أيتال يخرج من الغابة فعلا ويحمل جاهدا غزالة كبيرة جدا لم يروا مثلها من قبل، التفتت العروس فوجدت أخو زوجه يحمل الغزالة فاحتضنت زوجها وعم وجهها السعادة والفرح وكذلك شعر كاسكال وقال.

- أخي لا يخلف وعده أبدا.

ركض بعض الرجال ليساعدوا أيتال في حمل تلك الغزالة فتركها لهم أيتال وحملوها أربعة منهم وجاؤوا الى النيران وأزاحوا عنها الأسماك وجمعوا النيران وجهزوا الغزالة ثم وضعوها فوق النيران، وكان أيال ينظر لهذا المشهد في ذهول تام ثم ينظر الى الناس يجدهم يتركون الأسماك التي في يدهم وهم يقولون.

- نعم الرجل هو أيتال، لا أحد يستطيع أن يفعل ذلك إلا هو، لا نذوق لحم الغزلان إلا من صيده هو.

غسل أيتال يده الغارقة في الدماء وغسل وجهه الملطخ بالدماء والعرق ودخل بدل ملابسه وخرج ليجي الناس ليجد الناس بدأوا في تزوج لحم الغزالة فشكروه عليها وسمع أيال بعض الناس تقول.

- لا تستطيع مقارنة لحم الغزلان الشهي بطعم الأسماك هذا شيء أخر.

أنتهى الزفاف نهاية سعيدة كما أرادت العروس والعريس وكل أهل البلدة.

***

في اليوم التالي للزفاف استيقظ أهيال مبتسما متحمسا وعزم على الخروج الى بيت صديقه منشاري ليتحدث معه بشأن خطبة إيتا التي ظل يمني نفسه بها قبل نومه وحتى في أحلامه فقد حلم أنه ذهب لمنشاري وتحدث معه وحينها حمله منشاري من على الأرض فرحا بالأمر وشاهد حينها أهيال الفرحة على وجه إيتا وساعده منشاري كما ساعده بعض الرجال في بناء بيت جميل بالقرب من النهر كان حلما جميلا.

كان أيال ينام في نفس الغرفة التي ينام فيها عمه أهيال فاستيقظ من صيحة حماسة أطلقها عمه استيقظ أيال منزعجا وقال.

- ما هذا؟ ماذا حدث.
- استيقظ يا عزيزي أيال، استيقظ يا زميل الصيد، هيا يا صديقي الصغير، اليوم يوما بديعا حقا، استيقظ حتى تنعم بدفء الشمس الجميلة قبل أن ترحل عنا بعد أسابيع قليلة. قال أهيال هذه الكلمات في فرح وسعادة، ثم أكمل قائلا، لكم أتوق الى وجه القمر وابتسامته.
- ماذا تقول يا عماه.
- هيا أنهض أيها الكسول، ما هذا الوجه العبوس، ابتسم أيها الشاب الجميل، ابتسم حتى يبتسم لك الناس، ابتسم حتى تبتسم لك الدنيا، لا أكره في هذه الدنيا أكثر من وجه عبوس، هيا أنهض يا ابن أخي.
- ولماذا أنهض، أنا لا أريد الذهاب للصيد.
- يا فتى لا يوجد صيد اليوم، يوجد من الأسماك ما يكفي لإطعام القرية لأيام، أنسيت صيد أمس.
- لا لم أنساه. صمت أيال قليلا ثم زفر بعض الهواء وقال. لماذا فضل الناس الغزالة على الأسماك؟
ضحك أهيال ثم نظر الى أيال وقال.

- وهل يوجد وجها للمقارنة، لو كان الأمر بيدي لاصطدت كل يوم غزالة لأكلها واطعم من في القرية جميعا، أتعلم حينما كنت صغيرا وذهبت مع أبي وأيتال الى الغابة سمعت تلك القصص عن صيد الغزلان وأن البلدة لم تتذوق الغزلان أبدا إلا من صيدهما فأخذتني الحماسة الى حد بعيد الى أن

أتعلم منهم الصيد ولازمتهم فترة طويلة ولم أرى أي غزالة وكنت أتحدث عن الغزلان كثير واطلب ن أبي أن يعلمني كيف يصطادها فقال لي أن لا بد لي أن أجيد صيد الحيوانات الأخرى جيدا وأن أجيد صنع المصائد وبعد فترة طويلة تعلمت كل شيء وأجدت فن المصائد أجلسني أبي بجواره على فرع شجرة مكسور في الغابة
قال لي أبي أتحب الغزلان يا أهيال
قلت نعم يا أبي جدا
فقال ماذا ستصنع أن وجدت ثلاثة غزلان يمشون في الغابة
فقلت سأصطادهم جميعا.
فقال وماذا بعدها.
فقلت سأبحث عن غيرهم.
فقال رأيتك بالأمس اصطدت أرنبة حامل على وشك الولادة.
فقلت نعم كانت في بطنها الكثير من الأرانب ولكن كان فروها جميلا حقا.

حاول أبي أن يقنعني أن فعلتي هذه لم تكن صائبة وأنه كان على أن اترك تلك الأرنبة الحامل وبعدها قرر أبي أني أتقنت فن الصيد في الغابة ولم يتقنه أي من إخوتي غير أخي أيتال واندهشت حينها أن أبي قال لي لا بد أن أتحول لصيد الأسماك ولكني اعتقد أن هناك سر خلف صيد الغزلان هذا ولكن لا يعلمه إلا جدك وأبوك.

كان أهيال يقص تلك الحكاية على ابن أخيه في استغراق تام ثم استفاق بعدها وأنتفض وقال.

- لقد أخرتني وأخذتني من موضوع مهم كنت أفكر فيه.

خرج أهيال مسرعا بينما قال له أيال.

- الى أين يا عماه.
- سأذهب الى بيت منشاري.

خرج أيال خلف عمه الذي رأه يمشي مسرعا مندفعا كأنما يذهب الى كنز يريد أن يظفر به قبل أي أحد، كان أيال ينوي الذهاب مع عمه لأنه يحب منشاري ويحب إيتا الجميلة الحنونة التي تعامله معاملة لطيفة، نظر أيال فوجد الكلب الأصفر يقف أمامه ويهز زيله ومعه إخوته الأخرين اقترب منه الكلب الأصفر وأهيال ذهنه شارد في قصة الغزلان وسر صيدها ولكن سرعان ما أخرجه الكلب الأصفر من حالته هذا ولعب معه أيال ومع الكلاب الأخرى وقبل أن يدخل المنزل كان قد قرر في داخله أنه سيذهب في اليوم التالي للصيد مع أبيه في الغابة.

وصل أهيال الى بيت صديقه وطرق الباب وسمع بكاء إيتا من داخل الدار وصوت جلبة أخرى بالداخل فطرق ثانيا فسمع صوت أم منشاري تقول.

- من بالباب.

قالتها بصوت يدفع من بالباب في عدم الإجابة كان صوتا غاضبا منفرا يدعو الطارق الى الرجوع، فكر أهيال حينها في الرجوع فعلا ولكنه عزم على أنهاء الأمر لأنه وعد إيتا بذلك واليوم بالتحديد، استجمع قواه وقال.

- أنا أهيال. كان صوته مليء بالقلق والتردد.

سمع صوت جلبة شديدة وأواني تدفع بالأقدام بغضب شديد ثم فتحت أم منشاري بوجه غاضب عبوس وقالت.

- ارحل أيها النذل، يكفي فضائح.

ثم سمع صوت منشاري غاضب وهو يقول.

- ارحل والا قتلتك أيها الخائن الخسيس، تواعد أختي الصغيرة من وراء ظهري ويراك الناس محتضنها في العلن، أن أمي لعلى حق أن قد اختني ذريعة لتأتي لتستمتع بحبيبتك أيها النذل، ارحل والا قتلتك وستكون أو

من يقتل على يد رجل في هذه البلدة، ارحل لا أريد أن أرى وجهك الخسيس ارحل والا قتلتك بخنجري.

لم يصدق أهيال أنه يسمع هذا الكلام وقف غير مصدق لما يحدث أفاقه صوت إيتا وهي تقول.

- ارحل من هنا أرجوك.

كان صوتها باكي مرتعد فيه حسرة شديدة، استجمع أهيال قواه وقال.

- اسمعني يا أخي، ليس الأمر كما تظن.....

لم يكمل أهيال كلامه حتى أندفع منشاري خارج المنزل ومعه خنجر فمسكته امه من الخلف وخرجت إيتا وعلامات الضرب على وجهه وهي تمسك بأخيها هي الأخرى بينما قال منشاري.

- ارحل من هنا فنحن راحلون اليوم لا أريد أن أراك ثانيا لا أريد أن أرى وجهك الخسيس، سنكون نحن أول من يرحل من هذه البلدة التي لم يرحل منها أحد فالموت عندي أفضل من أن أرى وجهك النذل ثانيا، لن تراها ثانيا ولن أرى وجهك الخبيث أي صداقة تلك التي كنت تدعيها لقد كنت أخي ولست صديقي ولا أفيق إلا وأنت تخونني من حيث لا أدرى ماذا تريد أكثر من ذلك، ارحل أيها الجبان ارحل، سنترك هذه البلدة ونرحل، الموت أفضل عندي من أن أراك ثانيا أيها الخائن.

اندفعت أم منشاري أمام ابنها وقالت في وجه أهيال.

- فلترحل عنا قبل أن يقتلك فما فعلته لا يغفر يا خائن الصداقة وخائن الأخوة، لطالما اعتبرتك ابن لي ولكني لم أعرفك حق المعرفة، ابتعد عنا، هيا ارحل بعيد.

خرج بعض أهل البلدة على هذا الصوت فتدافعوا وامسك بعضهم بمنشاري الذي كان يحمل خنجره عاليا، وادخلوه الى داخل منزله وقال منشاري بصوت عال بعدما دفع بعض الرجال.

- اتركوني وشأني أنا راحل عنكم جميعا لا اعلم من منكم الخائن الأخر، سنترك تلك البلدة الآن.

كان مشهدا نادر الحدوث في البلدة لم يره الحاضرون من قبل ولكن ما جذب أنتباههم اكثر هو قول منشاري أنه هو وأهله سيرحلون عن البلدة، لم يرحل احد من هنا من قبل فهذه البلدة هي العالم الأمن بالنسبة لهم وما دونها يكون هلاك، ترقب أهل البلدة ما يحدث فاذ بمنشاري يخرج وخلفه امه واخته الباكية ويحملون بعض الأمتعة واغلبها اسماك مجففة والكثير من الفراء وأغلق منشاري باب المنزل ثم اتجهوا الى داخل الغابة، لم يصدق أهل البلدة ما شاهدوا كيف يرحل هذا المجنون أن كان أهيال قد أخطأ في حقه فيعاقب من كبار أهل البلدة ولكن على منشاري أن لا يلقي بنفسه وأهله الى التهلكة على حد قولهم، فمنذ مجيئ أجدادهم الى هذه الأرض لم يرحل احل بل لم يتكلم احد عن الرحيل مطلقا فاين يذهبوا في هذا العالم المجهول فهنا طعامهم وشرابهم والفراء التي تدفئهم والغابة التي يصنعون منها بيوتهم التي تؤويهم ولم يحتاجوا أبدا أي شيء أخر.

قبل دخولهم الغابة توقفت إيتا والتفتت في اتجاه النهر ونظرت وبكت بصوت عال وقالت بصوت متقطع لا يفهم.

- أرجوك يا أخي، أين تذهب بنا، أتذهب بنا الى الموت المحقق، أرجوك تعقل قليلا.

أندفع حينها منشاري إليها وقذف الحمولة التي على كتفيه وامسكها من ذراعيها وقال بصوت أحدث صدى في الغابة.

- أن مكثت هنا سأقتله وستموتين بعده وسينتهي بي الأمر ميت أنا الأخر وتكونين أنت اللعنة التي حلت علينا، هيا امضي خلفي ولا تتكلمي.

لم تعقب إيتا على هذا الحديث ومشت باكية الى داخل الغابة بينما تتابعت الأصوات قائلة.

- ارجع يا منشاري، أين تذهب، تذهب الى هلاكك أنت واهلك، ارجع وعش في بيتك.

كانت هذه الأصوات لبعض رجال البلدة بينما كانت تبكي النساء حسرة على هلاك هذه الأسرة المنحوسة حيث مات أبوهم وهم صغار وسيموتون في المجهول من بعده.

ذهب أهيال الى المنزل يصحبه بعض رجال البلدة وهو كمن ضرب على رأسه لا يعي من الدنيا شيء، ولكن الخبر كان قد أنتشر فعرف كل من في البلدة أن أهيال كان يواعد إيتا سرا وكان يذهب خلفها دائما عند النهر واكتشف منشاري هذا الأمر وكاد أن يقتله ففضل أن يهلك نفسه هو وعائلته في المجهول على أن يكون بقرب أهيال الذي كان بمثابة الأخ بالنسبة له، وكثرت القصص والحكايات عن طفولة منشاري وأهيال ولكن القصص التي انتشرت اكثر هي قصص عشق أهيال وإيتا حيث قالت فتاة أنها ربما شاهدت أهيال يقبل إيتا مرة عند النهر وقالت أخرى أنه رأت في يوم مظلم رجل وفتاة يمشون ليلا في اتجاه النهر فمن الواضح الآن من يكونان وكثرت الإشاعات والحكايات.

حاول أهل أهيال أن يفهموا منه الأمر ولكنه لم يكن في هذا العالم كان في عالم أخر، عالم السكارى وعالم التيه لا يعي لما يقال ولا يهتم لما يسمع فكل ما كان يتمناه في هذا العالم قد ضاع، كل ما كان يحلم به ليل نهار لمدة أعوام عديدة قد انتهت، هدمت قصور أحلامه على سطح صخرة كبيرة أو كان أحلامه سكبت في هذا البحر الواسع ثم تجمدت وقتلت تحت جليده وانتهت.

حل الشتاء على البلدة ولكنه حل منذ اكثر من شهر على قلب أهيال فتجمد قلبه واصبح لا ينبض إلا لضرورة البقاء حيا وفقط، تجمد دم النشاط في عروقه وتجمد فمه فلم يعد يتحدث مع احد اصبح اقل كلاما من اخوه أيتال الذي يضرب به المثل في الصمت، لم يخرج أهيال من غرفته طوال الشتاء حتي أيال صديقه الصغير حاول أن يتحدث معه ولكن دون جدوي وحاول معه كاسكال ذو القلب المرح أن يخرجه مما هو فيه ولكن دون جدوى حتى أيتال ذهب اليه ومسح على رأسه وضربه على كتفه، ولكن أهيال لم يخرج من عالمه الذي دخل فيه رغما عنه فلو كان البيت يحترق لم يكن ليخرج من الغرفة ولو كان يحترق هو نفسه لم يكن له أي ردة فعل بل في اغلب الأمر كان سيستسلم ويقنع نفسه بأن الأمر قضاء وقدر وهذا افضل له من الحياة.

بينما رحل منشاري مع إيتا وأمه الى المجهول الى العالم الأخر اعتقد الجميع أنهم سيلقون حتفهم هناك بعد عبورهم للجبل في أخر الغابة ولكن بعضهم تفاءل حيث أنهم تركوا البلدة قبل حلول الشتاء بستة أسابيع فسيكونون في مأمن لبعض الوقت حتى يصلوا الى مكان أخر في العالم الذي يجهلونه ولكن سينتهي بهم الموت أيضا فهم يعرفون جيدا أن من يعيش وحيدا يموت وحيدا فالحياة في هذا العالم تحتاج الى تعاون وتكافل بين البشر والا لمات الناس في قلب الشتاء القاسي.

***

كان أيال قد أنتظم مع أبيه في الصيد وعزم على تتبعه في صمت ومراقبته عن قرب لأنه علم أنه اذا أراد أن يكون صاحب شأن في هذه البلدة فعليه أن يتعلم من أبوه، مر أسابيع الصيف بلا عناء تعلم فيها أيال بالمراقبة أنواع الطعم المختلفة للحيوانات، فقطع الثمار أو الخبز تصطاد الأرانب وقطع الأرانب والأسماك تصطاد الثعالب وغيرها من الحيوانات أكلة اللحوم كما تعلم ولكنه طول هذه الأسابيع لم يرى غزالة واحدة وكان قد عزم على عدم ذكر الغزلان أبدا أمام أبيه فأن كان أبيه سيعلمه فهو

سيعلمه كل شيء، راقب أبيه كثيرا وهو يضع الطعم في القطعة الخشبية الرفيعة وهو يحاول أن يجعل الجزء الأعلى من المصيدة متوازنا على الخشبة الرفيعة قدر الإمكان، كما تعلم الكلب الأصفر أيضا أن الطعم حتى وأن كان لحما طازجا فأنه ليس للأكل وأنه لا يأكل إلا من يد صاحبه، مازال هذا الدرس في رأسه حتى أنه في الأيام الأولى للصيد كان يبتعد عن مكان المصيدة ويختبئ خلف صاحبه ثم بدأ يراقب الكلبين الأخرين هو الأخر ويحذو حذوهم.

كان أيال سعيدا لمصاحبة أبوه في هذه الغابة فكلما سمع من الناس عن شجاعة أبوه وعن قدرته على الصيد عرف أنه على صواب في التعلم من الأفضل ولكنه لا يكن كثيرا من المشاعر التي يكنها الابن لأبيه ولا يعرف في حقيقة الأمر ما هي حقيقة تلك المشاعر بل ما يكنه لأبيه هو شيء احترام التلميذ لمعلمه فهو حتى الآن لا يشعر أن هذا الرجل هو أباه.

*****

أمضي أيال الشتاء كاملا في الصيد مع أبوه يتعلم منه ويراقبه وعندما يرجع الى المنزل لا يتكلم كثيرا، كان أكثر ما يشغل باله في المنزل هو عمه أهيال الذي تظهر عليه كل علامات الحزن والبؤس، كان ينظر الى عمه في صمت حاول كثيرا أن يخرجه من همومه ولكنه لم يستطيع، كان أيال يقيم في نفس الغرفة مع عمه أهيال ويجلس ينظر اليه وقتا طويلا ولكنه تحدث معه ذات مرة وقال.

- عمي أريد أن اعترف لك بشيء.

نظر أهيال الى عمه وجده لم يتغير أي شيء فيه كأنه لم يسمع أي شيء ولكنه عزم على الحديث فأكمل قائلا.

- عمي أنا احبك جدا، أتعرف أنا احبك أكثر من أبي هذا هو الشيء الذي أردت أن اعترف لك به، أنت أقرب لي من أي أحد ولكي أكون صادقا أنا

أحب أمي أكثر منك ولكنك الشخص التالي بعد أمي وستعجب أن عرفت من هو الشخص الذي يليك، أنها إيتا.

اهتز جسد أهيال عندما سمع اسم حبيبته ونزلت دمعة من عينه اليمنى فتابع أيال.

- نعم أنا أحبها كثيرا فهي كانت لطيفة كثيرا معي، حزنت كثيرا لرحيلها ولكني أريدك أن تعرف أني احبك كثيرا يا عماه وأريد أن امشي معك وتصطحبني الى الصيد كسابق عهدنا.
لم يكن كلام أيال إلا زيادة في حزن عمه فصمت أيال لأن عمه لم يتوقف عن البكاء، كان أيال يراقب عمه في الليل فيجد أنه يجلس وعيناه مفتوحة تنظر على الحائط المقابل له ولكن عيناه كانت تدمع دموعا صامته، فهو يتألم وأصبحت ذكرياته الجميلة مصدر الآمه الشديد، كان حزينا جدا لحزن عمه الشديد.

كان أهيال يجلس جامدا صامتا على فراشه لا يحدث احد، يجلس كانه صنم صنع من فولاذ، بشرته كانت تميل الى اللون الرمادي، يجلس في وضع ما عندما يستيقظ الى أن تأتي امه وتجبره على أن يأكل بعض الطعام ولولا هذا الطعام الذي تجبره عليه امه لكان في عداد الموتى، لا يستطيع احد في المنزل على جعله يفتح فمه للطعام إلا امه، الأم تملك سلطة روحية وعاطفية على أولادها، الأم لا تأخذ هذه السلطة ولا هذه المكانة هباء بل هي تكتسب هذه القوة على مدار السنين الأم تهتم بابنها قبل أن يعي هذا الابن معنى الاهتمام، الأم تضحي من اجل أولادها قبل أن يعرف الأولاد معنى التضحية، الأم تملك قلبك لأنها ذرعت فيها الكثير من بذور الحب والعاطفة، الآن هي تجلس بجواره وتمسح على وجهه بيدها الناعمة الحنونة ثم تمسك بملعقة وتسقيه بعض حساء الأرانب فهي تعرف أنه لن يمضغ الطعام تعرف أنه غير مهتم بالحياة تعرف ذلك دون أن يتفوه بكلمة واحدة، الأم لا تحتاج الى الكثير من التوضيح فهي كالطبيب المخضرم يعرف المرض بمجرد تفحص مرضاه.

كانت أم أهيال هي من تبقيه على قيد الحياة ولا احد غير الأم يستطيع أن يفعل ذلك، حاول أخيه كاسكال عدة مرات أن يخرجه من ما هو فيه اقترب منه ذات يوم وقال.

- أخي أنا اعلم جيدا ما أنت فيه، أنا اعلم جيدا أنك أحببتها كثيرا، أنا لا أطيق فراق زوجتي ولكنك ما أنت فيه شيء صعب للغاية، أنت اعتزلت الناس واعتزلت الكلام، لا يصح هذا، اعرف أنك لم تفعل شيء سيء بأنك أحببت اختت صديقك وأعرفك جيدا اعرف أنك لم تخطئ ولكنهم رحلوا جميعا، هل تجلس هنا حتى تموت، لا بد لك من الخروج من هذه الغرفة لا بد لك من العودة للحياة، أنضم معنا الى الصيد يا صديقي، أن تركت نفسك هكذا لن تنسى أبدا.

كان أهيال يقول في نفسه أنت لا تعرف أي شيء، أنت تعرف أني أحبها ولكنك لا تعرف معنى الحب، أنت تريدني أن أنسى ولكن أخر شيء أريده هو أن أنسى، أنا لا أريد أي شيء الآن إلا أن أراها، لا أريد أن أتزوجها ولا أريد أن ابني بيتا لها ولا أريد كل هذا فهذه امأني كبيرة كل ما أريده هو أن استيقظ من هذا الكابوس المخيف لأن الحياة لا تكون بهذا السوء والوحشة إلا في الكوابيس.

*****

عيد حزين

مر الشتاء قاسيا على الجميع ولكن تلك هي عادته في هذا المكان الموحش، أخيرا ظهرت الشمس بدفئها وخرج أهل البلدة للاحتفال الأطفال خرجت لتنظر بعيونها الضيقة الى ضوء الشمس والرجال في الساحات يتبادلون التهاني والنساء أيضا أمام بيوتهم بوجوه مبتهجة وكل من يمر ببيت منشاري يشعر بالاسى لمن رحلوا عن عالمهم وغادر الى المجهول.

تجمع الرجل ليذهبوا لرحلة الصيد ولكن أهيال لم يخرج معهم فذهب نفرا كبيرا من الرجال والشباب الى بيته ليخرجوه منه ويأخذوه معهم الى الصيد فلم يتخلف شابا في القرية عن صيد يوم العيد أبدا، عندما طرقوا الباب احتفلت بهم أم أهيال ودخلوا عليه في مظاهرة كبيره وتعالت الأصوات.

- هيا أنهض أيها الرجل، هيا معنا لتنعم بالشمس الجميلة، هيا لننشد سويا الأناشيد ونحتفي بيوم العيد،

كانت الأصوات تتعالى في داخل المنزل ولم يستطيع أهيال أن يتجنب كل هذا ويظهر ضعفه أمام كل هؤلاء الرجل وقف لاستقبالهم وحياهم وكانت امه سعيدة جدا لذلك لأنه لم يتكلم منذ أشهر وكان صوته ثقيل وضعيف وظهر عليه الضعف والمرض وكاد أن يسقط لولا أنه استند الى الجدار فأنتبه لذلك رجل ذكي في وسط الرجال وقال له بصوت مرتفع.

- يا صديقي، اسمع سنذهب نحن للصيد ونأتي بصيد وفير هذا العام ولكننا نبدأ الطعام في المساء إلا وأنت بيننا، أتوافقني الرأي، نعم أرى ذلك على وجهك. هيا بنا أيها الرجال، هيا لنرحل الى الصيد وسنلقى أهيال عند العودة.

كان هذا الرجل ذكي حقا لأن أهيال لم يكن ليقدر على الذهاب الى الصيد في ضعف شديد.

رحل الرجال الى الصيد وكان بينهم أيال وأبوه وبقية أعمامه كان الرجال يمشون في اتجاه البحر المتجمد وكان يقودهم الرجل المسن كل عام وهو في بهجة ونشاط غير معهود وهم يحملون شباكهم على ظهورهم وينظرون الى الشمس المضيئة في السماء في سعادة وفرح وينشدون أناشيد العيد.

أيها البحر الجميل لا تبخل علينا.

جعلك لنا الخالق لننعم بأسماكك.

طلعت الشمس وعيدنا قد هل علينا.

أشعتها تعم المكان بالدفء العزيز.

فلا تبخل علينا بصيد كثير.

اليوم نرقص ونمرح فعيدنا قل حل.

نحيا جميعا أخوة أشداء.

نحيا جميعا فما عند جارى عندي.

تحملنا الشتاء القارص وقد أن أوان الشمس.

لا تبخل أيها البحر فعيدنا عيدك.

غدا سيذهب الثلج وتتلاعب أمواجك مرحا.

كان أيال يغني مع الرجال ويمشي في همة رافعا ظهره مستقيما بين الرجال وعندما توقف الرجل المسن وأشار في مكان الحفر في الثلج لإدخال الشباك كان هو أول من امسك فأسا وضرب وعند شد الشباك كان هو أول من امسك بها واجتهد في إخراجها مع بقية الرجال.

كان النساء في القرية ينشدون أناشيد العيد باسمين فرحين بهذا العيد متجمعين في دائرة كبيرة وكانت مايانا تجلس بجوار أمها وتنشد معهم بصوتها الجميل وتأمل أن في هذا العيد يخرج عمها أهيال من هذا الغم الذي وقع فيه.

عاد الرجال بصيد وفير وسمعهم أهيال عند عودتهم وصوتهم يعلو بالأناشيد فخرج فجاءه أخيه كاسكال ليمشي بجواره وكان أهيال ينظر الى البلدة كأنه لم يراها من قبل وجلس بين الرجال وبدأ شواء الأسماك وكانت البسمات تضيء وجه كل الحضور ويدفئ الجو أشعة الشمس ونار الشواء والجميع يأكل وجبة ساخنة من السمك الطازج فتكلم الرجل المسن قائلا.

- يوم العيد هو يوم اجتماعنا كلنا فنحن لا نتجمع إلا في الأعياد أو اذا كان زفاف احد أبنائنا، يجب علينا أن نحتفل اكثر من هذا، الحياة يلزمها الكثير من الاحتفال كانا ونحن صغارا كنا نخرج لصيد الأرانب قبل حلول الشتاء بقليل كنا نخرج جميعا، نجلب شباك الصيد الموجودة في البلدة ونربطها جميعا ثم نربطها في أشجار الغابة بحيث تكون منصوبة لأي أرنب يخرج من الغابة فيعلق في الشباك وكانا نذهب الي داخل الغابة قرب الجبل ونمشي متجاورين ونصدر أصوات غريبة حتى تهرب الأرانب من جحورها وتركض خائفة خارج الغابة فتعلق في الشباك ونصنع وجبة كبيرة من الأرانب قبل حلول الشتاء، ما رأيكم نجعل هذا اليوم يوم احتفال أخر قبل حلول الشتاء.

لاقى هذا الكلام ترحاب كبير بين الرجال ووافق الجميع ولكن قال الرجل صاحب الندبة تحت عينه.

- ولماذا لا نجعل احتفالنا قبل حلول الشتاء في أن يصطاد لنا أيتال غزالة ونجتمع عليها جميعا مثل هذا.

قال الرجل المسن في وهو يضحك.

- يوم أن يكون الصيد غزالة هو يوم عيد لنا جميعا سواء أكان في الشتاء أم الصيف فأن اصطاد أيتال غزالة غدا فأنا شخصيا سأعتبره يوم عيد لي.

ضحك الجميع لهذا الحديث ثم أكمل الرجل العجوز قائلا.

- ولكن المقصد في هذا العيد هو المشاركة أن نصنع جميعا شيئا سويا الترابط فيما بيننا ولكن علينا ألا نبيد الأرانب في الغابة فأن وافقنا على هذا اليوم لابد أن نتوقف عن صيد الأرانب قبل شهر من هذا اليوم وأن نتفق جميعا أن نترك عددا من الأرانب لكي يتكاثروا في العام الذي يليه.

قال شابا من بين الجموع في تعجب.

- ولكننا لا نفعل هذا مع الأسماك، نحن لا نتوقف عن صيد الأسماك أبدا فلماذا نتوقف عن صيد الأرانب.
- أشكرك أيها الشاب الهمام على هذا السؤال المفيد وأني لاحب أن اذكر أنك كنت تجتهد اليوم في الصيد وأظهرت جهدا كبيرا أنت وأيال ابن أيتال وردا على سؤالك أقول لك البحر واسع كبير والأسماك تتكاثر فيه بكثرة غير أننا نأخذ من البحر ما يكفينا ونعمل بالحكمة التي تقول أملئ مخزن طعامك قبل الشتاء تحيا في العام المقبل ولكننا لا نغفل الحكمة الأخرى التي تقول لا تدفئ بيتك بأخشاب مخزن طعامك. فأنك أن أدفئت بيتك بأخشاب مخزن طعامك لن تجد مخزن لتحفظ فيه طعامك وستموت جوعا لأنه لن يوجد طعام عندك للغد، الغابة هذه يا بني هي مخزن طعامنا والبحر كذلك فأننا أن اصطدنا كل الأرانب الموجودة في الغابة في هذا العام هل سيكون هناك أرانب نصطادها في العام الذي يليه.

أنتظر الرجل المسن ردا من الشاب الذي سأل السؤال ولكنه لم يرد عليه فقال الرجل المسن.

- لا اعلم أن كنا سنجد أية أرانب. قال الشاب.
- لا بد أن تعلم يا بني، الأمر بديهي، أننا أن اصطدنا كل الأرانب في هذه العام فلن يكون هناك أرانب لنصطادها في العام الذي يليه ولن ترى أرانب ثانيا أما الأسماك فالبحر واسع فنصطاد ونأكل ونخزن طعاما للشتاء ونطعم كلابنا وسيكون هناك المزيد والمزيد من الأسماك في البحر سنجد كل عام اسماك تحت الجليد ولكن كما تعودنا ألا نسرف فكما قال أجدادنا خذ من الدنيا على قدر حاجتك وليس على قدر ما تشتهي وأننا أن توقفنا عن صيد الأرانب لمدة شهر سنشتاق الى طعمها أيضا.

توجه الرجل المسن للجميع بعدما رأي أن الشاب قد اقتنع وقال.
- والآن يا أحبابي هل توافقون على هذا الاحتفال.
وافق الجميع على هذا الاحتفال وعلى التوقف عن صيد الأرانب قبل شهر من يوم الاحتفال ولكن الرجل صاحب الندبة وقف ثانيا وقال.

- لماذا لا نجعل لنا احتفال أخر.
- احتفال أخر. قال الرجل المسن بتعجب ثم أكمل. وماذا هو هذا الاحتفال.
- نريد أن نجعل يوما لصيد الغزلان. قال الرجل صاحب الندبة.
- اشرح أكثر إذا سمحت. قال الرجل المسن.

بينما كان أيال يتابع هذا الحديث باهتمام شديد ولكن كان يبدو عدم الارتياح على وجه أبيه وجده.

أشار الرجل بذراعه الى الغابة وقال.

- نختار يوما في منتصف شهر الصيف ونخرج جميعا لصيد الغزلان ونجتمع على ما نصطاد كما اجتمعنا اليوم على الأسماك.

- أنت مصر إذن على صيد الغزلان. قال الرجل المسن.
- أريد أن نحتفل ولكن واضحين أكثر من منا لا يحب لحم الغزلان، كلنا يحبه.

امتلأت ساحة القرية بأحاديث جانبية وهمهمات عن يوم الغزلان وطعم لحم الغزلان واظهروا تفاعلا كبيرا مع هذا الاقتراح. فقاطعهم الرجل المسن وقال.

- هل اصطدت غزلا من قبل.

قال الرجل المسن هذه الكلمات فصمت الجميع بما فيهم الرجل صاحب الندبة.

- لا لم يحدث ذلك، ولكن هل اصطاد أحد غير أيتال وأبيه الغزلان من قبل هذا ما لم يحدث من قبل، لماذا يقتصر صيد الغزلان في هاذين الشخصين فقط، أنه أمرا يدعو للشك، أليس كذلك، هل هناك سر خلف هذا الأمر، حقا أريد أن اعرف، لم أرى أحدا يصطاد تلك الغزلان إلا أيتال، هذا شيء غريب، هذه حقيقة.

صمت الرجل المسن لدقائق ثم قال.

- أحب أن أبلغك يا عزيزي أن مخطئ لقد رأيت أناس يصطادون الغزلان غير أيتال.

عم الصمت المكان فقال الرجل صاحب الندبة.

- هل هو أبوه.

- لا ليس أبوه اجلس أرجوك وسأجلس أنا أيضا لأن قدماي قد ألمتني.

جلس الرجل المسن في مكانه وقال بعدما استراح.

- أتظنون أن لا احد كان يصطاد هذه الغزلان من قبل، أنتم جميعا مخطئون، الغزلان كانت كثيرة جدا في الغابة بل كانت تركض في وسط الساحة هنا أتذكر جيدا كنت طفلا صغير وكنت أراها وكان أمي تطعمني من لحمها كل يوم وكان هناك قاعدة لا يخطئها احد، لا احد يصطاد الغزلان في البلدة كان الجميع يصطاد في الغابة فقط كان أبي هو من قال لي تلك القاعدة ولكن كما تعلمون وكما قال صاحبنا أن لحم الغزلان الذ بكثير من طعم الأسماك هذا شيء مسلم به ومع توافر الغزلان اهم الناس صيد الأسماك وذهبوا كل يوم الى الغابة ليصطادوا الغزلان فكان الجميع يأكل الغزلان كل يوم هكذا قص علي أبي ولم يكن أحدا يعتني بحفظ لحم الغزلان بل كانوا يأكلون في يومهم واليوم الذي يليه ويلقوا بما تبقى من لحم بعيدا ويذهبوا من جديد الى الغابة ويصطادوا غيرها من الغزلان الى أن انتهت الغزلان في الغابة لم يعد لها اثر وتبقى ثمانية غزلان في البلدة عاشوا في امأن لبضعة أيام إلا أن خرج احد الرجال من بيته واصطاد غزالة في وسط البلدة فركض باقي الغزلان الى داخل الغابة ولم يعثر أي احد على اثرهم بعد ذلك وأنتهى زمن لحم الغزلان ولمدة عشرون عاما الى أن جاء والد أيتال في يوم زفافه واصطاد غزالة، كان الجميع ممتنا له لأنه أذاقهم طعم لحم الغزلان بعد عشرون عاما من الحرمان ومن بعده جاء ابنه أيتال الذي اصطاد غزالة أخرى في يوم زفافه هو الأخر وتتابع صيد الغزلان من أيتال في غير ذلك، الغزلان كانت هنا تحيا بيننا ولكننا نحن من لم نحسن التصرف فأن كان هناك سرا فأنا لا أمانع به وعلى أسوأ الظروف فنحن الآن نأكل لحم الغزلان اكثر من أي وقت مضى وأن رأي أحدكم غزالة فلن يأتي ويستأذن أيتال في صيدها فمن يجد غزالة فليصطادها ولنغلق الحديث في هذا الأمر، يكفي هذا، فلنحتفل في أول يوم للصيف وقبل أسبوع من حلول الشتاء ولكن جميعا ولنكن متعاونين ولا نريد لاحد أن يرحل كما رحل منشاري هو وأهله ولم ينتظر أن يتحدث مع كبار عائلته أو كبار أهل البلدة، كان الله في عونهم أينما ذهبوا وأن

ماتوا فليرحمهم الله ولتتذكروا أن حيتنا هنا مبنية على التعاون والتأخي وأن يكون الفرد لأخيه والجار للجار وأن يكون الجميع للفرد.

***

استغل كاسكال خروج أخيه أهيال من عزلته في يوم العيد وتحدث معه بعض انفضاض الناس الى بيوتهم وهو عائد الى المنزل وقال.

- الحمد لله يا أخي أنك قد خرجت من غرفتك، لا بد ألا تعود الى مثل هذه الحالة ثانيا، من الصباح الباكر سنذهب للصيد سويا وسأحضر أيال أيضا، أتعرف أنه أنقطع عن صيد الأسماك من يوم زفافي، لا بد أن تنضم الي في الصيد، سنخرج سويا في الصباح وسيكون معنا أصدقائك القدامى، اعرف أنك افتقدت الصيد كثيرا، نحن جميعا افتقدناك أيضا يا أخي العزيز، لقد طال غيابك عنا يا صديقي.

كان الإرهاق ظاهرا على أهيال ولكنه نظر الى أخيه وهو يتكلم بحماسة واندفاع وقال له.

- سأنضم إليك في الصيد ولكن أعطني بعض الوقت، أنا بالكاد أستطيع المشي، لا أستطيع أن أخفى عليك هذا.
- حسنا يا أخي أنا أكاد اجزم أنك ستستعيد صحتك في القريب العاجل، بعد يومين ستخرج معي للصيد حتى وأن أردت ألا تعمل ولكنك ستخرج معنا لترى البحر الشاسع والشمس الجميلة.
- حسنا يا أخي، سأجرب أن أتي معك بعد يومين.

تهلل وجه كاسكال لحديث اخوه معه ووعده له بالخروج معه للصيد فروح العيد قد بدئت تتسلل الى روحه المتجمدة كما بدء الدم يسري في عروقه مجددا بعدما جلس في أشعة الشمس لبضعة ساعات بين الرجال في الاحتفال بيوم العيد فأرسلت الشمس دفئها الى قلبه فانتعشت بعض شرايينه قليلا.

عندما وصل المنزل وجد امه قد اغلق باب غرفته فوقف أمام باب الغرفة يدفعه بيده الضعيفة فوجده محكم الأغلاق فتعجب ورفع كتفه لأعلى ثم تسائل.

- ما الذي حدث.
- لن تعود لهذه الغرفة أبدا، لقد أغلقناها هي وما كانت تحوي من هموم، ادخل هذه الغرفة فهي قد أعدت لك ومعك أيال. قال امه.
- ولكن يا أمي، أنا أحب هذه الغرفة. قال أهيال.
- ليس كل ما تحب يكون أفضل لك يا ولدي.

صمت أهيال وحاول أن يجاهد امه بالجدال ولكن لا قوة به لهذا الأمر فنزل على رغبتها ودخل الغرفة الأخرى ليجد كل شيء معد له على أكمل وجه.

استعاد أهيال قليل من قوته بعد اليومين وخرج مع أخيه كاسكال الى الصيد وكان أيال قد ترك الصيد يومها وذهب مع عمه احتفالا به وكان أهيال يمشي ضعيفا متحاملا إلا أنه عند شد الشباك من البحر من تحت الجليد ذهب مع الرجال وسحب الشباك بشدة مثلهم وكان كاسكال سعيدا جدا لهذا الأمر وتكلم أيا كثيرا مع عمه في طريق العودة، حدثه عن الصيد في الغابة وقال.

- لقد أحببت الصيد في الغابة كثيرا يا عمي ولولا أنك قد خرجت للصيد اليوم ما كنت تركت الغابة.
- حقا، هل أحببت الصيد لهذه الدرجة. قال أهيال.
- نعم يا عماه، صيد الحيوانات ممتع، ولكن التعلم من أبي امر صعب للغاية، فهو لا يتحدث مطلقا.

صمت أيال قليلا ثم مال على عمه وقال في صوت منخفض.

- ولكني مصر على تعلم سر صيد الغزلان منه فلا أحد يعرف هذا السر إلا هو ولا بد أن اعرفه وأكون أنا صائد الغزلان من بعده.
- أرى أن لديك خطة يا صديقي. قال أهيال.
- نعم، لقد فكرت كثيرا، أن كان هناك سرا فلا بد أن يخبر أبي هذا السر لاحد وفكرت أن أنا رافقت أبي الفترة الكافية سيكون هذا السر ملكي أنا وسيعلمني كيفية صيد الغزلان وسيذيع صيتي في البلدة كلها بأني صائد الغزلان الشجاع.

كان أيال يقول هذا الكلام بحماسة ظاهرة وعيناه تزداد اتساعا ثم استكمل كلامه قائلا.

- فعذرا يا عماه لن أصحبكم في الصيد غدا، سأرجع للصيد في الغابة، ولكني أريد أن اطلب شيء منك يا عمي، أريدك أن تعلمني كيفية سلخ الثعالب، طريقة استخراج الفرو صعبة وأبي يفعلها بسرعة فائقة، هذا الرجل يعيش في عالم خاص به، لا أتعلم منه إلا بالمراقبة الشديدة فهو لا يريني كيف تكون الأشياء بل على أن اكتشف الأمر بنفسي، هل تساعدني في ذلك يا عماه، سمعت ذات مرة من هينوا هذا الشاب الثرثار أن الصائد الماهر يعرف كيف يصنع فراء جيد وفي حقيقة الأمر أنا لا اعرف كيف يستخرج أبي هذه الفراء بكل سهولة.
- لا تخشى شيئا يا أيال اختر ثعلبا في الأسبوع القادم وسأعلمك كيف يتم سلخ الفرو ولن أتركك إلا وقد تعلمت كيف تستفيد من الفراء بصورة جيدة.
اقترب الرجل من البلدة فتوقفوا في أول البلدة من ناحية البحر المتجمد ثم قسموا الأسماك بينهم وبعدها اخذ كل فرد منهم نصيبه من الأسماك وشباكه خلف ظهره وذهبوا الى بيوتهم وحدث شيئا غريبا إذا قال أيال.

- ما هذا! كيف يحدث هذا؟
- ما بك يا أيال. قال كاسكال.
- أنظروا أن أبي يخرج من الغابة ويحمل غزالة على كتفه، كيف يصطادها وأنا غير موجود، أظن أنه اختار هذا اليوم بعناية، لقد صحبته أشهر

عديدة ويأتي في اليوم الذي أغيب فيه عنه ويصطاد غزالة، أه لكم امقت هذا.....

سكت أيال عن الكلام وهو ينظر الى وجوه أعمامه فقال له عمه كاسكال.

- لا تكن سيء النية هكذا، إلا تعرف أنه من الممكن أن يكون أباك اصطاد الغزالة احتفالا بخروج عمك أهيال معنا الى الصيد.
- هل خروجي للصيد يحتاج الاحتفال لهذه الدرجة، لا تبالغ يا كاسكال. قال أهيال.
- أنظروا أنه ذاهب الى داخل القرية، الى أين هو ذاب بهذه الغزالة. قال أيال في تعجب ثم أكمل، هذا الرجل غريب في كل شيء، هل يعقل أن يكون أخطأ في اتجاهه، لا أظن ذلك.
- دعك من الحديث الفارغ يا أيال، هيا بنا نساعد أباك في حمل هذه الغزالة الكبيرة، لقد حملها من داخل الغابة الى هنا، هيا بنا. قال كاسكال.

تابعوا أيتال في مشيه لكي يحملوا عنه الغزالة ولكنه توقف عند منزل الرجل ذو الندبة على وجه ثم وضع الغزالة عند الباب وتردد قليلا طرق الباب وأنتظر حتى فتح الباب وكان الرجل ذو الندبة يقف مذهولا لما رأي أيتال ورأي الغزالة أمام بيته فكانت عيناه واسعة بصورة غير طبيعية وفمه مفتوح وتسمر بعض الوقت في مكانه وبعدها أندفع الى الغزالة وقال.

- ما هذا يا أيتال. ما هذا، ماذا تصنع هذه الغزالة أمام بيتي.

صمت أيتال قليلا ثم نظر اليه في هدوء وقال.

- هذه الغزالة من أجلك، لقد أظهرت اهتماما بالغا لصيد الغزلان فعزمت حينها على أن اصطاد أول غزالة أراها من أجلك وكنت محظوظ لقد رأيت غزالة اليوم.

تعجب الرجل من الغزالة وكان تعجبه أكثر لحديث أيتال له، ظن الرجل أنه يحلم لأنه أيتال لم يتكلم معه من قبل فهو لا يعرف صوته في الأساس، وهذه الغزالة التي تم اصطيادها اليوم والدم ينزف منها أمام منزله، لم يدري الرجل ماذا يقول أو ماذا يصنع ولكنه تفاجئ برحيل أيتال عنه بعدما تفحصه قليلا فحاول الرجل أن يستوقفه وقال.

- أنتظر يا أيتال، أنتظر، هل أنت جاد، هل هذا حقيقي.

لم ينتظر أيتال بل رحل كأنه لم يصنع أي شيء في وسط ذهول من كل الحاضرين بما فيهم أيال ابنه فسارع الرجل وقال.

- اخرجوا يا أولاد، اخرجي يا زوجتي العزيزة أنظري ما الذي يرقد أمام الباب، هيا أسرعي قبل أن ينتبه الناس.

خرجت زوجة الرجل وقالت في دهشة.

- ما هذا؟ يا ألهى أنها غزالة، هل هي ملك لنا، كيف أحضرتها، هل سرقتها من أيتال، يا ألهى.
- لا تتكلمي كثيرا، هيا احمليها معي بسرعة لندخلها بداخل المنزل، هيا أسرعي، لا تكوني ثرثارة.

حمل الرجل وزجته الغزالة بصعوبة الى داخل المنزل واغلقا بابهم بسرعة فائقة ولم يرى أحد أثر لتلك الغزالة وكل ما رأوه منها كانت جلدها المنشور في الشمس في اليوم التالي، كان هذا الجلد الشاهد الوحيد على حدوث هذا الأمر غير أن رائحة طهي الغزالة ظلت تنبعث من داخل المنزل لمدة أسبوعين متتاليين ولم يخرج فيهما أي أحد من هذا المنزل لا الرجل صاحب الندبة ولا زوجته ولا حتى أولاده خرجوا للعب مع أصدقائهم.

****

الدبة تظهر من جديد

أيها الشمس المرتفعة لا تذهبي.

لا نزال نشتاق الى أشعتك.

وجدك يبعث الحياة فينا.

الأشجار تتلون بألوان جميلة.

الأفق يظهر بلونه الأزرق الساحر.

الحشائش تنبت خضراء ظاهرة.

ليأكل منها الأرانب لتحمل لحما ودهنا.

فننعم بشتاء دافي ء وحساء لذيذ.

ابقي معنا أيها الشمس ولا ترحلي.

فوجودك نعمة من الخالق.

الثلج يذهب بعيدا عندما تظهرين.

تدفئين الأجواء والمنازل.

كما تدفئين قلوب المحبين.

إلا ترين أن المحبين لا يتزوجون إلا في حضورك.

فلا يصح الزفاف في قلب الصقيع.

فالنهر يسري في الصيف.

والحب ينمو في الصيف.

لا ترحلي عنا حتى تدفئينا.

وتخرجي لنا الحيوانات من جحورها.

الشتاء قارص ونحتاج لفراء.

يا نسمات الصيف العليلة لا تنقطعي.

أزيحي همومي وصفي ذهني.

حتى أغني للشمس الجميلة.

كان أيال يصطاد مع أبيه في الغابة وكان يسمع تلك الأناشيد تتردد في أجواء الغابة من صياد أخر من البلدة وكان أيال يحب هذه الأناشيد وكان اكثر ما يفتقده في صيد الأسماك تلك الأناشيد التي ينشده الرجال في ذهابهم ومجيئهم من الصيد وكان يسمع تلك الأناشيد ويتمم ويحرك شفاهه مع الرجل الذي يغنيها وتعجب لماذا لا يستمتع أباه بهذه الأناشيد فهو لم يسمعه ولو لمرة واحدة يقول أي نشيد من المنتشرين في الغابة ونظر الى كلبه الأصفر الذي يمشي بجواره ويهز ذيله في سعادة وقال في نفسه أن كلبه الأصفر بالطبع يستمتع بهذه الصوت وهذه النغمات فكل ذي روح يستمتع بهذه النغمات الجميلة والكلمات ذات المعنى، فما بال أبوه لا يبدي أي انفعال لهذه الأشياء وتسائل أهو

صاحب روح كباقي الأحياء أم أن روحه قد ماتت هنا في الغابة بين الحيوانات المفترسة فصارت روحه كأرواحهم.

كان أيال يحمل على كتفه أرنبين كبيرين قد وجودهما في مصيدتين سابقتين ويسمع تلك الأناشيد وكان أيال حانقا على أباه فهو لم ينسى أن أبوه اصطاد تلك الغزالة وأعطاها للرجل ذو الندبة مما جعل الجميع يندهش وقال في نفسه لماذا اختار هذا الرجل الجاف عدم وجودي معه في الصيد ليصطاد تلك الغزالة البغيضة، لابد أنها فعلا كانت غزالة بغيضة حيث أنها انتهت في بطن رجل لئيم لم يشاركها مع احد في البلدة مما زاد احتقار الناس له، حيث ظهر الرجل أخيرا خارج منزله وبطنه تمتد أمامه أشبارا كأنه يحمل في بطنه عشرة كلاب صغار فعندما كانت الكلبة البيضاء حاملا لم تكن بطنها نصف حجم بطنه، وما بال هذا الرجل الذي يدعوه أبي لا يريد أن يعلمني كيفية اصطياد الغزلان وما باله لا يغني ولا يتأثر بتلك الأناشيد التي تتمايل الأشجار الجامدة من حولنا لسماعها كان أيال يحدث نفسه بكل هذه الكلمات فقرر في أن يسأل هذا الرجل الجاد الذي أمامه فاقترب منه وقال في صوت منخفض.

- أبي لم أسمعك تنشد الأناشيد من قبل.

أشار اليه أبوه أن يخفض صوته ثم رد عليه وقال.

- الصياد الماهر لا ينشد وسط فرائسه.

لم يقتنع أيال بهذا الرد فلم ينشد أباه أبدا خارج الغابة بينما امه دائما ما تنشد الأناشيد وسمعها كثيرا تنشدها في المنزل وتعلمها لأخته مايانا، أندهش أيا يوما حينما سمع امه تنشد أناشيد العيد في قلب الشتاء القارص، فقال لها "نحن في قلب الشتاء يا أمي الثلج امتارا فوق المنزل" فردت عليه "ولكننا نأمل أن تطلع الشمس ويحل العيد، الأنسان يحيا على الأمل يا بني" كانت امه تقول هذه الكلمات بينما كانت تنشد هي ومايانا أناشيد العيد وكانت جدته تجلس بجوار جده وهم يستمتعان

بكوب من الشاي الدافئ ويسمعان تلك الأناشيد تتمايل رؤوسهما مع الألحان، يتذكر أيال هذا المشهد جيدا.

كان يخطو في الغابة خلف أبوه بينما يفكر ما الذي يعجب أمي في هذا الرجل لماذا تزوجته حقا، فهي أجمل نساء القرية حتى في سنها هذا، ولماذا اصطاد هذا الرجل الغزالة في عدم حضوري، أكاد اجزم أنه قصد هذا الأمر.

كانت مثل هذه الأفكار تدور في رأس أيال بينما يمشي خلف أبوه في الغابة في اتجاههم للمصيدة التالية وقد كان الصيف قد أذاب كل الجليد في الغابة ومن على الأشجار والكلاب كانت تمشي منتعشة في وسط هذا الجو اللطيف فبمثل هذا الجو تنتعش اغلب الحيوانات في الغابة، ولكن أيال أنتبه وفاق من أفكاره على صوت نباح شديد للكلاب فالكلب الرمادي والبني ومعهم الكلب الأصفر كانوا ينبحون بصوت عال جدا وينظرون تجاه اليسار بينما أنتبه أبوه أيضا لهذا الجانب وسمع أيال صوت شيء يدب في الأرض ويركض بسرعة فقال أيتال لابنه بصوت مرتفع متعجل.

- ابتعد يا أيال، ابتعد بعيدا.

وكان أيتال يستعد مخرجا خنجره وممسكا بالقطعة الخشبية من خلف ظهره بينما ظهرت دبة كبيرة بنية من خلف الأشجار، فسمع أبوه يقول.

- أنها هي، أنها هي، اذهب بعيدا يا أيال ارجع الى المنزل، لا تخبر أحدا بشيء.

وقف كلبي أبوه أمام الدبة بينما وقف الكلب الأصفر في الخلف خاف أيال وتسارعت دقات قلبه كثيرا وعلى صدره وهبط بسرعة شديدة وشعر بأنه لا يستطيع أن يقف على قدميه فتراجع أيال بعيدا ولكنه لم يرحل عن المشهد فوجد أن أبوه يقف أمام الدبة على بعد عشر خطوات منها وهو يبحث عن شيء بينما يرجع بضع خطوات الى الخلف ليقف تحت فرع

شجرة كبير منخفض قليلا ثم يضع القطعة الخشبية في مكانها على ظهره وحينها تقف الدبة على أطرافها الخلفية وتصدر صوتا مخيفا جدا فيركض الكلب الأصفر الى صاحبه ويرجع الكلبين الأخرين بضعة خطوات الى الخلف، تهبط الدبة على الأرض ثانيا باندفاع فتصنع حفرة في الأرض الرطبة ثم تنظر في اتجاه أيال نظرة غضب وحقد وكأنها تتوعده بعد ما تنتهي من امر أبوه فيصاب أيال بالرعب ويختبئ خلف شجرة ثم تنظر الدبة الى الرجل الواقف أمامها وتركض مندفعة نحوه وأيال يشاهد أباه في هذا المنظر، كان أباه يقف ثابتا ممسكا بخنجره في يده اليسرى ويقف تحت فرع الشجرة الأفقي الذي يعلوه ببضعة أقدام ويفكر أيال أنه حان الوقت المناسب كي يهرب أباه ويخرجا بسرعة خارج الغابة ولكن أبوه لا يتحرك بينما تركض اليه الدبة وهو يلوح بالخنجر في الهواء وقدماه ثابتتان في مكانهما ويجري الكلبان من أمامه ليتركاه وحيدا أمام الدبة وحينما اقتربت منه القى أبوه بالخنجر في الأرض وقفز في الهواء مرتفعا ليمسك بفرع الشجرة وهو يقول.

- اركض يا أيال بعيد.

ولكن أيال لا يتحرك من مكانه لأن ما شاهده استولى على كل تركيزه فشاهد أباه يقفز في الهواء كفراشة خفيفة ويمسك بكلتا يداه في فرع الشجرة الأفقي ويدفع بقدمه الدبة بكامل قوته وهي تقفز اليه في الهواء كمنزل طائر فيدفع الدبة الى يمينه فيختل توازنها وتسقط على الأرض بينما يندفع هو عليها ويخرج القطعة الخشبية ويضربها على رأسه ثلاث ضربات متتابعات في قوة ويرجع الى الخلف والدبة تصدر صوت تألم حزين ثم تمشي متمايلة وهي تبتعد عن المكان ويعوي خلفها الكلاب الثلاثة حتى اختفت بين أشجار الغابة.

جاء أيال الى أباه راكضا وهو يقول.

- هل أنت بخير يا أبي، هل أنت بخير، ها أصابك شيء؟

نظر أبوه اليه وكان يتنفس بسرعة ويظهر الاضطراب على وجهه وقال في اندفاع.

- لا تخبر أمك بأمر الدبة، لا تخبرها أبدا.
- حسنا يا أبي، لن أخبرها، هل أصابك شيء.
- أني بخير ولكن لا تخبر أمك، أن أخبرتها لن تتركك تدخل الغابة أبدا.

كان أيتال يقول تلك الكلمات بوجه جاد وعين واسعة فشعر أيال بأن الأمر خطير وقال على الفور.

- لن أخبرها أبدا يا أبي.

وقف أيتال وتحرك ناحية المصيدة التالية كان شيء لم يحدث بينما كان ابنه أيال يفكر خلفه في هول الموقف ويمشي بخطوات غير ثابتة، المشهد مازال يؤثر على أعصابه فلا تستوي قدماه ولكنه كان يستعيد المشهد ويفكر في أن تلك الدبة نظرت له نظرة غير طبيعية وما علاقة أخبار امه بالدبة التي صارعها أبوه وبين عدم دخوله هو الى الغابة مرة أخرى غير أن سؤال أخر استولى عليه بعدما هدء قليلا وتمالك نفسه وبدأت خطواته في الاعتدال لماذا لم يقتل أبي تلك الدبة أتي كادت تقتله، فكر قليلا ثم هم بسؤال أبيه.

- أبي لماذا لم تقتلها، كانت تريد أن تقتلك ومن الممكن أن ترجع مرة أخرى، لماذا لم تنتهي منها لقد كانت في منتهى الضعف حينما ضربتها على رأسها ثلاث مرات كان من الممكن أن تضربها بخنجرك ضربات متتابعة وتقتلها وننعم بفرائها السميك.

توقف أيتال واستدار لابنه ونظر في عينه وقال.

- تلك الدبة سببت الم كثيرا لامك وأن قتلتها وأخذت فروها فستعرف ذلك الفرو، غير أننا عندنا ما يكفينا من الفراء.

صمت أيتال قليلا وهو ينظر الى ابنه في عينيه وقال له وهو يضع يده على كتفه.

- لا تذكر تلك الدبة مجددا وأن رأيتها في الغابة اهرب في أي اتجاه وسأتولى أمرها لا أريد أن تصاب بمكروه يا ولدي.

تأثر أيال كثير لهذه الكلمات فكانت الكلمات الأكثر حميمية التي يسمعها من أبيه طوال حياته، ولكنه اضطرب لسماع صوت ركض أخر من خلفه ونبحت الكلاب نباحا متتابعا وامسك أيتال بأبنه وجعله خلف ظهره وامسك بالخشبة والخنجر ونظر في اتجاه نباح الكلاب وفجاءة ظهر رجل أخر من البلدة أتى مسرعا فاستراح أيتال وأعاد خنجره والقطعة الخشبية مكانها فقال الرجل.

- سمعت صوت صراع، فجئت مسرعا، هل أصابكم مكروه يا أخي.
- لا يا أخي نحن بخير، شكرا لك. قال أيتال.
- أظنها كانت دبة. قال الرجل.
- لا يا صديقي كان ذئبا ولكن كان هناك شيء علق على حلقه فلم يكن يعوي اعتقد أنه علق في مصيدة أحدهم وكان هناك حبل في المصيدة. قال أيتال.
- حسنا يا أخي، أتمنى لكم صيدا وفيرا وأن تعودا سالمين.
- نتمنى لك السلامة.

خطى الرجل عدة خطوات ثم فكر أيتال وقال.

- أنتظر يا أخي.

استدار أيتال الخلف واخذ من على كتف ابنه أرنبا ومد يده للرجل وقال له.

- هذه هدية لك يا أخي لنبل أخلاقك.

أندهش الرجل وتقدم بضع خطوات وامسك بالأرنب وقال وهو ينظر للأرنب في سعادة.

- شكرا جزيلا يا أيتال، لم اصطاد شيئا اليوم، كنت حزينا لعودتي بدون صيد.
- نحن أخوة، شكرا لك يا أخي، صحبتك السلامة. قال أيتال.
- أنت لطيف اليوم الى حد بعيد يا أيتال، أراك كثيرا في الغابة ولم نتحدث لمرة واحدة، شكرا لك يا صديقي.

كان الرجل يقول هذه الكلمات بينما أيتال يمشي مبتعدا فاستدار له ولوح بيده وعلى وجهه ابتسامة كبيرة وبعد فترة قال أيتال لابنه وهو مبتسم.

- لن يقص الرجل قصة الدبة ولكنه سيقص قصة الثعلب والأرنب.

ضحك أيال ضحكة خفيفة ونظر لأبيه في إعجاب ثم تبعه بقلبه وعقله عند عودتهم للمنزل سألته امه.

- كيف كان يومك يا صغيري.
- كان جيدا يا أماه. قالها أيال بصوت يبدو عادي جدا.
- يقال إن أباك صارع ذئبا كبيرا.
- الناس تبالغ كثيرا يا أمي، لقد كان ذئبا جريحا وضربه أبي على رأسه ولم يريد أن يقتله ولا اعلم لماذا ثم رحل وهو يعوي.

ولم يزد على هذه الكلمات وكان أباه ينتظر إجابته ويستمع له وهو يطعم كلابه في الخارج، ثم ناداه بعدما أنهى حديثه مع امه وقال.

- هيا يا أيال أطعم كلبك.

جاء أيال اليه فابتسم له أبوه وأعطاه الخنجر وقطعة من لحم الأرانب ثم ضرب على كتفه ورحل عنه.

ومن يومها وهو يتبع أبيه بلا ضجر وبدء يكن لأبيه شعور مختلف عن الذي كان يسبق هذا اليوم فهذه هي أول مرة يسمع فيها من أبوه أنه لا يريد أن يحدث له مكروه وشعر حينها بأن أباه فعلا يحبه، فعندما كان يسمع منه تلك الكلمات وجد في عينيه نظرة حنأن لم يراها من قبل وتذكر أيضا كيف أن أنهم حينما سمعوا صوت خطر في المرة الثانية تذكر كيف أن أبوه امسك به وجعله خلف ظهره ليحميه، غير أن هذه هي أول مرة يمزح أبوه معه حينما اعطى الرجل الأرنب وضحكا سويا، تغيرت الأشياء فلم يعد أيتال هو الصائد الماهر صاحب سر صيد الغزلان الذي يسعى أيال خلفه ولكنه اصبح الأب والصائد الماهر.

في هذا الصيف لم تتغير أحوال أيال وحده فعمه أهيال قد تغير أيضا واصبح يخرج للصيد مع الرجال دائما ولا يتخلف عنهم ولكنه لم يصبح يتكلم مثل كما كان يفعل في السابق اصبح يعمل في صمت ويتحرك في صمت ويجلس وحيدا ينظر في الأفق فعندما كان ينتهي من الصيد كان يجلس خلف المنزل وفي مواجهة النهر وينظر الى النهر لساعات طويلة، يمر عليه النساء والفتيات وهم ذاهبون ليحضروا الماء ولكنه لا ينتبه لهم ولا يساعد أحدا في حمل أي شيء لا يراهم في الحقيقة هو يري محبوبته ويسمع حواراتهم ويتخيل أمانيه الكبيرة التي ضاعت، كانت الفتيات يشعرون تجاهه بشعور غريب فيمقتونه تارة ويقولن أنه حزين كمن فقد طعامه في وسط عاصفة ثلجية وتارة يقولن أنه اصبح مجنون ويتحدث وحده وهو جالس مقابل النهر وبعضهم يقولون أن أباه لم يؤدبه كما ينبغي كيف له أن يواعد إيتا سرا وبعض الوقت كانوا يقولن أنه عاشق ولهان وليت نصيبنا نصف نصيب إيتا من الحب.

قبل انتهاء الصيف قرر أن يصنع بيتا مقابلا للنهر، تهللت امه كثيرا واعتبرت ذلك إعلانا صريحا منه على العزم على الزواج ولكنه لم يجيبها بالنفي ولا بالإيجاب وكان يقول لها.

- أنا فقط سأبني بيتا هذا ما أريده الآن.

أنتشر الخبر في القرية وجاء بعض الرجال لمساعدة أهيال في بناء المنزل ولكنه ابلغهم أنه لا يحتاج مساعدة لبناء المنزل وعند حاجته للمساعدة سيبلغهم وشكرهم على مبادرتهم الجميلة وتناقلت النساء بعض الإشاعات عن زواج أهيال لاحد أقربائه فلن تتركه امه حزينا هكذا فهو يكاد يفقد عقله وهو ينظر الى النهر، كثر الحديث وكثرت التكهنات عن زوجة أهيال المستقبلية وكانت الفتيات تمر عليه وهو جالس مقابل النهر بعد تلك الإشاعات في خفة ودلال معلنات له عن وجودهن وأن أي واحدة منهن تصلح لأن تكون بدلا لإيتا التي لم تكن اجملهم بكل اغلب الفتيات كن يعتقدن أنهن اجمل منها بكثير.

كان أهيال لا يحيا في هذا العالم هو يصطاد الأسماك ويشغل نفسه بصيد تلك الأسماك كل يوم تقريبا ويجتهد اكثر من أي فرد أخر في المجموعة ويتعكر مزاجه عندما لا يذهبون للصيد فهو يجد في الشغل والانشغال والتعب الجسدي راحة لباله ولخياله الذي لا يفتأ أن يذكره بأحلامه الضائعة وقصور أماله التي هدمت ولذلك عندما توقف الجميع عن صيد الأرانب طلب أهيال من أيتال وبقية إخوته أن يساعدوه يوما بعد يوم في إحضار أخشابا من الغابة قبل انتهاء فصل الصيف فكانوا كل يوم يذهبوا لإحضار الأخشاب الكبيرة ويضعوها بعيدا عن كل البيوت قريبا من النهر فعملوا لشهر كامل لإحضار الأخشاب التي تقيم منزلا كبيرا.

قبل الاحتفال بيوم صيد الأرانب بدأ أهيال بنصب أساسات منزله وتعجب اخوه كاسكال من وجهة بيته ستكون تجاه النهر وليس في اتجاه القرية وناقشه في ذلك الأمر ولكن دون جدوى فأهيال مصمم على أن يكون باب المنزل في اتجاه النهر وعجب الناس من هذا الأمر فكل المنازل في القرية القريبة من النهر بابها ناحية القرية وظهرها الى ناحية النهر فسيكون البيت الوحيد الذي يكون بابه في اتجاه النهر ولكن أهيال لم يسمع لاحد ووضع أساسات المنزل وكان بابه في اتجاه النهر.

***

أنقطع الناس عن صيد الأرانب قبل شهر من موعد الاحتفال المتفق عليه فلم يعد أي صائد يضع خبز في مصائده وفي اليوم الموعود اجتمع جميع رجال القرية وشبابها في الساحة وجمعوا جميع شباك الصيد وربطوها سويا بعدما لتصنع شبكة كبيرة جدا وربطوها على الأشجار بطول الغابة حتى بلغت الشباك النهر وكانت تعلوا من الأرض حوالي متر ونصف ثم تكلم الرجل المسن وقال.

- أحبابي أبناء قريتنا اليوم هو اليوم الأول لمثل هذا الاحتفال نتمنى أن يكون يوما سعيدا علينا جميعا، سندخل جميعا الى داخل الغابة الآن وأنا اعرف أن بعض الشباب لم يدخلوا الغابة من قبل أرجوكم أن تحرصوا على سلامتكم كما أننبهكم جميعا أننا سنمشي ونحن داخلين في طابور واحد يتقدمنا أيتال وأنا من خلفه لأن أيتال ذو خبرة بالغابة وعندما أشير بيدي سنجعل هذا الطابور الى صف طويل بعرض الغابة أو ما نستطيع تغطيته الى قرب النهر وأنبه هنا أن لا احد يذهب أبدا الى منطقة الأشجار الكثيفة في شمال الغابة بالقرب من النهر ابتعدوا عنها فكلها نمور وحيوانات مفترسة أرجوكم نريد هذا اليوم أن يكون يوم احتفال لا يوم حزن على فقداننا احد أفراد القرية ولابد أن أقول شيئا هنا نحن نريد اصطياد فيما يقارب من المئة أرنب وما يزيد عن ذلك سنتركه ولذلك كونوا حريصين على عدم قتل أي أرنب ولنترك الأرانب تعلق في الشباك وفقط ثم سنختار ما نأكله وما نتركه وأن وجد أحدكم أرنبة حامل فليتركها وأخيرا حافظوا على سلامتكم، هيا بنا.

تحرك الرجل المسن خلف أيتال الى داخل الغابة والطابور من خلفه طويل جدا وكان أيال خلف الرجل المسن عشرون رجل وظلوا يمشوا في الغابة ودخلت بعض الكلاب خلفهم واقترب أيتال من الجبل ونظر حينها أيال الى الجبل وكان عاليا جدا والثلج مازال يغطي نصفه العلوي ثم أشار

الرجل المسن بالوقوف فتوقف الرجل وثم حازوا بعضهم بعضا وصنعوا صفا وأنتظر الرجل المسن حتى تحرك أخر رجل في الطابور واخذ مكانه في الصف ثم تحركوا جميعا وهم يصدرون أصوات غريبة من حناجرهم ويضربون الأشجار بقطع صغيرة من الأشجار فتخرج الأرانب من جحورها وتركض أمام الرجل في اتجاه الشباك ويرتفع بعضها فوق الأشجار وتسارعت حركة الرجال حتى وصلوا الى الشباك ووجدوا الكثير من الأرانب عالقة واشرف الرجل العجوز على اختيار الأرانب التي تصلح للأكل والأرانب التي سيتم إطلاقها ثانيا وكان حريصا على ترك أناث الأرانب أحياء.

كان الأطفال هم الأكثر سعادة بهذا اليوم فهم يرون الكثير من الأرانب الحية واستعد النساء لأعداد الطعام وأوقد الشباب نار كبيرة وصنع الطعام في نظام ولكن الطعام لم يكن كافيا فمئة أرنب لا تشبع أهل البلدة فلم يطعموا كلابهم من الأرانب التي اصطادوها بل أطعموها اسماك من صيد الأيام السابقة ولكن أيال أطعم كلابه نصيبه من الأرانب بينما اعطى أيال نصف نصيبه لكلبه الأصفر.

وبعد انتهاء الاحتفال ذهب أهيال الى استكمال البناء في بيته الذي لم تكتمل أساساته بعد فقد اختار أن يصنعه من خمسة غرف وتعجب الجميع، وتساءلوا أن كان لا يريد الزواج من أحد لماذا يبني هذا البيت، ولماذا يبنيه كبيرا هكذا، فأكبر بيت بني لعريس جديد في البلدة كلها كان من أربعة غرف، كثرت التساؤلات ولكن لم يكن هناك إجابة فهم يوجهون الأسئلة لأنفسهم ولا يستطيعون أن يوجهوا مثل هذه الأسئلة الى أهيال لأنه كان عازم على اعتزال الناس.

*****

وعد الصديق

جاء الشتاء قارص كعادته وكان أهيال يعمل اغلب أيام الشتاء في بناء منزله ويذهب للصيد حينما يسمح الجو بذلك وكانت اشد أيام الشتاء على أهيال هي أيام العواصف حينما لا يستطيع الخروج من المنزل، كان يفقد صوابه ويتحدث بعصبية الى كل من يحدثه وكان هذا دائما في بادئ الأمر وبعد مرور أيام من العاصفة وهو داخل المنزل لا يخرج منه ينزوي في ركن من أركان الغرفة ويسكن ويصمت ويشرد في الفراغ ويطيل النظر الى السقف ولا يتحرك إلا لأكل أو حاجة ضرورية يحتاجها.

كان أيال يسمع عمه يتكلم في أحلامه ويقول.

"عودي يا إيتا، عودي أيتها الفراشة الجميلة، رفرفي بجناحيك الرقيقين على قلبي يعود هو للحياة، قلب معلق بك يا إيتا، يا ذات الضفائر الطويلة والعيون الساحرة، لا تذهبي لغيري فلن اذهب لغيرك، فلتعودي فأنا منتظرك، يا فراشتي الجميلة"

كان أيال يتعجب من حال عمه أهيال ويفكر في نفسه أيصنع الحب كل هذا البؤس والهوان، أيجعل الحب رجل مثل هذا ميتا بجسد متحرك، اعتزل عمه الدنيا كلها واهمل كلابه ولم يعد يهتم بأي شيء غير بناء منزله الذي يبنيه وحده ولا يطلب من احد مساعدة إلا عندما يحمل قطعة خشبية كبيرة فينادي احد إخوته ليحملها معه، ما هذا الحب الذي يفرق الأصدقاء ويذبل حيوية الشباب ويدمي القلب ويقتله، كانت هذه صورة أيال عن الحب التي استنبطها من ما حدث لعمه أهيال الذي يرتبط اسمه بصورة الحزن عنده وقد سمع ذات مرة عمه كاسكال يتحدث مع أخيه أهيال وهو يقول.

- يا عزيزي لما كل هذا الحزن، أكاد اجزم أن الكثير من فتيات القرية هم أجمل من إيتا لم تعذب نفسك هكذا، أن تنهي حياتك قبل أن تبدأ.

نظر اليه أهيال في اندهاش وفمه مفتوح قليلا وعيناه تبدي دهشة وانفعال ثم تلاشت تلك الدهشة وتحولت الى لامبالاة. مما دفع كاسكال ليقول.

- اخبرني أيها العاشق ما الفرق بين إيتا وغيرها من النساء، ما الذي جعلك تحبها بهذه الطريقة، فل يصنع أي احد هنا مثلما صنعت أنت، هل تعلم لماذا تأخر منشاري في الزواج، فهو الولد الوحيد في الأسرة وليس عليه أن ينتظر احد ليتزوج، اعرف أنك تعرف جيدا لماذا تأخر في الزواج لأنه كان يحب تلك الفتاة جارتهم ولكنها كانت تريد أن تتزوج بشاب أخر ولم يستطيع منشاري أن يفعل أي شيء وأنا على تمام العلم أنك تعرف كل شيء، وقل لي ماذا حدث لمنشاري هل اعتزل الناس هل مات غرقا هل تغير مثلما تغيرت أنت وكدت تموت في الشتاء الماضي وأصبحت عصبيا أو عديم الإحساس هكذا، قل لي رد علي.

أنتظر كاسكال قليلا ولكن أهيال لم يرد ونظر له بغير مبالاة فأندفع كاسكال قائلا.

- لا لم يفعل منشاري أي شيء من هذا، استاء ليومين بعد زفاف الفتاة ولكنه أكمل حياته وذهب الى الصيد وعاش وأصبح يمزح كما كان يفعل قبل زواج تلك الفتاة، هل أنت أول من كسر قلبه، لا، ولكنك أول من يفعل هذا، والآن قل لي لماذا تفعل هكذا؟ ما الذي في إيتا وليس في غيرها، ما هذا اشرح لي.

توقف كاسكال حينما رأي أن اخوه يدمع ويقول.

- لا أستطيع غير أن أحبها وافتقدها، اشعر أن روحي ذهبت معها، أتظن أني سعيد هكذا، لا بالطبع، أرجوك اتركني وشأني.

كان حزن أهيال يزداد في الشتاء وخاصة وقت العاصفة وكلما زاد وقت العاصفة كلما زاد حزن أهيال على رحيل إيتا وتحطم أماله وأحلامه.

كان ينشط في بناء منزله عندما تزول العواصف ويذهب الى الصيد مع إخوته وبقية الرجال وكان أيال يذهب مع كلبه الأصفر الى داخل الغابة كل يوم مع أبيه للصيد ويراقب في اهتمام كل حركات أبوه ونظراته كان ينظر الى أبوه في فخر واعتزاز يريد حقا أن يحذو حذوه عندما يكبر ويصير رجلا بين الرجال، يتصور نفسه حينها يمشي في القرية يحمل صيده على كتفه ويكون صيدا وفيرا ويسمع بعض الرجال الكبار يقولون "نعم الرجل هو أيال، رجل مثل أباه، هذا ما أتمناه زوجا لابنتي" ويتخيل الفتيات في البلدة وهم يتحدثن عن شجاعته وإقدامه وقلبه الذي لا يخشى شيئا ويقولن "ليتني أكون زوجته، ليته يأتي ليخطبني من أبي، هذا من يستطيع أن يصطاد غزالة في يوم زفافنا"

لم يكن أيال يحلم بمواصفات فتاة أو أعجبته فتاة في القرية مع أنهم لم يكونوا ذات المجتمع المغلق الذي لا يرى فيه الشباب الفتيات الى نادرا حيث كان مجتمعهم بسيط توجد فيه النساء بشكل طبيعي حيث تذهب النساء والفتيات في الصيف كل يوم تقريبا لإحضار الماء من النهر ليس لأن الماء نفذ بل للاستمتاع بضوء الشمس وغير ذلك فهو يرى الفتيات في المناسبات كحفلات الزفاف وعند حلول العيد، مجمل الأمر أنه لم يكن معزول عن الفتيات ولكنه لم يكن يفكر في الحب، كان يري أنه لا بد أن يكون رجلا شجاعا وصائدا ماهرا هذا أولا ثم أنه عاين ما حدث لعمه أهيال من الحب لقد ألمه كثيرا أن يري عمه في مثل هذه الحالة فعزف عن الحب وقرر أن يتزوج زواجا تقليديا ولكن عليه أولا أن يكسب صيتا كبيرا في البلدة على أنه رجل شجاع مثل أبوه وصائدا ماهر يستطيع أن يصطاد الغزلان وحينها سترغب فيه كل فتيات البلدة ويختار هو افضلهم، هذا ما كان يخطر ببال أيال من ناحية الزواج وهو يعلم أنه مازال صغيرا للتفكير في الزواج ولكنه ليس صغيرا على تحضير وإعداد نفسه أن يكون صائدا ماهرا ورجل شجاعا فهذه هي الأولوية.

****

مرت ثلاثة فصول شتوية وكان أيال يجتهد مع أبيه في الصيد في الغابة ولا يتركه أبدا فكان ابنه وتلميذه المطيع وأصبح أيتال الآن شابا كبيرا تسعد امه عندما تراه عائدا من الصيد يحمل الصيد على كتفه وتقر عينها وكانت مايانا هي الأخرى على مشارف الأنوثة وكانت فهي هذه الفترة ظل أمها لا تتركها أينما ذهبت ونمت هذه الفتاة لتكون صورة من أمها الجميلة بعينها الساحرتين ووجهها الدائري الرقيق وقلبها الطيب وأصبح أيال أكثر طولا وامتلئ جسده وخشن صوته وخط شاربه وفي يوم صادف هينوا الذي يعد نفسه صديقه وقال له هينوا.

- صيتك بدأ يسري في البلدة يا صديقي، لقد أصبح الناس يتحدثون عن الصائد الماهر خليفة أيتال الشجاع، أنا سعيدا حقا من أجلك لأنك تتعلم من الأفضل ولكن لي عندك رجاء فلا تخذلني.

قال أيال بهدوء وهو ينظر الى الأفق.

- تفضل.
- أرى أنك أصبحت فعلا مثل أبوك، ترد بكلمة واحدة فقط، فالصمت من شيم الصائد الماهر هكذا كانت تقول لي أمي وأنا صغير، لن أطيل عليك فالجميع يكره ثرثرتي بالحديث المتكرر وذكري لأشياء تافهة واعلم جيدا أنك تكره هذا تماما مثل ما يفعل أباك، فأنت ترافقه الأن لأربع فصول شتوية وتعلم خصاله جيدا بل واكتسبت منها الكثير وأنا سعيدا لهذا كثيرا....

قاطعه أيال قائلا.

- ما هو طلبك يا رجل. قالها في نظرة جادة ونفاذ صبر.
- حسنا أرى أني أكثرت الحديث عليك أعدك بعدم تكرار هذا الأمر لأني حقا أريد منك أن تنفذ لي هذا الرجاء وفي اختصار شديد حتى لا تمل مني وتنصرف بعيد كعادتك منذ كنا صغارا، أتتذكر ذلك، كنت دائما تتركني وترحل وأنا أتحدث إليك.

رأي هينوا علامات الضجر حينها على وجه أيال فقال مسرعا.

- يا صديقي رجائي الوحيد هو أن تعلمني الصيد وما يعلمه لك أبوك عندما تستقل بنفسك كصائد ماهر، أرجوك أن تقبل هذا الأمر، فأنه لا يسعني أن اذهب لأن اطلب من أبوك هذا الطلب، ففكرت أن أتعلم منك أنت فأنت تتعلم من الصائد الأفضل في بلدتنا وأنا أريد أن أتعلم منك وأنت صديقي وأن اعلم هذا.

أعجب أيال بهذه الفكرة وأنه في يوم من الأيام سيعلم أحدهم فلمعت عيناه وقال.

- أعدك يا صديقي.

صاح هينوا فرحا وقال.

- شكرا لك يا صديقي لن أنسى هذا أبدا، أنك لنعم الصديق الوفي، لطالما ترددت أن اطلب منك هذا الطلب ولكني كنت اعلم طيبك ونبلك فأنت ابن الرجل الشجاع النبيل فلابد لك أن تكون كريما مثله فمن يهدي غزالة لشخص لئيم لا بد وأن يعلم ابنه الكرم.

رفع أيال يده في وجه هينوا وقطع حديثه وقال في جد وحده.

- أن كنت تريدني أن أعلمك لا بد أن تقلل من حديثك هذا، في الواقع أنا لا أطيق اصطحابك داخل الغابة هكذا، ستبعد الفرائس بحديثك هذا.

وضع هينوا يده على فمه ثم رفعها قليلا وقال.

- لا تخش سأصمت.

كان هينوا سعيدا جدا لأن أيال سيعلمه الصيد فكان حلمه أن يكون صائدا ماهرا مثل أيتال وهو سعيدا حقا لوعد أيال له بتعليمه عندما يستقل كصائد ولكن أيال نفسه لم يكن يفكر في الاستقلال عن أبوه في الصيد وعندما فكر في الأمر وجد أنه من الطبيعي له أن يستقل عن أبوه والا كيف سيختبر ما تعلمه من أبوه وكيف يكون صائدا ماهر ولكنه لم يتعلم سر صيد الغزلان بعد فقرر أن يؤجل فكرة الاستقلال عن أبوه ونصبه لمصائده الخاصة الى بعد أن يتعلم من أبوه سر صيد الغزلان.

***

مرت ثلاثة أعوام من بعد ما قرر أهيال أن يبني بيته وهو الى الآن لم ينهي بناؤه، فبناء المنزل في هذه القرية لا يتعدى الشهرين أبدا وأن كان الرجال كسالى يبني البيت في ثلاثة اشهر أما بيت أهيال فقد اخذ في بنائه ثلاثة أعوام متتالية ولم ينهي بناؤه فهو يبنيه وحيدا ويصمم على ذلك، عرض عليه إخوته المساعدة في البناء مرات عديدة ولكنه لم يكن يوافق كما رجال من القرية يعرضون مساعدتهم أيضا ولكنه شكرهم بلطف اكثر من مرة هو اكمل الآن أربعة غرف وباقي جدران الغرفة الخامسة ثم سقف المنزل كله، كان المنزل كلما ارتفع عن الأرض ازدادت معالمه وضوحا فكانت الفتيات يشاهدوه ذهابا وإيابا في ذهابهم للنهر وذات مرة كان أهيال يعمل داخل المنزل ولم يراه الناس بينما سمع بعض النساء يتحدثن.

- أنه منزلا كبيرا حقا، أنه كالقصر، خمسة غرف، هذا منزل كبير لعروسين.
- ولكن أين العروس، فهو عازف عن الزواج.
- لا، لا، لابد أن يتزوج، كل رجل لابد له أن يتزوج، أراهنكن بفروي هذا أن الأمر سينتهي به متزوجا فتاة من هنا في البلدة، لا يوجد رجل هنا عاش وحيدا، من يعيش وحيدا هنا يموت ويموت اسمه من بعده، امه ستدفعه للزواج.

- لقد سمعت أنها فعلا ألحت عليه كثيرا ولكنها ملت هذا الإلحاح لأنه يرفض أن يتزوج غير إيتا.
- أين إيتا الآن، لابد أنها ماتت بعد عبور الجبل، فلا يوجد خلف الجبل إلا الهلاك والدمار، ولا أرى سببا لتعلقه بها فهي لم تكن جميلة أبدا واعتقد أني وكثيرا من الفتيات أجمل منها وعلى كل حال فلقد ذهبت بعيد خلف الجبل ومن ذهب خلف الجبل كأنما مات تحت الثلج.
- حقا، رحمة الخالق عليك يا إيتا، لقد كانت طيبة القلب وخجولة جدا ولكنها كانت تحبه.
- أظنها نالت ما تستحق، لقد شاهدتها وهي في قلب صدره وهو يحتضنها وماذا بعد ذلك، أيفعل بها ما يفعل الرجل بزوجته، هذا جرم كبير، اعتقد أنها نالت ما تستحق.
- لا تقولي مثل هذا، إيتا كانت طيبة القلب وحسنة النية، أتتذكرين حينما رأيناهما هنا عند النهر في أخر الصيف وارتبكا عندما رأونا.
- نعم، لقد كانا يظنان أن لا أحد يراهما دوما.
- في هذا اليوم بالذات جاءتني إيتا وقصت لي قصتها مع أهيال وقالت إنه وعدها أن يذهب في اليوم التالي لزواج أخيه كاسكال ليطلب يدها من أخيها وهذا ما كان يفعله عندما رأينا منشاري يرفع الخنجر في وجهه فلو لم تخبري أمها أنك رأيتها على صدره وهو يحتضنها في يوم زفاف كاسكال لكنا نرى إيتا في داخل هذا المنزل مع زوجها أهيال.
- أنا لم افعل شيئا سيئا، لقد رأيت شيئا شنيعا من إيتا وكان على أن ابلغ أمها، يهمني امر إيتا ويهمني سمعة فتيات البلدة.
- أنت لم تهمك إيتا أبدا، أن كان كلامك صحيحا لكنت تحدثت مع إيتا نفسها في هذا اليوم ولم تذهبي الى أمها الذي يعلم جميعنا مدى شطاط عقلها فكلنا يعلم أن أم إيتا سيدة متهورة ولا تعقل الأمور.
- أنا أحب أن أرى البلدة من حولي طاهرة، هذا كل شيء.
- أتريدين الصدق، أنت لم تحبي أن تري الطهر بكل أنك كنت حقودة على إيتا وأهيال لأنك لم تنالي حبا مثلها، لقد صرحت ذلك في بادئ الأمر عندما رأيناهم عند النهر أتذكر كلامك جيدا "ليت لي بحب مثل إيتا".
- يكفي هذا الحديث، لن أتي معكم بعد ذلك الى النهر.

سمع أهيال هذا الكلام وكان يفكر في أن يخرج ويضرب هذه الشابة التي أفسدت عليه أحلامه وحبه وأضاعت منه حب حياته وفار الدم في رأسه ولكنه قبل خروجه من الباب سأل نفسه وهل يرجع ذلك إيتا، لا بالطبع، فبكى بكاء شديدا الى أن سمع خطوات مقتربة من المنزل فمسح دموعه وهم بإكمال البناء فكان اخوه كاسكال خلفه فقال له.
- يا رجل هذا المنزل سينتهي في خمسة سنوات إن أصررت أن تبنيه وحدك.

نظر لم أهيال في نظرة حزينة ثم عاد للبناء وقال.

- أن أنهيته في خمسة سنوات سأكون حزينا.
- ولم هذا يا أخي، أنت لا تفعل شيئا كل يوم إلا أن تصطاد معنا ثم تأتي لتكملة هذا المنزل وهذا هو الحال طوال الأعوام الثلاثة الماضية.
- وماذا افعل غير ذلك يا أخي، أنا حقا وددت لو بنيت بيتا من ثمان غرف.
- يا إلهي ستهلك وأنت تبني مثل هذا البيت وحدك يا أخي.
- هذا هو المطلوب. قال أهيال في لا مبالاة شديدة.
- أنت تريد أن تهلك نفسك يا أخي، ألذلك تبني هذا المنزل وحدك، هل أنت مجنون.

قال كاسكال هذه الكلمات في غضب وكان صوته عال تردد في أرجاء المنزل فصنع صدى صوتا بينما القى أهيال ما في يده من أخشاب وقال في غضب.

- سأجن حقا أن لم اشغل نفسي بشيء، أرجوك يا كاسكال، أرجوك يا أخي العزيز، اتركني وشأني، أو تصرف معي كما يفعل أخيك أيتال، فهو لا يتكلم معي قط، الصمت مريح لي جدا، عندما يتحدث معي احد، فكأنما جروحي تفتح من جديد، أرجوك أن كنت ستحدثني فلا تحدثني عن ذلك، فلنتحدث عن الصيد، فلنتحدث عن الشتاء القارص، عن سر الغزلان، عن الموت بين الأشجار الكثيفة في شمال النهر داخل الغابة، هل تعرف أني فكرت أن اذهب الى الغابة ليلا واذهب الى الشمال الى الأشجار

الكثيفة بين النمور الجائعة والقي بنفسي هناك واهلك وتنتهي معاناتي، أرجوك لا تحدثني في هذا الأمر ثانيا لأنك تغذي في عقلي مثل هذه الأفكار، لا تفتح جراحي، فهي مازالت تؤلمني وتؤرق منامي، أرجوك يا أخي.

- اعذرني يا أخي، لا أريدك أن تتألم، فأنت تتألم لفترة طويلة جدا وارى عليك كل أثار الإجهاد والتعب..... أنا أرى أنك تقتل نفسك على شيء فات ومضى ولن يعيده أي من أفعالك تلك، لن تعود إيتا فلقد رحلوا الى ما خلف الجبل، فاغلب الظن أنهم الآن تحت الجليد أو تحت التراب في مكان غير معلوم أو في بطن حيوان مفترس، أو تهلك روحك للمجهول، كأنهم يجروك بسلسلة الى الهلاك خلفهم.

نظر اليه أهيال نظرة ضيق شديد وبها غضب عارم فقال له والدموع تنزل من عينيه.

- إيتا سترجع، أنها ستعود، عندي امل في هذا كبير، بل أني على يقين من هذا، حتى وأن كان يقيني هذا وهم فأنا أفضل الوهم على الحقيقة التي تقتلني، فهذا الأمل هو ما يبقيني حيا أتنفس.

صمت أهيال قليلا ثم نظر الى أخيه وقال.

- أن كنت تحبني بصدق لا تعود لمثل هذا الحديث.

قال أهيال هذه الكلمات ثم رجع الى أخشابه الذي طرحا أرضا وحملها ليكمل البناء.

*****

شبح يأتي من المجهول

في يوم ما في منتصف الصيف خرج من الغابة رجل يلبس ملابس منمقة مصنوعة بعناية ويغطي رأسه بقبعة من الفرو السميك حيكت له بالذات، خرج من الغابة وأندهش كل من رأه وأصاب اغلب أهل القرية الهلع الشديد من هذا الرجل فهم يعتقدون أنه نوعا من الجن، فلم يعرفوا أن هناك بشرا غيرهم في هذه المنطقة، وأن كان هناك بشر خلف الجبل فكيف يعرفون هذا المكان الذي لا يعرفه احد، تجمع الناس يتفقدون الرجل من بعيد، يتسألون هل هو بشر أم غير ذلك، ما هذا الحذاء الذي يرتديه وما هذا المعطف المصنوع بعناية، ويرتدي بنطال من الجلد المدبوغ، شيئا لم يروه من قبل.

وقف الرجل ونظر الى الناس من حوله ورأي في عيونهم الخوف والرعب وقال لهم.

- ما بكم أيها القوم، لماذا تخافونني هكذا، إلا تتذكرونني، يا للبلاهة، أنا منشاري.

صعق الناس عند سماع اسمه وركض النساء بأطفالهم الى المنازل وهم يقولن "فليحفظنا الرب" واقترب منه بعض الرجال وقالوا.

- كيف تكون منشاري، منشاري مات خلف الجبل مع عائلته، لا بد وأنك شبحه.
- ما بالكم أيها البلهاء، أميت أنا، تفحصوني فأنا أمامكم، بل أنتم الميتون حقا، أنتم لا تدرون عن العالم شيئا، ما بالي بكم فلتفسحوا لي الطريق فأني متعب، هل سكن داري من أحد بعدنا.

لم يرد الناس بل ظلوا واقفين كأنما ينظرون الى رجل بعث من موته. فقال منشاري.

- افسحوا الطريق، هيا ابتعدوا.

وما أن تحرك منشاري الى أن افسحوا له الطريق وتباعدوا الى الجانبين وهم ينظرون اليه في دهشة كبيرة ويتفحصون كل جزء فيه، الى أن وصل الى منزله ودخله واغلق الباب خلفه.

أنتشر الخبر في البلدة فيما لم يصدق اغلب القرية ما حدث، هذا غير معقول كيف يعود رجل حي من خلف الجبل، لا بد أن ما رأه الناس شيء أخر أو أنهم لم يروا شيئا من الأساس.

لم يعرف أهيال بهذا الخبر كان منشغلا في بناء منزله ولم يتحدث اليه أحد من أسرته عن هذا الأمر فلا أحد يريد أن يجدد جراحه ولعل الأمر كله هراء ولا شيء من ذلك حدث وكان الناس يمرون على بيت منشاري وينظرون اليه بكثير من القلق والريبة ويسرعون عندما يحازوا الباب، كانوا خائفين حقا، قد مر ما يناهز العشرون ساعة ولم يظهر أحد ولا يسمع أي صوت داخل المنزل، بينما شاعت الأحاديث في البلدة إذا كان موجود في منزلة أم أن ذلك شبحه أم كانت تلك خيالات ودارات بينهم أحاديث أمام منزل منشاري.

- هل رأيتموه حقا، اعتقد أن ذلك كان خيالا كسراب الماء الذي نراه فوق ثلج البحر المتجمد. قال رجل من الجمع.
- أنا قد رأيته وسمعت صوته، أنه هو ولكنه غريب جدا، يرتدي أشياء لم أرها من قبل، يرتدي كأنه ملك من ملوك الأساطير التي نسمعها لولا أنه لا يضع أي حلى. قال رجل أخر.
- أكاد اجزم أنه شبح، ليس هذا الملبس الذي رأيناه للبشر، ولا تنسون أن لا أحد ينجو عندما يغادر خلف الجبل، فخلف الجبل هو الهلاك. قالت امرأة بين الجمع.
- اعتقد أنه شبح، أو يكون خيالا، فنحن لا نسمع صوتا من داخل المنزل فقد مر يوما تقريبا على رؤيتنا له، أنا رأيته أيضا كنت معكم ولكن أحيانا

يتخيل الأنسان الكثير، لا أدري ربما كان هو، ولكن مر يوم كامل تقريبا ولا يوجد أي أثر له ولا يوجد أي صوت داخل المنزل، أنه لشيء عجيب، لقد أصابني الم في رأسي، ولم أنم أمس جيدا من جراء هذا الأمر.
- أنا أرى أن ندخل ونرى بأنفسنا، ما الذي يحدث لو دخلنا لنرى، لا اعتقد أنه سيحدث أي شيء، في الغالب سنجد أن المنزل فارغا، هيا من يدخل معي.
- ادخل أنت وحدك. ما الذي يجعلني أن أضع نفسي في مقابلة شبح، من يلقي بنفسه الى التهلكة.

كان الناس يتحدثون في هلع وخوف بينما سمعوا صوتا داخل المنزل فتراجعوا لخطوات وحينها دفع الباب وخرج منشاري الذي حدثهم بالأمس ويظهر عليه كأنه نائم منذ ما وصل أمس ومدد يده ودار برأسه تحت أشعة الشمس وقال.

- ما بكم يا قوم، ما لكم تنظرون الي هكذا.

صمت قليلا ثم قال.

- أني جائع، فليحضر لي أحد، بعض السمك المشوي وليكون طازجا أرجوكم، لا تكونوا بخلاء، ما بكم هيا أني جائع.

انصرفت سيدة مسرعة تهرول الى منزلها وظل بقية الناس كان على رؤوسهم الطير لا يدركون ما يحدث بينما دخل منشاري داخل المنزل واغلق الباب، سمع الناس جلبة في الداخل بعد قليل ونظر بعضهم لبعض وبعدها خرج منشاري ثانيا وقال.

- المنزل لا شيء في المنزل يصلح لاي شيء، لا اعرف كيف كنت أحيا هكذا.

ثم التفت الى الناس أمام المنزل وقال.

- ما بكم أيها الناس، هل تنظرون الى عفريت، يا إلهي أنتم تقفون كأنما تشاهدون ساحرا، يا إلهي لا اصدق أني كنت أعيش بينكم، واعتقد أنكم لا تصدقون ذلك أيضا، ما هذه الحياة التي تحيونها، أنها حياة الأموات، أنتم لا تعرفون شيئا مطلقا.

صمت منشاري قليلا اقترب الى الرجال وقال في صوت منخفض.

- أريد شرب بعض الشاي، رأسي ستنفجر.

اقترب منه أحد الرجال وكان يدعى ميكار وكان يقترب منه في شيء من الخوف وقال له بعد تردد.

- أأنت حقا منشاري؟

أندهش منشاري وضرب بكلتا يديه مما افزع الرجل قليلا ثم وضع منشاري يده على رأسه وقال.

- طبعا يا ميكار.

أندهش ميكار ثم استجمع قواه وقال له.

- إذن أنت حقا منشاري، هيا يا رجل نأكل ونشرب وتقص على ما رأيت خلف الجبل، ماذا رأيت قص علي أرجوك، هل رأيت الهلاك، هل رأيت وحوشا.
- يا صديقي العزيز ليس عندي وقت لكل هذا وكيف أقص عليك وأنا بي هذا الصداع أريد شاي وأريد بعض الطعام.

كان منشاري يقول هذا الكلام بينما تأتي السيدة التي ركضت من قبل وكانت تحمل بعض السمك المشوي الطازج فقدمته اليه في خوف شديد ثم تراجعت على عجل.

اكل منشاري بنهم وكان الناس يراقبونه وتراقبه السيدة التي أحضرت له الأسماك أيضا فرفع رأسه إليها وقال.

- شكرا لك أيتها السيدة الكريمة لقد مزق الجوع بطني، شكرا لك يا تشيكا.

سقطت السيدة مغشيا عليها عندما سمعت منشاري يقول اسمها وحاول بعض النسوة أفاقتها.
أندهش منشاري من ردة فعل السيدة ولكنه أكمل طعامه حتى أنهاه كله وكان الطعام مكون من أربع سمكات كبار من سمك القد اللذيذ فقال منشاري.

- أنتم لا تعلمون قيمة هذا السمك اللذيذ، فهو ليس موجود خلف الجبل بكثرة، أنه لذيذ حقا وهذه من الأشياء الجميلة في هذا المكان.....

كان ميكار يمشي الى منشاري بكوب من الشاي الساخن فأعطاه إياه وجل بجواره وقال.

- تفضل يا صديقي.
- شكرا لك يا ميكار، أتعلم أني اركب وامشي منذ شهرين حتى أصل الى هذا المكان السحيق، كدت أموت جوعا، لقد نحلت وأنا في طريقي الى هنا، فأنا اعلم أنه لا سبيل الى الوصول الى هنا في الشتاء، فالهلاك قدر من يرحل من أو الى هذا المكان أن رحل في الشتاء، لقد كنت محظوظا إذا رحلت بأهلي من هنا في وسط الصيف، لقد مرت أربعة أعوام منذ رحيلي ولكنم كما أنتم لم تتغيروا، لعمري أن تركتكم أربعون عاما سأعود لأجدكم كما أنتم لم تتغيروا.

كان ميكار يسمع هذا الحديث وهو ينظر بفضول الى منشاري والى الملابس التي يرتديها فقال له.

- ما هذا الذي ترتديه يا أخي، وكيف نجوت خلف الجبل قص علينا أرجوك.
- الذي ارتديه هذا هو معطف مصنوع عند خياط هذه مهنة من المهن الذي يمتهنها الناس خلف الجبل. قال منشاري

بينما قاطعه ميكار قائلا.
- وهل يوجد بشر خلف هذا الجبل.
- خلف هذا الجبل لا يوجد بشر بل يوجد المزيد من الغابات والمزيد من الجبال ثم ارض قاحلة لا شيء بها. قال منشاري.
- إذن أين البشر؟ أين وجدتهم. قال ميكار.
- البشر بعيدا بعد حوالي مسيرة شهر ونصف على الأقدام وسط كل هذا الهلاك، فمن قال إن خلف الجبل لا يوجد إلا الهلاك صدق ولكن يمكن للإنسان أن ينجو منه إذا كان معه الطعام اللازم وإذا اختار التوقيت المناسب ولا أقول أنا خبير بل أنا كنت محظوظا. قال منشاري.
- هل تقول إن خلف الجبل مخاطر. قال أحد الحاضرين.
- نعم يوجد مخاطر كبيرة. فستكون محظوظا أن نجوت. قال منشاري.
- وماذا وجدت خلف كل هذا. سأل ميكار.
- وجدت روسيا. قال منشاري.
- وما روسيا اهم نوع أخر من البشر، اهم يشبهوننا. قال ميكار.
- روسيا هي بلد، روسيا اسم بلد. قال منشاري.
- اتسمي البلد خلف الجبل. سأل أحد الحاضرين.
- نعم. قال منشاري.
- لماذا؟
- لأن هناك الكثير منها. أجاب منشاري.
- هل يتحدثون مثلنا؟ قال ميكار.
- لا هم يتحدثون اللغة الروسية.

- وكيف تتعامل معهم، كيف تفهمهم، هل تتواصل معهم كما نتواصل مع الصم؟ قال رجل من الحاضرين.
- لا لقد تعلمت لغتهم بعد فترة. قال منشاري. ثم أكمل فأنا أتكلم معهم كل يوم في عملي.
- عملك، هل تصطاد هناك؟ قال ميكار.

نظر منشاري من حوله فرأي وجوه الناس ثم نظر الى كوب الشاي فوجده قد فرغ فقال.

- لقد أصبتموني بالصداع ثانيا، افسحوا عني، أين هذا الرجل الذي يدعى أهيال.
- ماذا تريد منه. قال ميكار.

صمت منشاري ثم نظر الى ميكار نظرة جادة فخاف وارتعد ثم قال أحد الحضور.

- ستجده في بيته الجديد الذي يبنيه.

فرح منشاري وظهرت السعادة على وجهه وقال بحماسة.

- هل سيتزوج قريبا.
- لا أنه مجنون، فهو يبني بيت ولا يريد أن يتزوج، أتعرف أنه يبني وحده، أنه يبنيه منذ أكثر من ثلاثة أعوام ولا يريد أي مساعدة من أحد في بناء بيته. قالت سيدة من الحضور.
- أين هذا البيت الذي يبنيه. قال منشاري.
- أنه عند النهر، ستندهش عندما تجد أن بابه ....

فقاطع منشاري السيدة التي تتكلم وقال في نفاذ صبر.
- نعم نعم اعرف، بابه ناحية النهر.

رحل منشاري عن الرجل والنساء الحاضرين ومشى ناحية النهر وكان بعض الناس يتبعونه فتوقف وقال.

- ما بكم اتركوني امضي وحدي. هيا ارجعوا، هيا اذهبوا الى منازلكم، شكرا جزيلا تيشكا على هذا السمك اللذيذ لقد ملئت معدتي الفارغة حقا، هيا أيها الناس أنتم لا تمشون خلف زفاف هيا ارحلوا.

توقف الناس بينما قال ميكار.

- ولكن متى ستكمل القصة لنا نريد أن نعرف كل ما جرى خلف الجبل وفي روسيا.

توقف منشاري وفكر قليلا ثم قال.

- حسنا، انتظروني غدا عند غروب الشمس عند منزلك يا ميكار فأنا أتذكره جيدا وأنا أعدكم أن أقص عليكم القصة كاملة، غدا عند الغروب، انتظروني جميعا هناك عند ميكار ولكن لي طلب عندك يا تيشكا أيتها السيدة الكريمة أنا أريد أربع سمكات مشويات مساء اليوم هل من الممكن أن تحضريهم لي.
- بالطبع عند الغروب اليوم ستجدهم عند بابك.

تذكر منشاري شيئا فأشار الى ميكار بالاقتراب فقال له.

- سأخصك بحديث خاص الليلة ولكن احضر لي عشرون سمكة مجففة، ولكن لا تخب أحد تعال وحدك عندما يحل الليل. لا تنسى السمك ويكون مجفف ولا تخبر أي أحد.

لم يرد ميكار ولكن ظهرت عليه بعض علامات الخوف. ثم استدار منشاري للناس وقال.

- هيا موعدنا غدا عند الغروب أمام منزل ميكار ولا تنسي الأسماك أيتها السيدة الكريمة ولا تنسى يا ميكار.

رحل منشاري بعيدا الى النهر فرأي المنزل كبير أمامه ووجد أهيال يحمل بعض الأخشاب ويدخل المنزل فقال منشاري.

- لمن تبني هذا المنزل.

نظر أهيال الى صاحب الصوت ولم يصدق ما يرى فألقى بالأخشاب على كتفه وظل يفرك عينه بينما قال منشاري.

- أنه أنا منشاري، لا تكثر الحديث معي فأنا مازلت لا أطيقك فقط اجب على أسئلتي، لماذا لم تتزوج.

لم يرد أهيال وظل متجمدا مكانه وقال.

- هل هي معك؟
- لا تسأل فقط اجب أسئلتي والا رحلت عنك، أنا هنا رغما عني فلا تزيدني مقتا أفهمت، صمت منشاري قليلا ثم أكمل قائلا والآن أخبرني، لمن تبني هذا المنزل.

صمت أهيال ولم يرد ونظر الى البحر ثم الى النهر وكان محتار ماذا يقول بينما قال منشاري.

- دعك من هذا السؤال، لماذا لم تتزوج.
- أنا في انتظار إيتا.
- اتبني لها هذا المنزل.
- نعم. قال أهيال.
- هل مازلت تأمل في الزواج منها. قال منشاري.
- نعم، أنا على يقين أنها سوف ترجع.

- حسنا أيها المجنون، سأحضرها لك في منتصف الصيف القادم أنهي بيتك وسنكون هنا في منتصف الصيف، لقد دفعتني أختي الى الجنون، لقد اعتزلت الدنيا وجعلت زوجتي تهددني بتركي أن لم احل مشكلتها فهي تحبها كثيرا وتتألم من أجلها، أنها لا تأكل كما يأكل البشر ولا تصنع أي شيء يدل على أنها تحيا حياتنا بل أنها تصنع الأشياء مجبرة أو أنها تشغل نفسها لدرجة الإهلاك النفس وعندما تكون وحيدة تبكي، تبكي كثيرا، لماذا أتحدث معك هكذا، اسمع جيدا، أنتظر عودتنا في منتصف الصيف القادم واحرص على أن يكون الزفاف في اليوم التالي لحضورنا، أفهمت.

قال منشاري تلك الكلمات ثم هم بالرحيل فقال أهيال.

- أحقا ما تقول.
- هل امزح معك أيها المجنون، أنت لا تدري كم المعاناة التي عانيتها حتى أصل الى هنا لأتحدث معك وأنت تقول مثل هذا الكلام، سحقا لك، أنا حقا أتحامل على نفسي كثيرا حتى أتحدث معك، لا تكثر الحديث معي فأنا امقت وجهك ولكن ما الذي اصنع، أرجوك لا تتفوه بكلمة أخرى.

صمت أهيال لبضعة ثواني ثم لمعت عينيه بفكرة فقال مندفعا.

- لماذا لا يتم الزفاف هذا الصيف.
- أنت حقا مجنون، أنا جئت الى هنا في شهرين، هل تريدني أن أموت أنا وعروستك تحت الجليد أيها المجنون، يا لك من أحمق، أنتظر الى منتصف الصيف القادم.

كانت هذه أخر الكلمات الذي قالها منشاري قبل أن يندفع الى منزله.

ظل أهيال واقف في مكانه يراقب منشاري وهو يمشي وهو يغمض عينيه ويفتحها ثم تمر امرأة عائدة بالماء من النهر فيسألها أهيال.

- هل ترين هذا الرجل الذي يمشي هناك.

فيصيب المرأة الاندهاش لأن أهيال لا يتحدث الى أحد طوال الأربعة أعوام الماضية، تتوقف المرأة وتنظر اليه وتصمت قليلا فيقول لها.

- عذرا، أتشاهدين هذا الرجل. وأشار الى منشاري.
- نعم أنهم يقولون إنه منشاري ولكني لا اصدق. قالت المرأة.

سمع أهيال كلامها حتى كلمة منشاري ثم أسرع الى امه وأبيه وكانت الفرحة تملكت منه فهو لا يستطيع أن يتحدث وجهه يضحك والدموع تنزل من عينه متقطعة ويدور في المنزل أمام امه كفتاة صغيرة تجرب فستان العيد لأول مرة، فدخلت مايانا فحملها ودار بها وهو يقول.

- إيتا ستعود يا مايانا، ستأتي العام القادم، العام القادم يا مايانا، سأراها ثانيا، يا إلهي، يا إلهي، إيتا ستعود، إيتا ستعود يا أمي، افرحي يا أمي، فأنا سعيد سعيد، أنا سعيد سعادة كبيرة.

دخلت سيانا عليهم وكانت الأم تبكي فرحا وهي تشاهد ابنها وهو في أوج السعادة هكذا وأهيال يحمل مايانا ويدور بها في المنزل ومايانا تضحك ضحك طفلة بريئة، بينما نظر أهيال الى سيانا وقال.

- غزالة كبيرة يا سيانا، لا بد أن تكون غزالة كبيرة جدا، أخبري أيتال بذلك، لابد أن يصطادها لي، وفرو ابيض كبير للسرير أو فرو بني ولكن لا بد أن يكون لدبا كبيرا والفرو يكون سميكا، يا إلهي، أنا سعيد يا سيانا، إيتا ستعود وسأتزوجها في منتصف الصيف القادم، فلتصنعي يومها حلوى الصنوبر، أنت تصنعينها لذيذة يا سيانا، أنا سعيد سعيد بحجم البحر الممتد الى نهاية الكون، أنا سعيد.

كانت الأم تنظر اليه في سعادة بالغة والدموع تنهمر من عينيها فهي لم ترى ابنها في مثل هذه الحالة منذ أربعة أعوام، بل لم تراه في مثل هذه السعادة من قبل، كادت تفقد الأمل في أن ترى ابتسامته ثانيا، وها هي

الآن تجلس وتحمل في حجرها ابن كاسكال الصغير وتنظر الى ابنها الأصغر وهو في كامل فرحته بعدما كان في غم وهم شديد.

- اجلس يا بني، اجلس بجواري، حدثني، ماذا حدث، يقال إن منشاري رجع وحيدا. اشرح لي يا بني. قالت امه.
- جاء الي عند المنزل يا أمي، لم اكن اعرفه يرتدي ملابس غريبة، وقال لي أنه سيحضر إيتا لأنها في منهى التعاسة وتسببت في خلافات بينه وبين زوجته، وابلغني أن سيأتي بها في العام القادم في منتصف الصيف ولابد أن يكون المنزل جاهزا، سأنهيه على اكمل وجه قبل حلول الشتاء وسأبلغ أيتال أن يحضر لي الكثير من الفرو ، سيحضرها يا أمي الى هنا، يا الهي، أنا احبك كثيرا يا أمي، مايانا، مايانا، لقد أصبحت شابة جميلة، أنت في غاية الجمال، تشبهين امك كثيرا في شبابها، لكم أنا سيعد يا سيانا، ماذا صنعتي للغذاء اليوم، أريد أن اكل كثيرا فالطعام أخيرا سيكون له مذاق في جوفي.

كان أهيال في فرح هستيري بينما كان يجلس منشاري في منزله وعند الغروب سمع جلبة أمام بابه فخرج فوجد الأسماك الطازجة المشوية قد حضرت ونظر فاذا بالسيدة الكريمة تختفي عن نظره. قال لها وهي تنظر اليه من بعيد.

- شكرا جزيلا لك أرجوك ابلغي الناس أني سأنام كثيرا لا أريد أن يزعجني أحد.

هزت السيدة رأسها ورحلت عنه مسرعة.

دخل منزله وظل يأكل بنهم واشتهاء حتى سمع صوت أخر فرج ويده غير نظيفة ونظر فاذا به ميكار يضع الأسماك العشرين المحفوظة أمامه فيقول له منشاري.

- شكرا جزيلا يا ميكار، لكم أنك صديق طيب، تفضل بالدخول، تعالى، لقد صنعت معروفا أنك جئت وحدك.

كان ميكار يقف أمام منشاري وينظر الى عينيه في صمت ولم يدخل فقال منشاري.

- إلا تريد الدخول يا ميكار.

كان يظهر على ميكار علامات الرعب الحقيقي فقال لمنشاري.

- ما رأيك إذا أحضرت صديقين، أنهم أعزاء على قلبي جدا أنت تعرفهم فالسمر لا يكون جيدا إلا في الصحبة.
- لا أنا قولت لك أن تأتي وحدك.

قالها منشاري وهو غاضبا فتغيرت عيناه كثيرا مما زاد رعب ميكار فقال.

- أرى أنك تستريح اليوم واراك غدا. غدا أراك يا صديقي أنت متعب والوقت غير مناسب، خذ قسطا من الراحة، أراك غدا.

قال ميكار هذه الكلمات وهو ينسحب الى الخلف بينما تهلل وجه منشاري وهو يقول.

- أنت محق يا ميكار، أنا فعلا محتاج للراحة، ولكن أرجوك لا تطرق الباب الى قبل الغروب بساعة، أريد أن أنام كثيرا، أفهمتني، أريد أن أنام.

اخذ منشاري الأسماك واغلق الباب.

***

في اليوم التالي كان أهيال في سعادة عارمة فكر أكثر من مرة أن يذهب الى منشاري وأن يتحدث معه وأن يعيد العلاقة الأخوية التي بينهما الى نصابها ولكنه تذكر حديث منشاري الفظ معه بالأمس فعدل عن هذه الفكرة وذهب الى الصيد مع إخوته وكان ينشد الأناشيد معهم في غاية الحماسة وتغير كل شيء فيه أصبح مندفعا متحمسا سعيدا كل ما يتمناه الآن هو مرور هذا العام الذي سيصبح الأطول في حياته وبعدما ينقضي هذا العام سيرى حبيبته التي حرم منها لمدة خمسة أعوام كاملة.

بعد الرجوع من الصيد ابلغ أهيال اخوه كاسكال أنه يريد مساعدته في أنهاء المنزل فذهبا سويا الى المنزل بينما ذهب بقية الرجال الى بيوتهم وهم يتحدثون.

- أهيال في غاية السعادة.
- حقا لم اره في مثل هذه السعادة من قبل، كل شيء فيه اختلف، أصبح متحدثا ومندفعا ومضحكا عينيه أصبحت أكثر بريقا.
- هل رأيتم منشاري؟
- أنا رأيته، لقد أصبح رجلا أخر، كأنما نزل من السماء، أتعلمون سيجتمع كل رجال ونساء القرية اليوم أمام بيت ميكار لسماع قصته، فهذا الرجل خارق، فلقد نجى من الهلاك الذي يقبع خلف الجبل، لقد حسبناه جميعا ميت من الأموات، يا له من رجل.
- بعض الرجال لا يصدقون، وبعضهم يقول إن هذا شبحه أو عفريته، لقد اكل بالأمس ثمان سمكات من اسماك القد الكبار، أن هذا الكم من الطعام لا يليق بمعدة بشر، يا إلهي، كنت أرى الفرحة على وجه أهيال وأقول في نفسي يا له من مسكين لقد خدعه الشيطان ومناه بالسراب، فلنكن واقعين لا أحد يرجع من خلف الجبل، هو نفسه قال الهلاك يمكن خلف الجبل وقال إنه مشي لمدة شهر ونصف في ارض قاحلة لا شيء فيها، كيف يعقل هذا، لا بد أنه شيطان، جاء ليضحك علينا، أني أخشى على أهيال المسكين أن يصدق مثل هذا الخداع.
- كيف تقول هذا يا رجل أنه منشاري، لقد عرف ميكار وتيشكا.

- وهل هذا غريب على شبح أو شيطان أن يعرف الأسماء، بل سيعرف كثيرا من الأشياء.
- أنا سأذهب لأكل طعام الغذاء ثم اذهب لأنتظر عند بيت ميكار عند الغروب، لا بد أن اسمع تلك القصص عن العالم خلف الجبل، حقا أريد أن اعرف كيف نجا هذا الرجل هو وأهله من الهلاك، هذه فرصة لا تعوض، هل ستأتي أنت.
- طبعا كلنا ذاهبون.
- الم تقل إنه شبح أو شيطان، ما بك يا رجل.
- يوجد احتمال أن يكون رجل مثلنا حتى لو كان شبح أنها فرصة لا تعوض أن ترى شيئا من خلف الجبل، سأقص هذا كله على أحفادي.

قبل المغيب تجمع الناس جميعا حول منزل ميكار في انتظار أن يأتي منشاري والتطلع يظهر في عيونهم، ينتظرون أن يسمعوا عن العالم الخفي عنهم عن البشر الأخرين الذين يقطنون العالم الأخر البعيد خلف الجبل، يريدون أن يعرفوا عن روسيا هذا المكان الواسع الذي تحدث عن منشاري الذي يرتدي فيه الناس تلك الملابس المنمقة ويتحدثون لغة مختلفة عنهم فطوال حياتهم كانوا لا يعرفون إلا بلدتهم التي لم يسموها باسم أبدا وعلام التسمية فهي بلدة واحدة تمثل عالمهم كله فهم يسمون البحر والغابة والنهر والغابة الكثيفة المميتة في التي تقع في شمال الغابة ويسمون الجبل وما خلف الجبل من هلاك غير هذا كله ساحة البلدة هذا هو عالمهم ليسوا في حاجة لأن يسموا الأماكن اكثر من هذا.

قال أحد الحضور في وسط الأصوات المنخفضة التي تسيطر على المكان.

- أتعجب جدا أن يوجد عالم خلف هذا الجبل فما تعرفه أن خلف هذا الجبل هو الهلاك.
- حقا أنه لأمر عجيب، كلنا كان يعتقد في موت منشاري وأهله، كيف نجا هذا الرجل، أنه كان بيننا هنا كان رجل عادي لم نرى فيه مثلا مثلما نرى في أيتال، اعتقد أن أيتال الوحيد من بيننا هو القادر على فعل هذا.

- لقد فعلها منشاري، وأنا هنا لأرى كيف فعلها لعلى افعل مثلما فعل واذهب خلف الجبل لأشاهد العالم في الطرف الأخر، أنها لحياة أخرى.
- أريد حقا أن ارتدي ملابس مثل الذي يرتديها منشاري، وأني لأتعجب أيكون بحرهم مثل بحرنا، هل يوجد هناك الغزلان بوفرة، اعتقد أنه عالم مليء بالإمكانيات فمن النظرة التي على وجه منشاري اعتقد أن روسيا هذه هي الجنة التي سمعنا عنها.
- أنا لا اصدق كل هذا، في حقيقة الأمر لولا تجمعكم هنا لما جئت لأسمع هذه الحكايات عن العالم خلف الجبل فأنا ما زلت غير مصدق أن احد يستطيع أن يذهب الى خلف الجبل ويعود، أنا مؤمن بما قاله أجدادنا الخطر خلف الجبل الهلاك خلف الجبل وحتى عندما ننشد الأناشيد ونقول لا صديق وفي خلف الجبل كنت لا افهم تلك القطعة فليس من أصدقاء ولا غير أصدقاء خلف الجبل ليس هناك إلا الهلاك بعينة، لولا حضوركم لما جئت فأني فعلا خاف لما يحدث هذا الأمر غير طبيعي ونحن غير معتادون على مثل هذه الأمور، فمن ينام ما يزيد عن عشرون ساعة لمدة يومين متتاليين ومن هذا الذي يأكل ثماني اسماك كبيرة في يوم واحد، لا اعتقد أن من جاء هو منشاري، لا اعرف من يكون ولكن ما عرفه حقا أنه ليس بشر مثلنا.
- بل هو منشاري لا تقل مثل هذا الحديث يا رجل أنت تزيد الأمور تعقيدا وتجعل الخوف يدب في قلوب النساء والرجال، الرجل هو منشاري لقد تحدث مع ميكار وذهب الى أهيال، أليس كذلك يا ميكار حدث الناس طمئنهم.

نظر ميكار للجموع أمام بيته ولم يتكلم بل نظر الى الشمس وجدها قد غربت منذ فترة ولم يظهر منشاري. فقال رجل أخر.

- لقد غربت الشمس ولم يظهر صاحبك يا منشاري، ما الأمر، الم يخبرك بأنه سيأتي عند الغروب.

لم يرد ميكار بل دخل الى منزله واغلق الباب مما أثار اندهاش الحاضرين. فقال أحدهم.

- لماذا ننتظر منشاري هنا، هيا بنا نذهب الى بيته، سنجده هناك، أنا سأطرق الباب أنا لست خائف، هيا بنا، هيا.

قاد الرجل المبادر القوم الى بيت منشاري ووقفوا جميعا أمام الباب ثم تقدم الرجل المبادر قليلا ونقر على الباب ثم أنتظر وأشار الى الناس أن ينصتوا فسكت الجميع وأنصت الرجل فلم يسمع شيئا ثم قرع الباب ولم يسمع أي حركة في الداخل ثم قال أحد الواقفين في الخلف.

- هل من المعقول أن يكون نائما من وقت الغروب في الأمس، هذا ليس ممكن، هذا الرجل مثير للريبة.

قرع الرجل المبادر الباب ثانيا فلم يرد أحد فنظر جيدا الى الباب تحت ضوء مصباح يحمله أحد الرجال وجد أن الباب مقفل من الخارج.

- كيف يغلق الباب من الخارج ومنشاري نائم بالداخل.
- لابد أن ندخل لنرى ماذا يحدث. قال رجل من خلف الرجل المبادر ثم أكمل أنا سأدخل معك.

قال الرجل هذه الكلمات وهو ينظر في عيني الرجل المبادر ففتح الرجل المبادر الباب وقدماه لا تحملاه ودخل المنزل وتبعه الرجل ثم دخل رجلان اخرأن.

- منشاري استيقظ يا رجل.
- أين ينام هذا الرجل.
- أه، أه احترسوا ..... يوجد الكثير من أشواك الأسماك، أين ينام هذا الرجل الميت.
- لا أثر له، أنه ليس في المنزل.

كان ميكار قد تبع القوم الى أمام منزل منشاري بعد فترة وكان ينتظر خروج الرجال من المنزل فخرج رجل منهم وهو يقول.

- لا أحد في المنزل، أنا قولت إنه شبح، لم يصدقني أحد.

قال ميكار بصوت مهزوز.

- هل رأيت أثر لعشرون سمكة محفوظة.
- لا فقط أثار اسماك مشوية، ولكن ما قصة الأسماك المحفوظة.
- بالأمس طلب مني عشرون سمكة محفوظة وجئت بها اليه وكانت عينيه غريبة حقا حينها. قال ميكار.
- لا بد وأنه شبح حقا.
- الأشباح لا تأكل.
- وما يدريك أنها لا تأكل.
- اسمعوا هذا الرجل جاء الى هنا وأنا رأيته ولا اعتقد أنه شبح وسمعت من أهيال أنه سيحضر إيتا الى هنا في الصيف القادم ليتم زفافه عليها فلا أحد يتكلم أنه شبح. قال هذا الكلام واحد ممن يذهبوا للصيد أهيال وكاسكال.
- ولكن أين هو وأين العشرون سمكة.
- اعتقد أنه ذهب ورحل عنا واخذ العشرون سمكة معه ليأكلها في طريق عودته الى تلك التي تدعى روسيا.
- لقد خدعنا وجعلنا ننتظره، هذا المخادع.

عاشت البلدة في صدمة بعض الأيام بعد رحيل منشاري بهذه الطريقة، فهم تفاجئوا كثيرا، الم يرحل منشاري من البلدة لأن صديقه خدعة، الم يشتكي بأعلى صوته أنه قد تعرض للخيانة والخداع، كيف يتركهم هكذا، لقد وعدهم أن يقص عليهم قصص عن العالم خلف الجبل ولكنه لم يفي بوعده وتركهم على حين غفلة فخلص الناس على أنه قد تغيرت صفاته كما غير ملابسه لقد اصبح مخادع، لقد تعلم من الأصدقاء الغير وفيين

خلف الجبل، لقد تعلم الخصال السيئة وعدم الوفاء، كره الناس العالم خلف الجبل بغدره وعدم وفائه وصدقت أناشيدهم في أنه لا يوجد صديق وفي خلف الجبل.

*****

سعادة المنزل الحزين

تغير الحل كثيرا في منزل عائلة أهيال فهم جميعا أصبحوا سعداء من اقله، فلقد تغير حاله كثيرا بعد زيارة منشاري، أصبح يشارك في الحديث ويضحك لنكات كاسكال، لم يخشى عليه أحد من الجلوس وحده فهو قد تغير كثير فعندما يجلس وحده الآن يجلس ليبني أحلامه من جديد بعدما قد ضاعت وتهدمت، يرى إيتا وهي تخرج من بين أشجار الغابة بوجهها الجميل بين شعرها الطويل وتبتسم بسمتها الخجولة التي يحبها، يا إلهي أن قلبه يكاد يطير فرحا بهذه الأحلام، فهو يجلس ويبتسم ثم يضحك ثم ينظر حوله فيجد أن من حوله ينظرون اليه باسمين فيقول.

- اعذروني فلقد تذكرت شيئا جميلا.

كان المنزل في حالة فرح وأقبال على الحياة لدرجة أن أيتال عندما رأي اخوه هكذا اقترب منه وضرب على كتف أهيال وقال.

- ستكون غزالة كبيرة يا أخي.

قفز أهيال من مكانه وهو ينظر الى وجه أيتال الباسم جدا على غير عادته ثم احتضن أيتال وقال.

- شكرا يا أخي، شكرا جزيلا يا أخي، اشعر أنه سيكون زفافا جميلا وستصنع فيه سيانا الكثير من حلوى الصنوبر، يا إلهي، يوما لذيذا حقا وسيقول كاسكال بعض النكات، وفي هذا اليوم ستفرح أمي أخيرا من دون دموع، شكرا يا أخي، أنا احبك كثيرا.

كان أيال يشاهد هذا وهو سيعد حقا فهو يحب عمه أهيال كثير ويعتبره منذ صغره كوالده وكان يؤلمه حزنه الشديد وهو الآن يجلس ويشاهد عمه في منتهى السعادة وتكاد روحه تلامس السماء فهو سعيد لذلك ولما سمع أبوه يلمح الى صيد الغزالة في يوم الزفاف استبشر خيرا، فهو سيحرص أن يكون مع أبوه في هذا اليوم بكل الطرق وسيتعلم صيد الغزلان منه، هو سمع أبوه جيدا، فهو قال ستكون غزالة كبيرة، لم يقل

سأحاول أن اصطاد غزالة كبيرة، بل قال ستكون غزالة كبيرة، فهم أيال أن أبوه متأكد الى حد بعيد من صيد الغزالة فعلم أن أبوه يعرف جيدا أنه سيصطاد يومها وكل ما عليه هو أن يكون بجوار أباه في هذا اليوم حتى يعرف سر صيد الغزلان من أباه صائد الغزلان الوحيد، ذهبت أحلامه بعيدا فرأي نفسه يخرج من الغابة وهو يحمل غزالة على ظهره والجميع ينظر اليه ويقولون " أنظروا الى أيال لقد اصطاد غزالة كبيرة، يا له من صياد ماهر" ولكنه استفاق على صوت مايانا وهي تقول اسما غريبا عليه.

في هذا اليوم استغلت مايانا هذا الجو المرح الذي في المنزل وأحضرت صديقة لها كانت تعرفها منذ فترة طويلة وهي تصاحب أمها في الذهاب الى النهر لإحضار الماء العذب، فتاة في الخامسة عشرة من عمرها، ذات وجه دائري كباقي فتيات القرية ولكن عيناه بها شيئا غريب فهي سوداء جدا واسعه قليلا مما يميزها عن باقي الفتيات وكان وجهها باسما دائما فقالت لها مايانا.

- تفضلي يا عزيزتي، تفضلي يا أولنا، تفضلي يا صديقتي العزيزة.

دخلت أولنا وهي خجولة بعض الشيء وأطرقت رأسها وهي تدخل الباب ثم رفعته ونظرت حولها فقالت سيانا.

- تفضلي يا بنيتي، تفضلي يا أولنا، كم أنت جميلة، عيناك السوداء جميلة حقا لا أتمالك إلا أن أقول لك هذا، فهي في غاية الجمال.

خجلت أولنا كثيرا من هذا الكلام اللطيف الذي قالته سيانا ثم تبعت مايانا الى غرفة سيانا وجلسا سويا.

عندما نظرت أولنا حولها أصاب أيال نصيب من تلك النظرة الخاطفة الغير مقصودة فشعر أيال بشعور غريب لم يخامره من قبل، شعر بشيء في داخله يتحرك ويجعله ينظر الى أولنا، شيء يقول في صدره "أنظر أنها فعلا جميلة ورقيقة"، تمني حينها لو أن وقوف أولنا قد طال حتى ينظر

إليها اكثر فقوامها جميل متناسق وعينيها ساحرة حقا، عينيها سوداء لامعة واسعة تجذب الانتباه إليها وخجلها يضفي جمالا أخر على جمالها البسيط، لم يختبر أيال مثل هذا الشعور من قبل، فهو قد شعر بلذة في داخل روحه عندما رآها، شعر بشيء تحرك في صدره لم تكن حركة عرضية بل حركة مقصودة وكان هذا الشيء أنتظر كثيرا حتى تظهر أولنا ليتحرك، هناك في صدره وعقله الآن شيئا يقول له "اصطنع أي سبب واذهب لترها جيدا، ذق هذه اللذة مرة أخرى، هيا اذهب، تحدث الى أختك مايانا قليلا ثم أنظر الى عينيها الساحرتين".

لم يفهم أيال هذا الشعور فهو لم يعرفه من قبل ولم يسمع عنه، فهو لم يتحدث مع الشباب من سنه في مثل هذه الأشياء فهو منعزل تماما عنهم وأقرب شخص اليه في سنه هو هينوا وهو لا يتحدث معه إلا في الصيد وتعلم الصيد كما أن أيال لا يهتم إلا بذلك، هدفه في الحياة هو تعلم صيد الغزلان ولا شيء غير ذلك، وخبرة أيال عن الحب هو ما حدث لعمه أهيال ففي الأربعة أعوام السابقة لم يعرف عن الحب إلا الهم والغم والبكاء والضياع ولكن كل شيء قد تغير الآن فعمه أصبح مرحا وسعيدا فبدأ انطباع أيال عن الحب يتغير.

كان أيال مأخوذ بظهور أولنا الجميلة، بينما دخل عمه كاسكال وقال.

- أراك سعيدا أيها التعيس أهيال، لقد أدميت قلبنا كثيرا والآن عليك أن تضحكنا كثيرا، أرى أن من واجبك الآن أن تصبح كل صباح وتقص على أمك النكات لكي تضحك حتى تعوضها عن الغم الذي سببته لها، أه اعرف أنك لا تجيد قص النكات، يا لك من بائس، هيا أيها العريس السعيد هيا لنذهب الى الصيد لقد تأخرنا على الرجال.
- حسنا يا أخي هيا بنا، أيها الأخ العزيز، أنت صديقي وأخي. هيا بنا. هيا. قال أهيال.
- ادعوا الله أن يديم عليك هذا الحال يا أخي، إلا تفكر في جعل المنزل أربعة غرف فقط، خمسة غرف كثير يا أخي. قال كاسكال.

- سأكمله كما هو يا أخي، فقد قاربنا على الانتهاء، ولا أريد أن اهدم أي شيء، أم أنك تعبت من مساعدتي. قال أهيال.
- أنا لم اتعب قط، هيا يا رجل لقد تأخرنا على الرجال. هيا، لا تكون كسول. قال كاسكال.

تصاعد صوت بعض الرجال من الخارج وهم يقولون.

- هيا بنا، هيا بنا أيها الرجل السعيد، لن تنتظرنا الأسماك يا رجل.

خرج أهيال مع أخيه وحملا شباكهم وانضما للرجال وذهبوا للصيد بينما نظر خرج أيتال استعدادا للصيد هو الأخر فأنتبه أيال أن عليه أن يذهب للصيد وفي طريقه للخروج من المنزل تردد هل يقف ويتحدث الى أخته مايانا أم لا وأن تحدث ماذا يقول وفجأة توقف أمام باب الغرفة التي تجلس فيها مايانا وصديقتها أولنا واستند الى الباب ثم نظر الى أولنا بعض الوقت ونظرت اليه أولنا بعينيها الساحرتين نظرة باسمة فشعر بلذة كبيرة في روحه وصدره شعور فاق الذي شعر به من قبل فهي الآن ابتسمت له هو بالذات وكانت بسمة خجولة رقيقة شعر على اثرها بقلبه يدق بقوة كبيرة فشعر أن عليه أن يقول شيئا بعدما نظرت اليه مايانا في اندهاش ففكر في أن يقول شيئا سريعا وقال.

- حسنا يا أختي العزيزة، أني ذاهبا للصيد، ماذا تريدين مني أن اصطاد لكي اليوم.

ابتسمت له مايانا ابتسامة بلهاء تنم عن عدم فهم لمقولته ثم صمتت قليلا ورفعت كتفيها وقالت.

- شكر يا أيال لا أريد أي شيء.

فنظر أيال نظرة أخيرة الى أولنا فخجلت واخفت وجهها قليلا ثم قال أيال.

- حسنا أراك لا حقا.

خرج أيال ليجد أن كلبه الأصفر منتظره ولكنه لم ينتبه له ولم ينتبه أن أبوه قد وضع قطعة من اللحم في فم كلبه الأصفر وكل ما كن يهمه ويفكر فيه هي تلك الوقفة التي وقفها والكلام الذي قاله.

تبع أبوه في صمت كعادته ولكنه كان مشغول البال الى حد بعيد فكان يقول في نفسه، ما هذا الكلام الذي قولته ما هذا السخف، حسنا يا أختي العزيزة، أني ذاهبا للصيد، ماذا تريدين مني أن اصطاد لكي اليوم، هذا سخف كبير، يا لك من متعجرف متظاهر من يفعل هكذا، كان من الأفضل أن تقول" حسنا يا أختي أراك لاحقا" وتمشي فكنت ستحصل على ما تريد وترحل، الآن تظهر بمظهر الرجل المتعجرف الذي يتظاهر بما يفعل ويتباهى أمام الناس، ولماذا وقفت من الأساس، يا لك من غبي، وكيف لا اقف ونظر إليها، عيناها بها شيء غريب حقا، إنها جميلة، ولكن ما كل هذا الانجذاب من طرفك، لا تندفع هكذا فتسقط على وجهك ويضحك الجميع.

كانت الشمس قد أذابت كل الجليد فأصبحت الغابة خضراء بعدما كانت بيضاء وأنتشر العشب على أرضها وكان الوقت حينها قبل يوم صيد الأرانب بثلاثة أسابيع فكانت الأرانب تأكل من الحشائش في حذر وتهرب عندما تشعر بوجود بشر في الجوار والشمس تعلو قليلا من المشرق ولكن الجبل يغطي اغلبها.

فكر أيال كثيرا في أولنا وكان يعم وجهه تارة بسمة سعيدة وتارة توتر وقلق وحيرة فعجب من أمره ثم فجأة نفض تلك الأفكار عن رأسه وقال في نفسه، أنت لست هكذا، أنت رجل رزين، رجل يتحدث عنك الجميع أن ستكون صائد ماهر وصائد الغزلان الوحيد في البلدة، لا تكن كشاب تافه، لابد أن تطرد كل هذه الأفكار من رأسك، كل ما تستطيع أن تركز عليه هو تعلم الصيد وبخاصة صيد الغزلان، لابد أن أتعلم هذا الأمر والا فتلك الأعوام الماضية تذهب هباء ولا يكون لحياتي كلها معنى.

أندفع أيال واقترب أيال من أبوه وقال.

- لقد أحسنت يا أبي أن وعدت عمي بصيد غزالة كبيرة، لقد أفرحه هذا الأمر جدا، أنا أحب عمي أهيال جدا.

نظر اليه أبوه وابتسم وهز رأسه ثم أكمل طريقه ولكن أيال لم يقنع بهذا القدر من أبيه فقد حاذاه وقال وهو ينظر اليه.

- أتظن أننا سيحالفنا الحظ يومها في صيد غزالة كبيرة يا أبي.

صمت أباه ونظر في عينيه ثم نظر الى قدمه وقال.

- لابد أن نصنع لك خنجر.
- حقا يا أبي ستصنع لي خنجر. شكرا جزيلا. قال أيال.

لم يتحرك أيتال بل كان ينظر في عيني ابنه فقال أيال.

- هل تعتقد أننا سنصطاد غزالة كبيرة في يوم زفاف عمي أهيال يا أبي.

كان أيال يقول تلك الكلمات وهو ينظر في عيني أبوه كأنما يترجاه ويقول "أرجوك يا أبي، أريد أن اصطاد معك الغزالة، أريد أن أتعلم سر صيد الغزلان" كان أيال يريد وعدا غير معلن من أبيه بأنه سيصطحبه في يوم صيد الغزالة.

ساد الصمت المكان وهم يقفا بين الأشجار في الغابة وكانت الأشجار قد اخضرت بالكامل وذابت كل الثلوج فقال أيتال بعدما أطال النظر الى ابنه.

- الحظ دائما ما يكون في صف الرجال الأقوياء.

ثم ابتسم الى ابنه فابتسم أيال وقال لأبيه في فرحة وسعادة.

- شكرا يا أبي، شكرا.

كانت هذه الكلمات كل ما يحتاج أيال من أبوه، كانت كوعد نافذ له فأبوه قال إن الحظ دائما ما يكون في صف الرجال الأقوياء، فهم أيال من هذا أنه أن اثبت لأبوه أنه رجل قوي فسيكون له حظ في صيد الغزالة وسيعرف بالتالي سر صيد الغزلان فعزم على ألا يلتفت لاي شيء إلا أن يثبت لأباه أنه رجل قوي.

***

بعد الصيد جاء الرجال الذي يصطاد معهم لمساعدته كما ساعده جميع إخوته وأيال أيضا، فلقد شعر الرجال بعدم الارتياح لعدم مساعدتهم له في السنوات الماضية فالجميع هنا يساعد الأصدقاء في بناء منزل الزوجية ويعتبرونه واجب وشرف فكاسكال ساعدهم جميعا في بناء منازلهم كما ساعد أهيال بعضهم كذلك قبل أن ترحل إيتا مع منشاري وعندما هدئت الأمور وتحسن حال أهيال واصبح اسعد رجل في البلدة وجدهم يأتون للمساعدة في بناء المنزل فلم يعترض على ذلك بل كان يلاطفهم كثيرا وكان أيال يجد ويجتهد في مساعدة عمه كثيرا ويعمل بنشاط ملحوظ ويأخذ سمت الرجال، بل يأخذ صفات أبيه بالذات، اصبح اكثر صمتا واكثر جدية ويؤدي العمل في صمت كبير وكان عمه كاسكال يمزح معه ويقول.

- ما بك يا أيال أصبحت لا تتكلم، هل الغابة هي السبب أم مصاحبتك لأبوك، تكلم يا فتى فليس هنا الكثير من النساء لتخجل منهم فكلنا رجال وجميعهم يمزحون ويمرحون يا رجل.

لم يرد أيال بل ابتسم وذهب ليحمل خشبة كبيرة ويأتي بها لعمه أهيال بينما قال أحد الرجال.

- على ذكر النساء يا رجل، الجميع هنا متزوجون، إلا أهيال وبالطبع الرجل الصامت أيال، اسمعني جيدا يا أهيال.

اقترب الرجل من أهيال وقال في جد.

- يا رجل عندي لك سؤال يحيرني، وهذا ليس من المزاح في شيء بل هو كل الصدق، واعتقد أن نفس السؤال يدور في رأس الحائرين هنا، أخبرني يا أخي يا أهيال، الحمد لله سيحل الشتاء قريبا وبعد انتهاء الشتاء ببضعة شهور سيأتي منشاري الى هنا ومعه إيتا مع أن بعض الناس تقول إن منشاري لم يأتي وأن ذلك كان من تلاعب الشياطين أو الأشباح بنا، أنا لا اصدق ذلك وأتمنى لك كل الخير، سؤالي هو لماذا حزنت لهذه الدرجة لرحيل إيتا، أنا اعرف جيدا أنك تميل إليها كثيرا ولكن ألهذه الدرجة يا رجل كدت تموت من الحزن، أنا حقا أريد أن اعرف.

صمت أهيال قليلا وترك ما كان يصنع وأنتبه وقال في صوت رخيم.

- أنه الحب يا صديقي أنه الحب، ليس عندي أي تفسير أخر.
- أنتظر يا رجل أنت تعرف أننا جميعا متزوجون ولكني وأنا أتكلم عن نفسي أولا واعتقد أني أمثل اغلب الحاضرين، أنا أحب زوجتي ولكن أن حدثت مشكلة ورحلت حتى وأن كان رغما عني وعنها فلن افعل مثلما فعلت، عذرا يا أخي، لقد كدت أن تموت من الحزن، هذا الحب كاد أن يقتلك، فأن سألتني فسأقول إني سأجلس فترة حزين عليها ثم سأبحث عن زوجة أخرى وسأحبها أيضا.

كان أيال يستمع في هذه اللحظات وهو يحمل قطعة كبيرة من الخشب ولكن عندما ظهرت علامات الجد والتأثر على عمه أهيال وضع تلك القطعة جانبا واستند الى جدار ليسمع هذا الحديث. بينما قال أهيال.

- اسمع يا أخي، اعتقد يا صديقي أنه أن كان الوضع بينك وبين زوجتك مثلما تقول فأنا اعتقد وهذا رأيي أنا ولا افرضه على غيري، اعتقد أن ذلك ليس حبا.
- أن كان ليس حبا، فماذا يكون؟، أخبرني يا صديقي. قال الرجل في تهكم.

فكر أهيال قليلا ثم قال.

- اجب يا صديقي على سؤالي، هل كنت تختار زوجتك من بين مجموعة من النساء، بمعنى أخر، هل كانت هناك خيارات أخرى لك، دعني أوضح أكثر، هل كنت تفاضل بينها وبين غيرها قبل الزواج، هل حدث هذا.

تردد الرجل قليلا ونظر الى الرجال من حوله ثم قال.

- نفترض ذلك، ماذا يعني هذا الأمر، الجميع يفعل ذلك.
- هناك فرق كبير يا رجل، المفاضلة من البداية تعني أنك تختار بعقلك، تختار الأفضل في الصفات والمزايا. قال أهيال.
- هذا صحيح، أنها طريقة فعالة. قال الرجل.
- لا أنكر أنها فعالة في اختيار زوجة صالحة، ولكننا هنا نتكلم عن الحب يا صديقي فمن الممكن أن تحب زوجة صالحة أيضا. قال أهيال.
- وضح يا صديقي. ما هو الحب إذن.
- الحب هو شيء يخطفك، فعندما ترى حبيبتك تخطف، لا تشعر بالجوار لا تشعر بمن حولك، من الممكن أن تنسى أين أنت الآن، هناك شيء يتحرك بداخلك يدفعك الى النظر إليها وربما الذهاب لها والبوح بأنك لا تطيق عيشا بدونها، هذه طبعا تكون أفكار في داخل رأسك، فحينها تكثر الأفكار وتتداخل وكان أربعة نسخ منك يقبعون داخل أفكارك كل منهم يقول رأيه، افعل هذا، قل لها ذلك، ابتسم، لا تنظر إليها سينفضح أمرك، كل هذه الأفكار تدور في رأسك، الحب شيء لذيذ حينما تنظر الى حبيبتك تشعر بحلاوة النظرة في صدرك، حينما تبادلك النظر بابتسامة يطير قلبك من مكانه كأنك تحلق مع الطير في عنان السماء لن تريد اللحظات أن تنتهي، أنه الحب يا صديقي، فمن ذاق الحب لا

يستبدله أبدا، فمن غاب عنه حبيبه ماتت روحه، يا صديقي الحبيبة لا تستبدل ولن تجد غيرها حبيبة، لا أقول أن من يتزوج بعقله لا يحب بل أنا أرى الحب في كثير من الزيجات التقليدية، بل من الممكن أن يحب من تتصوره اقسى الناس أنا أرى الحب مثلا في أيتال أخي مع سيانا زوجته فهو اكثر الناس وقارا ولكنه يحبها حبا شديدا مع أنه لم يحبها قبل الزواج ولكنها احبها ويظهر عليه الحب عند النظر إليها، الحب يأتي الى قلب المحبين، أما أنك اذا كنت معجب بصفات وتختار على أساس العقل فالتوافق لابد وأن يكون موجود ومن الممكن أن يولد الحب بعدها فأن أحببت لن تستبدل، أما في حالتي أنا فأنا أحببت إيتا من سنوات طوال أحببتها حبا شديدا وهي كذلك، لم أتخيل نفسي مرة أتزوج امرأة غيرها، والحمد لله أنها ستعود ونتزوج.

كان أهيال يتحدث الى الرجل وهم يسمعون باهتمام في صمت شديد فكلامه جذب أنتباههم جميعا كما جذب انتباه أيال كثيرا.

*****

صيد الارانب

تم الانتهاء من بناء المنزل الجديد قبل يوم صيد الأرانب بثلاثة أيام وكان أهيال سعيدا جدا واحتفل يوم صيد الأرانب مع بقية البلدة في هناء وسرور وكان يدخل بيته الجديد كل يوم يتفقده وهو فارغ ويمشي فيه

وعلى وجهه ابتسامة كبيرة حيث يتخيل إيتا تمشي أمامه بين الغرف وقبل حلول الشتاء أهدته سيانا بعض أدوات الطعام التي صنعتها بيدها من الخشب وأهداه أيتال خمسة فراء ثعالب كبيرة لتفرش على الأرض في الغرف كما المح له بأنه سيأتي له بفراء دب ابيض أو بني على أن يكون سميكا ليصلح ليكون فراش الزوجية وصنعت له مايانا ثلاثة مصابيح زيتية ملئتها بزيت الصنوبر ووضعها في المنزل أما اخوه كاسكال فقد صنع له طاولتين من الخشب وصنع له أيا كرسيين خشبيين بدون ظهر وجمع أيال كل تلك الهدايا وفرش المنزل بها ووضع الطاولتين والكرسيين في غرفة المعيشة وذهب في أخر ليلة من ليالي الصيف وكان الجو بارد ودخل المنزل وأضاء المصابيح ونظر الى منزله في سعادة عارمة ومسك مصباح منهم ومشي به في المنزل وقال في نفسه سيطول الانتظار حتى منتصف الصيف القادم حتى ينعم بوجه حبيبته وتسكن معه هذا المنزل.

أطفأ المصابيح وعزم على ألا يشعلها ثانيا إلا يوم الزفاف حتى يرى وجه حبيبته على أضوائها ويتغزل فيها، وفكر في أنه لابد من إضافة بعض قطع الأثاث في المنزل كطاولة في المطبخ وبعض الأواني الخشبية وغيرها من الأشياء الضرورية في كل منزل وبذلك وجد ما يمكن أن يشغله لبعض الوقت حتى تمر أوقات الانتظار وهو أكثر هدوءا.

جاءه أيال ذات مرة بعد عودته من الصيد مع أبيه وبعد عودة أهيال من صيد الأسماك وكان يحاول صنع طاولة كبيرة من فروع الأشجار الصغيرة التي جمعها من الغابة قبل أن يشتد الشتاء ويتجمد كل شيء وكان أهيال حينها يغني وينشد بعض أناشيد الحب ولكن أيال اقترب وجلس الى جواره في صمت شديد، نظر أهيال الى عيني ابن أخيه فوجد أن بها شيء مكتوم، يريد أن يتحدث ولكنه لا يفعل فقال له أهيال.

- ما الذي يحيرك يا ابن أخي.
- لا شيء يا عماه. قال أيال.
- هل تعرف أن العيون تفضح أصحابها. قال أهيال.
- لا افهم، ماذا تقول، العيون تفضح.

- نعم يا ابن أخي، العيون تفضح يا ابن أخي، فبالنظر الى عينك أقول لك أنك في حيرة شديدة من أمرك، في ماذا تفكر يا رجل، تكلم، لا تخف، أنت تعلم أننا أصدقاء.
- لا شيء يذكر يا عماه.
- اعتقد أن الأمر متعلق بفتاة يا رجل، واضح ذلك، أهي تلك الحسناء أولنا، هي حسناء حقا. قال أهيال.
- كيف عرفت ذلك، الأمر لا يتعلق بها فقط، ليست الأمور كما تعتقد. قال أيال في حيرة تبدو على وجهه.
- ليس في الأمر أي تعقيد يا ابن أخي، أن كانت تعجبك سأتحدث مع أباك، ولم ذلك فلتتحدث أنت مع أباك وسيخطبها لك في الصيف القادم أنت لم تعد صغيرا، وأنت الآن أقرب الناس لأباك فسيوافقك الرأي، وأني لأراها فتاة جميلة جدا وطيبة الخلق، ستكون زوجة صالحة، ولتكن على يقين أني سأبني لك بيت محترم جدا ولكنه لن يضاهي منزلي.

قال أهيال تلك الكلمات وهو يضحك ويمزح ولكن أيال لم يبدي أي ردة فعل لذلك، فتفحصه أهيال بنظرة ثم قال.

- ما بك يا رجل، أهي تحب فتى أخر، لا اعتقد ذلك فهي تأتي لزيارة أختك مايانا تقريبا كل أسبوع وتكون في غاية الخجل، اعتقد أنها معجبة بك حقا، لا تشغل بالك كثيرا، فلتتحدث مع مايانا أختك الجميلة وهي ستتحدث معها، حتما الفتاة تحبك أنت، لقد رأيتها يوم صيد الأرانب وهي تنظر إليك في إعجاب شديد ولقد رأيتك أنت تنظر إليها وتتعجل في إشاحة نظرك الى الجهة الأخرى كأنك تغصب نفسك إلا تنظر اليها، ما بك يا رجل لا تتركني أثرثر وحدي، ماذا بك، فلتتحدث، فلن اعرف ما بداخلك وحدي، أنا لست عرافا، بوح بما فيما بداخلك.
- المشكلة يا عمي أني.....، لا أستطيع قول هذا بصورة واضحة....، لا اعرف ربما ليس على أن أتحدث. قال أيال في كثير من التردد.
- ما بك يا رجل أنت تتحدث كما يتحدث النساء، تكلم مباشرة ما هي مشكلتك، هل تحب الفتاة أم لا.

- لا اعرف أن كان ما بداخلي حب لها أم لا، كل ما اعرفه أني أحب أن أنظر اليها واشعر بسعادة في داخلها عندما أراها، ولكن....
- ولكن ماذا يا رجل، هذا هو الحب، ما هي المشكلة إذن، تكلم يا فتى، تكلم ولا تتردد.
- المشكلة هي أني غير واثق هل هذا هو الوقت المناسب أم لا، لا اعرف ماذا افعل. قال أيال.
- الوقت المناسب، يا صديقي اسمع جيدا، بعد زواجي ستكون أنت العريس القادم في العائلة، أظن أن الوقت مناسب.
- لا، لا اقصد هذا. قال أيال.
- فلتقل ما تريد والا فأصمت ودعني أغني كما كنت أغني.
- حسنا، أنا أريد أن أتعلم الصيد كاملا من أبي وأن استقل عنه ثم افعل ما أشاء، اعتقد أنه لا وقت للحب لدي الآن. قال أيال.

تعجب أهيال ونظر اليه وقال وهو يتهكم عليه.

- ما هذا الكلام يا رجل، من يسمعك يعتقد أنك مقبل على عمل خطير جدا، ما بك، ليس امر الصيد بهذه الخطورة، لقد اعتقدت أنك تريد تحريك الجبل من مكانه، ما بك يا أيال، تكلم يا بني.
- أريد أن أتعلم من أبي صيد الغزلان.
- هذا امر مثير حقا. قال أهيال.
- نعم الأمر جدي للغاية، اعرف أن أبي يعرف سر ما متعلق بصيد الغزلان، لقد رأيت هذا في عينيه وأريد حقا أن اعرفه منه. قال أيال وعيناه تتسع وتلمع في حماسة شديدة.
- حقا يا أيال، أن صيد الغزلان صيد نادر، وأنا أيضا اعتقد أن أباك يعرف سر كما يعرفه أبي ولكن الأمر ليس سهلا، كيف ستعرف هذا السر. قال أهيال- ثم أكمل فجأة كأنه تذكر شيئا – ولكن يا صديقي ما علاقة ذلك بحبك للفتاة التي تدعى أولنا، لا أرى علاقة يا ابن أخي.
- يا عماه لقد قال أبي وهو ينظر الى داخل عيني، لقد حسبته حينها ينظر الى داخل صدري وهو يقول "الحظ دائما ما يحالف الرجال الأقوياء" قالها حين سألته أن كان الحظ سيحالفنا في اصطياد غزالة في يوم زفافك،

رد على بتلك الكلمات بعدما نظر الي تلك النظرة العميقة، أخشى لو أنني صرحت لأولنا بأعجابي بها أن أنشغل ويرى أبي انشغالي فيعزف عن إخباري سر صيد الغزلان، أن أريد أن اعرف سر صيد الغزلان قبل أي شيء، لا أستطيع التضحية بهذا الشيء أبدا.

- أنظر يا أيال الأمر فعلا سر كبير لا احد استطاع صيد الغزلان في حياتي كلها إلا أبي وأباك والغريب في الأمر أن الصيادون في الغابة كثر فربع أهل البلدة يصطادون في الغابة ولكن لم يحدث أبدا أن رأي احدهم غزالة ولو بالصدفة، ولم يروا أي اثر لتلك الغزلان التي يصطادها أبوك، هل تتذكر عندما اصطاد أبوك غزالة للرجل صاحب الندبة، هذا الرجل كان متطلع جدا لمعرفة كيف يصطاد أباك الغزلان وكانت مفاجأة إذ اصطاد أباك له غزالة ووضعها عند بابه، كان أمرا في غاية العجب لماذا يفعل أباك ذلك، لقد ظهر الرجل حينها في غاية البخل حين اخذ الغزالة كلها ولم يشاركها مع أي احد، بعض الناس قالوا أنه مكث اكثر من أسبوع لا يخرج من بيته هو وأولاده وكان يذهب ليلا للنهر لإحضار الماء خلسة وكانت رائحة طهي لحم الغزالة تنتشر في كل القرية، لقد سألت أباك حينها لماذا فعل ذلك ولكنه لم يجيب حتى ألححت عليه فقال لي في منتهى البساطة "احتاج غزالة بشدة، فأحضرت له غزالة"، اسمع مني أنا يا صديقي لقد كدت اظفر بسر صيد الغزلان من أبي وأباك ولكني لم افهم يومها ماذا حدث، لقد قال لي أبي أن من الأفضل أن اذهب لصيد الأسماك في البحر، هل تعتقد أن الأمر كان سهلا، لا بالطبع كنت في غضب عارم، لم اذهب للصيد في البحر لمدة أسبوع ومكثت في المنزل لا أتحرك، لو لم يكن لي صديق اسمه منشاري لما خرجت من المنزل ولما اصطدت الأسماك، منشاري لم يكن يحب صيد الحيوانات ولكن للمفارقة الغريبة فهو ماهر في سلخ الحيوانات وإخراج الفراء كاملة وبشكل مذهل لقد علمته امه هذا، أتمني أن يعود منشاري مع إيتا ويعود صديقي كما كان، لم اعرف مثله صديق فلولا هو لما خرجت من محنة صيد الغزلان، في حقيقة الأمر لم افهم ماذا حدث ليقرر كلا من أبي وأخي أيتال أنهم لن يعلموني صيد الغزلان ولتعلم يا ابن أخي أني حينها كنت في مثل سنك وكنت صائد ماهر حقا وكان أبي متضجر من كثرة صيدي للحيوانات كنت اصطاد كثيرا كنت اعتقد أن هذه مهاره كبيرة، اسمع كل ما أود أن أقوله لك أني في تلك

الفترة كنت أريد معرفة صيد الغزلان بشدة وقبل أي شيء وكدت اخسر إيتا حينها لأني كنت عبوس الوجه لفترة لا تقل عن شهر تقريبا ولا احد يفهم شيئا إلا أبي واخي أيتال، لقد اطلت عليك يا رجل، اسمع كل ما أريد أن أنصحك به مع أني سيصيبني غيرة كبيرة حين اعرف أنك تعلمت سر صيد الغزلان من أبيك، حقا لا أخفيك يا أيال سأغار منك كما سيغار منك رجال أخرين في البلدة ولكن اسمع، لا تهمل أولنا كثيرا فهي فتاة صغيرة وأنها أن كانت تحبك وأنا متأكد من ذلك فهي تعلق أمال كبيرة عليك وترسم أحلام جميلة أساسها وجودك في حياتها، لا اقل لك اترك صيد الغزلان لا بل أنصحك أنك لا تترك الدنيا كلها من اجل صيد الغزلان فمن الممكن أن يتركك أباك في أخر لحظة دون أن يقول لك السر، فهمتني يا ابن أخي، حينها ستكون خسرت كل شيء، لا تظهر لأباك أن صيد الغزلان هو كل حياتك.

صمت أيال لدقائق وهو مطرق الرأس ثم رفعها ونظر في السقف واخذ نفسا عميقا ثم أخرجه وقال.

- لا اعرف يا عماه، أنا فعلا أريد أن المح لأولنا بأعجابي بها ولكني لا أريد أن يفوتني سر صيد الغزلان، لا أريد لابي أن يراني ضعيفا.
- وما الضعف في ذلك يا رجل، أنت مخطئ.
- اسمعني يا عماه، لقد صنع لي أبي خنجر وأعطاه لي منذ أسابيع، وهو الآن يراقب كل أفعالي أنه يعتبرني رجل من الآن.
- وهل تصريحك بالأعجاب من أولنا سيقلل من رجولتك، أنت مخطئ، لا تفكر هكذا، اسمعني أنت الآن لا تريد النصيحة لقد بينت لك كل الأمور وأنت الآن رجل تستطيع أن تحكم على الأمور وتتحكم في حياتك، لم تعد صغيرا يا أيال. قال أهيال في قليل من الغضب.
- أريد أن أسألك سؤال يا عمي، هل فكرت فيما وراء الجبل، هل فكرت في المكان الذي يعيش فيه منشاري وإيتا والذي يدعى روسيا، في بعض الأوقات يشغل هذا الأمر فكري كثيرا، نحن على اعتقاد دائم بأن ما خلف الجبل كله هلاك، هل تعرف يا عمي أني كنت أتخيل أن وراء الجبل الأشجار تتحول الى وحوش تأكل كل من يذهب الى هناك، لقد سمعت

من هينوا أن منشاري قال إن هناك خلف الجبل بشر مثلنا ويظهر على منشاري أن هؤلاء الناس يعيشون أفضل منا بكثير، هل يشغلك ما خلف الجبل.

نظر أهيال الى ابن أخيه وقال في وجه سعيد.

- كل ما يشغلني خلف الجبل هو أن إيتا تحيا خلفه وبعد ما ينتهي الشتاء الطويل سترحل من مكانها وتأتي الى هنا، يشغلني لبعض الوقت سلامتها في هذا الطريق ولكني اعلم أنها ستأتي الى هنا سالمة لأرى وجهها الجميل ونحيا حياة السعداء في منزلنا الجميل.

كان أيال ينظر لوجه عمه وهو سعيد هكذا ثم قال.

- أحب أن أراك سيعدا يا عمي.

فنظر اليه أهيال وقال.

- وأنا كذلك أحب أن أراك سعيدا يا ابن أخي.

*****

تجهيز منزل الزوجية.

صنع أهيال في خلال الشتاء أربعة طاولات وكرسيين وظهرت الشمس بعد طول غياب ونظر أهيال للشمس في يوم العيد وكان سيعدا جدا وكانه يقول للشمس أنت تبشريني برؤية وجه إيتا هذا الوجه الذي اشتاق اليه كثيرا احتفل أهيال مع البلدة بالعيد وذهب الى الصيد كما فعل كل رجال وشباب القرية وقادهم في هذا اليوم الرجل المسن أيضا وغنوا الأناشيد كما أنشدت النساء الأناشيد في ساحة البلدة وكانت مايانا تجلس في هذا اليوم بجوار أولنا صديقتها المقربة وكانتا الفتاتين تمسكا يد كل واحدة منهما الأخرى وهما ينشدان مع باقي النساء أناشيد العيد وكان من بينها.

يا خالق الكون شكرا لك.

أنت العظيم في شأنك.

خلقت لنا كل شيء وضده.

خلقت السماء والأرض.

خلقت لنا الشتاء والصيف.

فشكرا لك يا أيها الخالق الحكيم.

فنحن نشكرك على هذه الشمس الساطعة.

ونشكرك على هذا الدفء الجميل.

فلولا الشتاء لما عرفنا الصيف.
ولولا البرد لما عرفنا الدفء.

ولولا الظلام لما قدرنا الضياء.

يا واهب كل شيء أوهب لنا الحكمة.

يا واهبنا معرفة نعمك ادم علينا المعرفة.

يا واهب كل شيء أوهب لنا شكرك.

يا واهب الشمس ضيائها ودفئها لا تحرمنا منها.

ويا واهب الشتاء ثلجه وصقيعه خفف علينا برده.

اجعل يا ربنا الشمس تظهر في كل صيف.

واجعل شباك رجالنا تملؤ بالأسماك.

وادفي ء بطوننا في قلب الشتاء.

نشكرك يا واهب الهبات والنعم.

أوهبنا يا ربنا السعادة والفرح.

رجع الرجال من الصيد فذهبت بعض النساء لأخذ الأسماك وكان أيال يحمل جوالا من الأسماك على ظهره فاقتربت منه أولنا مع مايانا وكانت أولنا تبتسم ابتسامة لهفة فكانت أجواء العيد زادت عاطفتها كثيرا فنظرت الى أيال نظرة حب وإعجاب فوضع أيال جوال الأسماك أمام قدمها ورفع رأسه في ابتسامة جميلة فأمسكت أولنا يده في حركة عفوية وكادت أن تطير من الفرح لما رأت تلك الابتسامة على وجهه، أما أيال فشعر بلذة غير عادية عندما نظر اليها فهو يسره كثيرا النظر اليها هو يعلم ذلك جيدا

وكاد قلبه أن يخرج من صدره عندما لامست يدها الناعمة يده، لمعت عينيه حينها ونظر لها في عينياه وتوقف قليلا، كانا في عالم أخر، لم يكونا في ساحة البلدة، بل كانا بعيدا في أعالي السماء يقفان على سحابة بيضاء كثيفة حملتهم عاليا، رأي في عيناها امأني وأحلام قد رسمتها وبنتها بخيوط خيالها، رأي نفسه جالسا على عرش قلبها، لم يكن يعلم الآن الأمر وصل الى هذا الحد فزادت فرحته وارتسمت أحلامه على وجهه وفي عينينه، كادت أولنا أن تصيح في هذه اللحظة فرحا، لقد راقبته كثيرا وقاربت على فقدان الأمل في أن ينظر اليها أو يفهم ما بداخلها فهي تحبه وترى فيه فتى أحلامه ولكنه لم توضح أعجابها إلا عندما دخلت بيتهم.

استفاق عصفورين الحب على صوت مايانا وهي تقول.

- يا أيال اذهب من هنا، أباك ينتظرك.

أنتفض أيال لما سمع هذه الكلمات من مايانا ونظر الى وجهها فأشارت اليه أن يرحل وهزت رأسها تجاه أبوه فذهب أيال مسرعا الى أبوه ووقف أمامه ثم جلس بجواره وقلبه يخفق فينظر الى أبيه ويتفحص وجهه ويسأل نفسه هل يا ترى لاحظ أبي؟ ماذا سيقول عني؟ هل لن يصطحبني مع في يوم صيد الغزالة، يا إلهي قد اخسر كل شيء. كان أيال مشتت الفكر متوتر جدا ولكنه لم يجد أي ردة فعل على وجه أبيه.

لم ينظر أيال الى أولنا كثيرا في هذا اليوم بعد هذه الوقفة التي لم تمتد إلا ثواني معدودة، فقط استرق النظر اليها أربع مرات على مدار ثلاث ساعات مضت في الاحتفال ما بين خطاب طويل للرجل المسن وتهاني الرجال في الساحة بعضهم البعض وتناول الوجبة الجماعية من السمك المشوي، في خلال هذه الساعات كان اغلب فكر أيال في القلق ألا يصحبه أبوه في يوم صيد الغزالة، ولكنه من المستحيل أن يعرف ماذا يجري في رأس أبوه وقد قرر يومها ألا يعود الى مثل ذلك الحب إلا بعد معرفة وإتقان صيد الغزلان.

***

بعد أسبوع من يوم الاحتفال بالعيد استيقظ أيال في الصباح وكان دائما ما يستيقظ قبل أبيه ليثبت له مدى جديته في تعلم الصيد، خرج يومها أيال خارج المنزل فاستقبله كلبه الأصفر الذي صار كلبا كبيرا الآن واصبح في نفس قوة الكلبين الرمادي والبني ولكنه محبا جدا لأيال فعندما يراه يهز زيله باستمرار ويرحب به ولكن أيال لم يعد يلعب معه منذ أن صنع له أبوه الخنجر فهو يكتفي بمسح رأس وفروة كلبه وفقط كما يفعل هو الآن فهو منحني على كلبه يمسح على ظهره وعلى أجنابه ثم يمرر يده على رأسه وحينها قفز الكلب لأعلى قليلا حتى يقفز مع أيال أو يلعب قليلا ولكن أيال تجاهل تلك الدعوة ثم قطع قطعة لحم من أرنب واطعم كلبه كما اطعم كلبيه أباه وحينها خرج أبوه من المنزل وقال له.

- احمل ثلاث شبكات من الصيد.

نظر أيال الى أبيه نظر دهشة من هذه الكلمات، لماذا يطلب منه أن يحمل شباك صيد الأسماك، فكر أيال، يا إلهي، لقد خسرت كل شيء، الآن سأتحول لصيد الأسماك، اللعنة على الحب، لا، لا هذا لا يكون أبدا.

نظر أيال للشباك ثم ذهب الى أبيه وبعض الدموع في عينه وقال.

- أبي أرجوك، ماذا يحدث، لماذا تسألني أن احمل شباك صيد الأسماك، أنا لم افعل أي شيء يا أبي، أرجوك لا تفعل بي هكذا، أنا لا أريد أن اذهب للصيد في البحر.

نظر اليه أبوه نظرة لم يفهمها وكان بها بعض الدهشة ثم قال له.

- نحن ذاهبون الى الغابة-ثم أشار الى الشباك وأكمل قائلا- لن ننتظر الإفطار ضع شيئا في جوفك وهيا نذهب بسرعة.

لم يفهم أيال أي شيء ولكنه دخل المطبخ ووضع بعض الطعام في جوفه كما قال له أبوه حرفيا وبدأ يمضغه ثم حمل شبكتين صيد فاستوقفه أبوه وقال.

- ثلاثة.

رجع أيال مسرعا وحمل الثالثة ثم مضى خلف أبوه الى داخل الغابة ولكنه لا يفهم شيئا ماذا تفعل شباك صيد الأسماك داخل الغابة، ولكنه كان سعيدا لأن ظنه لم يكن صحيحا وأنه الآن يصاحب أبيه الى داخل الغابة.

لم يتوقف أيتال يومها عند ايمن المصائد التي نصبوها بالأمس، أندهش أيال من هذا الأمر وقال في نفسه أنه ليوم غريب حقا، ماذا نفعل بهذه الشباك التي على ظهري ولماذا لم نتفقد المصائد ولكنه في بادئ الأمر لم يريد أن يسأل أسئلة كثير لأبيه فهو قد صنع قدرا من الدراما يكفي لعدة أسابيع لأن الدموع كادت تنهمر من عينيه أمام أبيه اليوم وهو يستفسر منه عن امر الشباك.

مشيا كثيرا في الغابة، عن كل الأماكن التي يعرفها أيال وبعد فترة طويلة فكر أيال أنه ليس من الطبيعي ألا يسأل أبيه عن هذا الطريق وماذا سيفعلون اليوم فاقترب من أبيه وقال في صوت منخفض.

- الى أين نحن ذاهبون يا أبي، وماذا سنصنع بهذه الشباك.

التفت له أبوه ثم قال في اقتضاب "سنصطاد دبة"

دبة يا لها من مفاجئة، اختلطت مشاعر أيال حينها ما بين الحماسة لاصطياد الدبة وبين الخوف من العواقب فاصطياد دبة ليس بالأمر الهين أنه شيء خطير جدا، يكفي أن تدفعك الدبة دفعة قوية فتفقد الوعي في الحال، أيال يتذكر جيدا تلك الدبة التي هجمت عليهما قبل سنوات في الغابة، كان أبوه شجاع جدا ولكنه لم ينسى هذا الرعب الذي حل به

يومها ولكن الأمر مختلف الآن فأيال أصبح رجلا وله خبرة كبيرة مع أبيه في الغابة وفكر في أنها تلك هي الفرصة الحقيقية التي سيثبت فيها لأبيه أنه رجل قوي.

كان أبوه يمشي مشيا قاصدا يعرف جيدا أن أين هو ذاهب، يمشي كأنما يمشي لملاقاة خصم معروف وقد حان وقت الثأر منه، لم يأتي أيال الى هذا الطريق ولا تلك الأماكن من قبل وكان الثلج في هذا الطريق هش جدا ويخرج من تحته ماء فقد بدء دفئ الشمس يذيب الثلوج وأولها الثلوج التي على الأشجار فكانت قطرات صغيرة ندية تسقط من على الأشجار والشمس تظهر قليلا كانت الأجواء شاعرية حقا تصلح لمرافقة حبيبة داخل الغابة وتذكر أيام الحب قبل الزواج لم تكن أجواء لصيد دبة ولكن يبدوا أن أيتال عازم على اصطياد دبة اليوم ومن الظاهر أنه يعرف أين هي بالتحديد.

فجأة توقف أيتال واستدار لابنه وتوقفت معه كل الكلاب وهي تنظر اليه كأنما هي الأخرى تنتظر التعليمات من القائد، توجه أيتال الى ابنه وكان وجهه ينم عن كثير من الجدية والعزم، قال أيتال.

- أني احتاج اليك اليوم، لا بد أن تكون حذرا، صيد الدببة ليس بالأمر الهين، الدبة سريعة جدا في الركض، لا تركض أمامها أبدا، أن لزم الأمر تسلق شجرة هل تعرف كيف تتسلق شجرة بسرعة.
- نعم يا أبي.
- أرني كيف ستفعل اصعد على هذه الشجرة بسرعة، هيا.

ركض أيال عندما أشار له أبوه وتسلق الشجرة بسرعة معقولة ثم توقف عندما ارتفعت قدماه قدر ارتفاع رجل من الأرض، فقال أبوه.

- تسلقت جيدا ولكن لا تتوقف أبدا فالدبة عندما تقف تكون أطول مما تعتقد استمر في الصعود لأنها أن وضعت مخالبها في قدمك ستكون فريستها، والآن أنزل.

نزل أيال ووقف يسمع لأبيه فقال له.

- اسمعني جيدا، ستشارك في صيد الدبة ودورك مهم جدا، أنا سأقف أمامها وهي ستركض تجاهي بسرعة كبيرة وتقوم أنت برمي أول شبكة عليها ثم ترمي الثانية بسرعة وأن لزم الأمر ارمي الثالثة ولكن احذر أن ترمي الشبكة على معها وعندما تتوقف هيا سأقوم أنا بضربها على رأسها وحينها تكون تحت تصرفنا، إن ساءت الأمور اخرج خنجرك واضربها في ظهرها ولكن لا تتعجل، سمعتني جيدا، عليك الحذر على سلامتك، جاهز، حسنا هيا بنا.

تحرك أيال خلف أبيه وكان حذرا جدا وكان أبيه يشير بيديه له لكي يمشي ببطء ثم أشار له أن يستعد فوضع أيال الشبكات الثلاثة فوق الثلج واستخرج واحدة وفردها ووضعها جانبا ثم استخرج الأخرى في صمت شديد وحملها وأشار له أبوه أن يحمل الشباك ثانيا فحمل اثنين على كتفه ومسك واحدة في يده ومشى بمحاذاة أبيه على بعد أربعة امتار خلف الأشجار بينما يمشي أبوه في ممر خال من الأشجار وفجأة نبحت الكلاب الثلاثة نباحا عاليا وسمعوا صوت ركض شديد يهز الأرض وخفق قلب أيال بشدة وعزم على أن يلتزم بتعليمات والده وخرج من خلف الشجرة ونظر الى أبيه فوجده ممسكا بخنجره وقطعته الخشبية ويقف كالمحارب بقدم ثابته ونظر أيال الى الاتجاه الأخر وجد أن الدبة تركض في اتجاه أبيه وهي فاتحة فمها وتصدر أصواتا غريبة وتركض بسرعة كبيرة وابتعدت الكلاب عن طريقها وهي تنبح نباحا شديدا غاضبا وقبل أن تصل الدبة الى أبيه القى أيال عليها الشبكة فأعاقتها قليلا وامسك بالشبكة الثانية وحاول أن يلقي بها عليها ولكنها كانت اقتربت من أبيه كثيرا فلو القاها لدخل أبوه معها داخل الشبكة فقرر أن يلقي الشبكة جانبا ويخرج خنجرة بسرعة وكانت الدبة قد تعرقلت ثم قطعت قطعة من الشباك ولكن حينها ضربها أيتال بقطعته الخشبية ضربة شديدة وقفز أيال ابنه على ظهرها وهو يدب خنجره في ظهرها فتألمت ودفعت بأيال بعيدا وظل الخنجر في ظهرها بينما اجهز عليها أيتال وقتلها بضربات شديدة متتالية من قطعته

الخشبية ثم دب خنجره في رقبتها من الخلف ففارقت الحياة وعندما تأكد أيتال من ذلك أسرع للذهاب لابنه ولكنه وجده قادما اليه سليما ممسكا ظهره من الجانب الأيسر.

- أأنت بخير يا أيال؟ قال أيتال.

ابتسم أيال وكان يظهر عليه الإرهاق من الضربة وقال.

- نعم يا أبي، أنا بخير.
- اصطدنها سويا يا ولدي، أنا سعيدا بك.

كان وجه أيتال ينم عن سعادة كبيرة، فرح أيال كثيرا عندما نظر الى أباه واقترب منه وقال.

- حقا يا والدي، أنت سعيدا حقا؟
- نعم، نعم، هيا لنعود الى العمل هذا المكان خطر أنظر الى هناك أن تلك الأشجار الكثيفة تحوي الكثير من النمور وهي تشتم رائحة الدم هيا ننهي ما بدأناه.

أخر أيتال خنجره من رقبة الدبة وبدأ في سلخ الفرو وساعده أيال في ذلك وكانوا يجدا عناء كبيرا في تحريك الدبة وساعد في الأمر أن الدبة كانت هزيلة جدا بعد البيات الشتوي التي كانت فيه فكان من السهل استخراج الفرو ولكن مازال وزنها كبير فكانا يدفعاها سويا كلما أنهيا سلخ المنطقة التي أمامهما.

عندما استخرجا الفرو قطع أباه قطعة كبيرة من اللحم وقطع منها قطع صغيرة للكلاب وألقاها لهم ثم حمل الفرو ومضيا في طريق عودتهم الى المنزل وفي الطريق استغل أيال أن أبيه قد تحدث اليوم معه وحاول أن يسأله عن بعض الأشياء فهو اليوم قد قال له الكثير من الجمل على عكس طبعه فقال أيال.

- أبي أنت كنت تعلم أين تقع تلك الدبة بالضبط، صحيح.
- نعم.
- هل هي الدبة التي هجمت علينا من قبل.
- نعم.
- لقد تركنا لحمها في العراء.
- ستأكله النمور. سنذهب بالفرو الى بيت أهيال مباشرة لا أريد أن ترى أمك هذا الفرو ولا تتحدث عن الهجوم السابق.
- حسنا، تلك الدبة كبيرة في العمر صحيح.
- حوالي سبعة وعشرون عاما.
- ولكنها لم تكن بصحبة صغارها يا أبي.
- هذه الدبة ولدت أخر مرة منذ ثلاثة سنوات ولم يكن معها صغار في هذا العام.
- كيف تعرف كل هذا يا أبي.
- امضي وقتي كله في الغابة يا بني، يكفي كلاما هيا.

كان أيال مستمتعا بالحديث مع والده وهو قد علم اليوم أنه قد حصل على فرصة كبيرة واثبت أنه رجل قوي وبذلك سيكون برفقة أبيه في صيد الغزالة في يوم زفاف عمه أهيال.

عندما وصلوا الى البلدة ذهبوا مباشرة الى بيت أهيال ووجدوه هناك وفرح كثيرا عندما رأي الفروة الكبيرة وساعدهم في فرش الفروة على الأرض ثم ذهب مسرعا واحضر الكثير من الملح ووضعه عليها وقال لأخيه أيتال وهو يمسك بطرف الفرو.

- شكرا جزيلا يا أخي، أنها فروة كبيرة وسميكة حقا، تصلح لسرير كبير ستملأ الغرفة كلها، ستكون إيتا في سعادة بالغة، شكرا يا أيال، لقد أصبحت صائدا ماهرا يا رجل.

قال أهيال هذه الكلمات وأنهاها بغمزة من عينيه الى أيال فقال أيال وهو يبتسم.

- شكرا يا عمي.

اقترب أيتال من أخيه ووضع يده على كتفه وقال له.

- أتمنى لك حياة سعيدة يا أخي.

أنشرح قلب أهيال بهذه الكلمات من أخيه الأكبر فاحتضن أخاه وشكره ثانيا ووضع يده بصورة عفوية على رأس أيال.

*****

ظهور المحبوبة من خلف الجبل

كان أهيال يقف أمام منزله والانتظار يقتله وينظر تجاه الغابة متطلعا ليرى حبيبته تخرج من بين الأشجار وفجأة سمع صوت ضحكاتها تتعالى ويتكرر صدى صوت الضحكات من هناك عند الجبل فنظر الى هناك فرأي فرو دب طائرا يحمل فتاة تضحك عاليا، أنها إيتا ولكن كيف أتت على هذا الفرو، لا يهم ذلك ركض أهيال في اتجاه الغابة فيما حط الفرو الطائر أمامه ونزلت إيتا مسرعة تركض اليه واحتضنها ودار بها كثيرا وقال لها.

- لكم اشتقت اليك، لكم اشتقت الى ابتساماتك الخجولة، اشتقت أن اشتم رائحتك.

ظل يشمم بأنفه ولكنه اشتم رائحة طهي فاستيقظ من نومه على هذه الرائحة التي أفاقته من حلم جميل.

كان قد مر خمسة أسابيع على حلول الصيف وكان أهيال يشغل وقته بكل ما ينفع ولا ينفع حتى يمر الوقت بسلام وتظهر حبيبته من خلف الجبل، حلم كثيرا بمجيئها في الأيام الماضية قد حلم مرة أنها جاءت من البحر على ظهر حوت كبير وحلم مرة أخرى أنها جاءت تركض خروجا من الغابة ومنعها منشاري أن تقترب منه وهدد بالرجوع ثانيا وحلم مرات أخرى بأنها جاءت بطرق غريبة أخرى ولكن في كل حلم تأتى ولا تتأخر أنه ينتظرها في الموعد ومن المفترض أن يكون الموعد بعد أسبوعين من اليوم، كان يتخيل كيف ستخرج من الغابة ويراها هو تظهر من بين الأشجار الخضراء ويرى ابتسامتها الجميلة وضفائرها الطويلة، كان هذا المنظر يأتي لخياله كثيرا.

خرج أهيال في هذا اليوم الى الصيد ورجع وذهب قاصدا بيته يتفقده ولكنه سمع شخصا خارج المنزل يناديه ويقول.

- أهيال، أين أنت يا رجل.
- أنا هنا.

خرج أهيال فوجد رجل من رجال البلدة يقول له.

- أن منشاري قد وصل ومعه إيتا ويقول لك أن الزفاف ليس غدا وإنما بعد غدا ويقول أيضا أرسل لمنزله الكثير من سمك القد المشوي حالا، اسمع لقد قال لي أن أنبه عليك ألا تزعجه أبدا فقط احضر السمك أمام الباب واطرق الباب وارحل، هذا ما شدد عليه.
- أحقا تقول يا رجل أم أنك تمزح معي، هل رأيت إيتا؟
- نعم إيتا وامرأة أخرى وطفلان.
- إيتا وأمها؟
- لا، إيتا وامرأة أخرى غريبة جدا، تلبس ملابس غير طبيعتنا حتى إيتا لم نكاد نعرفها فملابسها أنيقة حقا ولكن السيدة الأخرى ووجهها طويل ونحيف ولها أنف رفيعة جدا، لقد خاف الأطفال منها، ربما هي ساحرة أو شيء من هذا القبيل.

رحل أهيال بسرعة الى المنزل وأخبر امه بما حدث وهمت كل من سيانا ومايانا في شوي الأسماك الطازجة الموجودة في المنزل فأعدوا ما يقارب العشرون سمكة وحملهم أهيال بسرعة الى المنزل وطرق الباب ثم وضع السمك وهم بالرحيل ولكنه لم يذهب بل رجع ثانيا وطرق الباب للمرة الثانية، ففتح منشاري الباب وظهر عليه أثر التعب الشديد ونظر الى أهيال وقال.

- اسمع أنا أستطيع التحدث، نلتقي بعد غدا، استعد للزفاف، هيا ارحل.

اخذ منشاري الأسماك بصعوبة، فكانت ثقيلة جدا ثم وضعها داخل المنزل وكان أهيال يحاول استراق النظر ليرى أي شيء من إيتا ولكنه لم يفلح في ذلك واغلق منشاري الباب بقوة فكأنما ضرب الباب في قلب

أهيال ولكنها سرعان ما ابتهج لوصول حبيبته ولكنها وصلت بطريقة لم تكن في خياله أبدا فهو منذ عام تقريبا يحلم بقدومها وفي كل مرة كان يرى وجهها الباسم ويرى قدومها وينشرح صدره، فلا تتم الأشياء دائما كما نشتهيها.

***

فرح أيال كثيرا لوصول إيتا فهو يحبها كثيرا ويتذكر لطفها معه عندما كان طفلا صغيرا ولكن شيئا غريبا حدث له فعندما علم بقدوم إيتا تذكر في نفس الوقت أولنا وجاءت في قلبه تلك اللذة التي يشعر بها عندما يراها مع أنه أنقطع عن رؤيتها منذ يوم العيد، ولم تقتصر سعادته على هذين الشيئين وفقط بل بالإضافة ذلك هو يعرف جيدا أنه سيذهب الى صيد الغزالة مع أبيه بعد غد وأخير سيعرف سر صيد الغزلان، ففي هذا اليوم اخذ أيال كلبه الأصفر وذهب أمام منزل عمه أهيال من ناحية النهر حيث لا يراه احد وظل يلعب مع الكلب ويمرح ويقفز أمام كلبه في الهواء وهو يركض أمامه ويقفز كذلك الكلب في سعادة، لعب أيال مع كلبه كما كان يلعب وهو صغير قبل أن يحاول تلك المحاولات الجادة في إقناع أبيه أنه صائدا ماهرا يصلح لتعلم صيد الغزلان.

الجميع على أهبة الاستعداد للزفاف فأعدت أم أهيال الكثير من حلوى الصنوبر وساعدتها سيانا ومايانا وجاءت أولنا لتشارك في هذه الاستعدادات السعيدة ولقد صنعت أم أهيال معطف خاص لابنها مصنوع من فرو الثعالب الناعم ويتميز بأنه غير مرقع فلقد اختارت الفراء كلها بألوان متقاربة حتى يظهر أهيال بشكل لائق في يوم زفافه.

***

كثرت الإشاعات في البلدة عن وصول منشاري وإيتا وتحدثوا عن ملبس إيتا وكيف أنها ترتدي ملابس منمقة هي الأخرى وبدأوا يصفونها كأميرة جاءت من مملكة بعيدة ولكن الشيء الذي استرعى أنتباههم حقا هي تلك السيدة والطفلان الصغرين، فيقولون أن السيدة ترتدي شيء غريب حقا ويشبهونها بالساحرات ولكن في حقيقة الأمر هي كانت ترتدي فستانا عاديا وتحمل طفلها الصغير وكان يظهر عليها علامات الإجهاد الشديد فرأت أنها تضع بعض مساحيق التجميل قبل دخول البلدة فظهرت لهم كساحرة وهي في الأصل زوجة منشاري كريستينا وهي روسية وهي ابنة صاحب محل الفراء والدباغة الذي يعمل فيه منشاري، فعند رحيل منشاري هو وأمه واخته حملوا معهم الكثير من الفراء خوفا من البرد والثلوج مع أنه كانوا في منتصف الصيف وعندما عبروا الجبل ساروا لمدة أسبوعين يمشون بالنهار وينامون في الليل وكان منشاري ينظر الى الجبل في الصباح ثم يدير ظهره ويقول سنمشي في هذا الاتجاه الى أن ظهرت عربة يجرها بعض الخيول ويجلس عليها رجل روسي ومعه بعض البضائع وكانت اغلب البضائع التي معه هي من الفراء فهو صاحب محل الدباغة ويجول دائما في البراري ويستبدل بعض البائع التي معه بالفراء، عندما نظر الرجل حينها لمنشاري وأهله ونظر الى الفراء الكثير الذي معهم وعرض عليه أن يشتريها منه ولكن منشاري لم يفهم كلمة مما يقول الرجل ففهم الرجل أنه لا يتكلم الروسية فقال له بضع كلمات غير منظمة من اللغة الياقوتية التي يتحدث بها منشاري فكان منشاري وأهله سعداء جدا لتحدث الرجل بهذه الكلمات مع أنها غير مفهومة لأنهم في حقيقة الأمر كانوا خائفين للغاية من هذا الرجل، لاحظ الرجل أن الفراء الذي يحمله منشاري عال الجودة وعلاوة على ذلك فهو مستخرج من الحيوانات بعناية شديدة فعلم أن من استخرجها محترف في هذه الحرفة فسأل منشاري من استخرج هذه الفراء فقال له منشاري أنه هو من استخرجها وأمه واخته يجيدون هذا الأمر جيدا، فكر الرجل في أخذهم معه الى بلدته وأن يعملوا معه على أن يأويهم ويعطيهم بعض الأجر.

أخذه الرجل وعمل منشاري معه وكذلك إيتا عملت معهم بعد فترة من الحزن على فراقها لحبيبها وتعلم منشاري وإيتا الكلمات الروسية ببطء

وأحبت كريستينا ابنة صاحبة المتجر منشاري وإيتا كثيرا لأنهم طيبين ولم يلوثوا بالبغضاء والخبث الذي ينتشر في عالم الحضر، ترعرعت كريستينا في ظل الغزو الفرنسي لروسيا فكانت في عمر السادسة عشر عندما رحل نابليون بجيشة مرغما من روسيا في عام 1812 م فكانت تمقت كل أنواع الحضارة والتحضر فلقد ترعرع الجيل السابق لها على أن فرنسا هي بلد الحضارة والجمال والتقدم ولابد لكل روسي أن يتعلم الفرنسية كنوع من الوجاهة والانتساب لهذا العالم المتحضر أيضا وهي نفسها قد تعلمت اللغة الفرنسية على يد معلمة فرنسية كانت تقطن في بلدتهم حتى في أثناء الحرب وعندما رأت كريستينا وسمعت عن الدمار الذي أحدثه الجيش الفرنسي في أوربا وفي روسيا كرهت كل شيء متمدن وعندما ظهر منشاري وهي في عمر الثامنة عشر انجذبت اليه كثيرا هو وأخته وأحبته وزوجها أبوها له بطلب منها فهو أيضا يحبه كثيرا فهو مجتهد في عمله جاد فيه ومحترف احتراف لا يصدق في استخراج الفراء، سأله ذات مرة كيف تتقن هذا الأمر بهذه الطريقة، أجابه لست أنا وحدي من يطقنه بل بلدتي كلها تتقنه، فأن لم نستخرج الفراء جيدا فسنموت من البرد.

حضرت كريستينا مع منشاري وإيتا الى هذا الجزء النائي من العالم الذي يقع على بعد قرون زمنية سابقة من المكان التي تسكن فيه ولكنه أحبت أن تكون مع إيتا رفيقتها في الأعوام الخمسة السابقة وأحبت من كل قلبها أن ترى هذا الجزء الخفي من العالم.

أنجبت كريستينا طفلين لمنشاري فكانا سلوة لهما ولإيتا بعدما ماتت أم منشاري بعد عامين من رحيلهما من البلدة فهي لم تتأقلم أبدا على العيش في روسيا وندمت على خروجها من البلدة وحزنت حزنا شديدا على ابنتها الوحيدة التي كانت تبكي طوال الليل لفراقها لحبيبها وغير ذلك كانت الأم حزينة جدا لفراقها منزلها وقبل أن تموت تمنت أنها لو كانت لم ترحل، تمنت لو أنها كانت عالجت امر إيتا وأهيال بشيء من العقل.

***

في اليوم التالي رجع أهيال من الصيد مسرعا وطلب من امه وسيانا أن يشويا قدر عشرون سمكة أخرى من الأسماك وأخذهم وذهب بهم الى بيت منشاري ووجد زوجة منشاري كريستينا تحمل صغيرها خارج المنزل وتنظر فيه وجهه وهو يحمل الأسماك وتبتسم له وتتكلم بكلمات لا يفهمها وكانت ودودة جدا فأبتسم لها ووجده تنظر الى كل شيء حولها بكثير من الإعجاب وتتحدث لطفلها كثيرا وتشير له على البحر البعيد الذي يرى القليل منه وهى في مكانه ثم تشير له ناحية الغابة فتعجب أهيال لأن تلك السيدة تتكلم بحماسة كبيرة مع طفل لا يفهم أي شيء وهو كذلك لا يفهم كلمة واحدة مما تقول وتجمع بعض أهل البلدة ليشاهدوا هذه المرأة الغريبة وكانوا يخافون الاقتراب منها ولكنها كانت تشير لهم بإشارات حب وود فاقترب منها الأطفال الصغار وظلوا ينظرون لها عن قرب وفي فضول شديد، بينما تقدم أهيال ثم طرق على الباب فخرج منشاري وكان من الظاهر أنه استيقظ حالا من النوم فنظر الى أهيال ثم نظر الى الأطفال المجتمعين ووجد زوجته في الوسط فغضب جدا وعلى صوته ببعض الكلمات المفهومة وأشار لزوجته خلالها أن تدخل داخل المنزل فوضع أهيال الطعام ورحل في صمت دون أن يرى إيتا لليوم الثاني على التوالي.

أصابها بعض الإحباط لأنه لم يرى إيتا ولكنه تذكر أن غدا هو يوم الزفاف فأنشرح صدره مجددا وذهب الى منزله مسرعا ليرى اذا كان من الممكن إضافة أي شيء أو إصلاح أي شيء، بدل بعض أماكن الطاولات ثم بدلها ثانيا وأزاح الفراء المفروش على الأرض بضع مليمترات الى اليمين ثم أخرى الى اليسار، كان أهيال في قمة حماسته وذهب الى امه وتفقد ملابسه التي سيرتديها غدا وعلم أن مايانا وأولنا ذهبا الى النهر ليجمعوا بعض الأزهار والورود لينقعوها في الماء لتكون ماء اغتساله غدا في يوم الزفاف، أحضرت مايانا وأولنا بعض الزهور العطرية والأعشاب ذات الرائحة الفواحة ونقعوها في أناء كبير من الماء ووضعوها في منزل الزوجية الجديد فعمت المنزل رائحة طيبة وجاءت امه وبخرت المنزل ببعض الأعشاب

العطرية ودارت في الغرف تنثر الدخان في أرجاء المنزل كلها وصنعت مايانا إكليلا من الزهور المتناسقة الألوان ووضعته على باب المنزل.

***

في المساء كان أيال يراقب كل هذه الحركات النشيطة وهو سعيد حقا فغدا هو اليوم الموعود الذي سيبلغ فيه هدفه، وكان ساهم ينظر في الأفق بعد عودته مع أبيه من الصيد ويفكر في اصطياد الغزالة ثم يسمع صوت أولنا في داخل المنزل فتطير جميع الأفكار من عقله ولا يبقى إلا صورتها وصوتها الرقيق، اقترب أبوه منه فأنتبه أيال ووقف مسرعا كأنه يخفي الأفكار التي كانت في رأسه، نظر اليه أبوه وقال في صوت منخفض.

- غدا سنخرج قبل شروق الشمس، نم مبكرا ولا تشغل رأسك بالكثير من الأشياء، إذا تأخرنا سنجد من يتبعنا وينتهي بنا الأمر بعدم صيد الغزالة.

أنتبه أيال لمثل هذه الكلمات وفهم من أبيه أن أهل البلدة جميعا يعرفون أنهم ذاهبون لصيد الغزالة غدا ومن الممكن أن يتبعهم أحد حتى يعرف سر صيد الغزلان، شعر أيال بالفخر أن أبوه يشارك معه تلك المعلومات وعرف أنه اقترب كثيرا من هدفه.

*****

صيد الغزالة

استيقظ أيال مبكرا وكانت الشمس لم تشرق بعد فسمع صوت في المطبخ فأندهش، وتسأل أن كانت امه مازلت مستيقظة فذهب ليتحقق من الأمر فوجد أن أبيه مستيقظ ويصنع بعض الطعام له ولابنه وقال له.

- اخرج وأطعم الكلاب.

تحرك أيال وهو يأخذ قطعة صغيرة من لحم الأرانب الطازج فقال له أبوه.

- أطعمهم كل واحد ثلاث قطع وليس قطعة.

نفذ أيال تعليمات أبيه وكان ينظر حول المنزل ويرى هل يوجد من يترقبهم من بعيد ولكنه لم يرى أحدا فالظلام كان يعم المكان وخرج أبوه خلفه وأشار له بأن عليهم الرحيل الآن، فمشي أيال خلف أبيه وكان ينظر بين الحين والأخر خلفه ليرى أن كان أحدا يتبعهم أم لا وعندما دخلوا الى الغابة كانت الغابة ساكنة جدا وأشار له أبوه أنهم سيدخلون الى داخل الغابة في العمق بسرعة ولم يكن هناك أي أثار للثلوج فقد أزالها دفي ء الصيف.

بعد المشي لمدة نصف ساعة توقف أيتال ونظر خلفه وظل ينصت جيدا ثم أشار لابنه أن يجلس وأشار له على شجرة على يساره، فجلسا سويا وجلست الكلاب من حولهم واخرج أيتال الطعام وبدءا يأكلان سويا، كانت هذه أول مرة يأكل فيها أيال مع أبيه وحدها وكان لها طابع خاص حيث أن أبوه هو من اعد الطعام ويأكلان وحدهما في قلب الغابة وأشرقت عليهم الشمس وأضاءت المكان قليلا حيث كان الضباب كثيفا في هذا الوقت من الصباح، كان أيتال ينظر مرارا لابنه نظرات تخفي حديث خلفها، لأول مرة يرى أيال كلام في عيني أبيه، كان دائما ما يرى

الفراغ، هو يفهم الآن أن أبيه يريد أن يتحدث معه فتوقع أن يكون حديثا مهما جدا، بعد عناء مع الكلمات الصامتة خرجت بعض الكلمات من جوف أيتال قائلا.

- اسمع يا بني، أنت رجل الآن، اعرف أنك تريد معرفة سر صيد الغزلان.

صمت أيتال قليلا ثم اطرق رأسه واخذ نفسا الى داخل صدره، سمعه أيال المتوتر والمتطلع لمعرفة هذا السر وشعر أن الكلمات تخرج من فم أبيه بمعاناة شديدة فقال لأبيه.

- ماذا يا أبي، تكلم يا أبي، أنت قولت قبل ذلك، أن الصائد لابد أن يكون رجل قويا.
- القوة ليست قوة البدن، القوة هي القوة التي بداخلك، هي مقاومة نفسك، لا اعرف بماذا أوضح. قال أيتال.

نظر أيال الى والده فوجده متوترا ومتردد قليلا فخشى أن يغير رأيه فقال مندفعا وهو ينظر الى أبوه في عينه.

- لا تقلق يا والدي، سأكون الرجل الذي تعنيه.

نظر أيتال الى ابنه ثم صمت فترة من الوقت وهو ينظر الى الجبل ثم قال.

- اسمع يا بني، هذا الأمر سر كبير احتفظ به جدك ثم أعطاني مسؤوليته وأنت الآن ستكون من بعدي، هل تدرك ما أقول.
- نعم يا أبي. قال أيال.

كان قلب أيال يخفق كان هناك خطر شديد سيحل به وصدره يعلو ويهبط بسرعة كبيرة.

- هذا السر لن تبوح به لا مخلوق أخر.

قال أيتال الكلمات كأنما يحذر ابنه من الموت، هز أيال رأسه بسرعة وقال.

- حسنا، أعاهدك ألا يعرف هذا السر أحد غيري.
- حسنا هيا بنا.

وقف أيتال ثم تحرك في اتجاه عمودي على اتجاههم السابق، أنه يتحرك تجاه الأشجار الكثيفة في شمال الغابة، هذه المنطقة التي يخشاها الجميع، مشى أيال خلف أبيه في صمت وجد ومشاعر مختلطة بين الفرح والخوف والحماسة وكان ينظر الى الأشجار المرتفعة الكثيفة ثم ينظر الى أبيه ويمشي خلفه وينتقي موضع قدم أبيه ويضع قدمه عليها وكان يمشي خلفه كلبه الأصفر.

مشيا الى الشمال حوالي ساعة، ذهبا بعيدا جدا، عبرا النهر على شجر كثيف ينمو بشكل أفقي ومتقارب ونظر أيال في الماء تحت رجله فخشي أن يسقط فيها وتردد كلبه الأصفر في المرور ثم تشجع عندما رأي صاحبه قد عبر نصف الطريق، أما كلبي أبوه فقد مرا بسرعة ولم يترددا أبدا فمن الظاهر أنهم معتادون على القدوم الى هذا المكان.

بعدما عبرا النهر أصبحت الأشجار أكثر كثافة واقترابا من ذي قبل لدرجة وبدأت تظهر أصناف أخرى من الأشجار ذات أوراق كبيرة وكثيفة ويظهر على الشجار الصغيرة منها أنها ماتت لعدم وصول الشمس لها كان المشهد مخيف فالشمس ساطعة ولكن بين الأشجار الظلام سائد فالأشجار المرتفعة ذات الأوراق الكثيفة تحجب كل النور، كان أيتال يمضي من خلال الأشجار وخلفه كلبيه ويمشي دون النظر الى الخلف ولكن أيال كان خائف فالظلام أصبح حالكا فقال بصوت مرتعد.

- أبي أنا لا أرى شيئا.
- لا تخف يا بني امضي خلفي.
- ماذا يحدث أن هجم علينا شيئا في هذا الظلام، لن نراه.

- لا يوجد أي شيئا هنا، وأن هجم علينا شيئا فلا تخشى الكلاب ستراه فهي ترى في الظلام.

أكمل أيال خلف أبوه ومشيا تقريبا ربع ساعة في هذا الظلام الدامس الى أن بدأ النور يهرب من بين أوراق الشجر وتختفي الأشجار ذات الأوراق الكبيرة وأرتاح قلب أيال عندما رأي نور الشمس.

توقف أيتال ثم أشار الى ابنه أن يترك كلبه مع الكلاب الأخرى وبعده مسك أيتال يد ابنه وتقدم به الى الأمام خطوات بسيطة شعر أيال حينها بنسيم عليل يخرج من خلف الأشجار التي أمامه وقال له أبوه.

- أنظر يا بني ولكن بحرص، أنظر أمامك.

نظرا أيال من خلف شجرة فوجد أمامه جمع كبير من الغزلان، عدد يفوق المئة وخمسون غزالة يلتفون حول بحيرة صغيرة ينساب اليها الماء من على منحدر الجبل ورأي طيور تجلس فوق ظهر الغزلان بسلام وبعض الطيور تشرب من البحيرة، منظر بديع، الماء صافي هادئ وصوت خرير الماء المنسدلة من منحدر الجبل يبعث على الراحة والأشجار من حول المكان جميلة خضراء وينبت بعضها زهور بلون وردي فاتح.

لم يصدق أيال ما رأي فنظر الى أبيه وقال.
- لا اصدق ما أرى يا أبي، هذا مكان بديع. - قال أيال بصوت منخفض ولكن تغلبه الحماسة ثم أكمل – هذا شيء لا يصدق.
- هذا هو السر يا بني، اعلم جيدا أن عرف هذا المكان غيرنا سيكون مآله الى الدمار.
- حسنا يا أبي، حسنا.
- والآن أنتظر هنا سأذهب لاصطياد غزالة راقبني جيدا.

دخل أيتال ببطيء شديد وهو منخفض الرأس تكاد تلمس رأسه الأرض، فتقريبا كان يزحف كسلحفاة بطيئة، ثم راقب الغزلان لفترة وأقترب ببطء

شديد وفجأة رفع رأسه وألقى بخنجره على غزالة بكل قوة فأخترق الخنجر الغزالة من أعلى كتفها وركضت كل الغزلان بسرعة كبيرة ولكن الغزالة المصابة لم تستطيع أن تركض جيدا فأسرع أيتال اليها وامسك بها واخرج الخنجر ودثه في رقبتها ففارقت الحياة على الفور.

كان أيال يراقب عملية الصيد من خلف الأشجار فيما نبحت الكلاب عندما ركضت الغزلان وأحدثت بعض الفوضى في المكان ولكن الغزلان ركضت مبتعدة الى الشمال فنظر أيال هناك فوجد الغزلان تبتعد الى الأفق بينما تجلس على الأشجار البعيدة في الشمال بعض النمور تنتظر اقتراب الغزلان منها وبعدها أنقضت ثلاثة نمور على غزالة صغيرة وامسكوها، بينما كان أيتال يقترب من ابنه وهو يحمل الغزالة وكان الدم ينهمر منها، وضع أيال الغزالة بين الأشجار فسأله أيال.

- لماذا تضعها هنا يا أبي.
- حتى يتوقف الدم، رائحة الدم تجذب الحيوانات المفترسة.

انتظروا بعض الوقت ثم حمل أيتال الغزالة ومضى بها داخل الممر المظلم بين الأشجار وبعدها عبر النهر على الأشجار الأفقية بسرعة كبيرة أسرع من مروره وهو لا يحمل شيئا في المرة السابقة ثم وضع الغزالة جانبا ليرتاح واجتمعت الكلاب من حوله بينما قال لأيال.

- ستحمل الغزالة بعد قليل والآن اقطع قطعا صغيرة من اللحم واعطها للكلاب.

بعد إطعام الكلاب نهض أيتال ورفع الغزالة على ظهر أيال، شعر أيال بثقل الغزالة على ظهره ولكنه لم يستطيع إظهار ذلك في بادئ الأمر لأبيه فلابد له أن يكون الرجل القوي الذي يتحدث عنه أبيه، مشى وهو ينصب ظهره قدر المستطاع ومشى بين الأشجار والكلاب من خلفه، تحامل على نفسه فترة وبدأ يظهر عليه التعب والإجهاد فأشار اليه أبيه أن

يرتاح قليلا، جلس أيال وهو ينظر الى الغزالة على الأرض ويسأل نفسه كيف يحمل أباه هذا الحمل وحده طوال الطريق الى البلدة.

***

في داخل البلدة كانت إيتا تستيقظ من النوم وعلى وجهها ابتسامة صافية جميلة، أذعنت هي في اليومين السابقين لقرار اخوها في عدم الخروج من المنزل وعدم الحديث مع أي احد في البلدة إلا بعد الزفاف، فكان طوال الرحلة في مزاج سيء وعصبية زائدة وكلما يخالف احد في الرأي يهدد بإلغاء الأمر كله فلم تجد إيتا إلا الموافقة التامة والطاعة العمياء لقرارات أخيها، كانت تود حقا أن تخرج من المنزل وترى أهيال حبيبها بعد فراق دام خمسة سنوات، تشتاق اليه كثيرا، في حقيقة الأمر هي تجلس الآن في المنزل وتفكر كثيرا وتجهد نفسها في كيفية معرفة أن كان ما يحدث الآن حلم أم حقيقة، كان من الصعب عليها أن تصدق أن منشاري سيوافق على إلحاح زوجته كريستينا الدائم ليأتي الى هذه البلدة ثانيا ويرى أن ما كان أهيال قد تزوج أم لا، كانت إيتا تبكي دائما ويقول لها منشاري أنت تبكي دون فائدة فلقد تركنا هذه البلدة ولكن نعود ولن نستطيع أن تعود أن قررنا العودة فلقد نجونا بأعجوبة وأنا على يقين أن هذا الخائن قد تزوج، كانت تبكي حينها وتنتحب وتقول أنها متأكدة من أنه سيظل وفيا لها طوال حياته ولن يتزوج وكانت تتحدث وهي نائمة وتقول لن يتزوج وسيبني بيتنا على النهر.

ألحت كريستينا عليه كثيرا وقالت له اذهب واستكشف أن كان قد تزوج فسينتهي حزنها وأن لم يتزوج فلتتزوجها له وينتهي حزنها أيضا. غضب منشاري وثار عندما سمع هذا الحديث أول مرة ولكن كل شيء يلين تحت وقع إصرار زوجة جميلة، كانت إيتا على يقين أن أهيال لن يتزوج ولكنها وحتى بعد رحيل منشاري لم تصدق أنه سيأتي الى البلدة وبعد عودته فرحت كثيرا لعلمها أن حبيبها منتظرها وقال لها منشاري أنه مجنون مثلك ويبني بيت على النهر كما تخرفين أثناء نومك منذ أربعة أعوام. كادت إيتا أن تطير فرحا لسماعها تلك الأخبار فحبيبها وفي، أنه لشعور

جميل أن تصدق توقعاتك الجميلة في الناس، فرحت إيتا كثيرا وكانت ترقص وهي تحمل أطفال منشاري ثم ترقص مع كريستينا وتقبلها كثيرا وكانت كريستينا هي الأخرى في غاية السعادة وقررت الذهاب معهم لحضور زفاف صديقتها الوفية إيتا.

إيتا تجلس قرفصاء في المنزل جاذبة قدمها اليها بكلتا يديها وتفكر هل حدث كل هذا بالفعل، هل سأرى أهيال اليوم وأكون زوجته فعلا، أيقظت كريستينا وقالت لها.

- الشمس طلعت يا عزيزتي.
- الشمس لم تغرب إلا بضع ساعات يا إيتا. قال كريستينا بصوت كسول.
- هل اطلب منك طلب يا كريستينا. قال إيتا.
- ماذا يا رفيقتي العزيزية تفضلي، اطلبي ما تشائين.
- هل نحن في حلم؟ هل أنا احلم.
- يا عزيزتي لو كنا في حلم لكنت أنا أنام على سرير من ريش النعام ولكانت الغرفة مطلية بألوان زاهية غير لون الخشب الباهت هذا، أنت سعيدة الى حد لا تصدقيه هذا كل ما في الأمر، أنا كان حلم كنت ستكونين جالسة الآن مع أهيال وليس معي وتكون جلستكم فوق سطح القمر.
- أكاد لا اصدق نفسي أني جئت الى هنا مجددا وأني سأتزوج أهيال اليوم، الحياة تضحك مجددا يا كريستينا.
- أنتبهي يا صغيرتي سيتيقظ منشاري ويهددك بالرحيل، لم يبقى من الوقت إلا القليل وتكوني في بيت زوجك.

نظرت إيتا في وجه كريستينا الأبيض الطويل وأنفها النحيلة بخلاف أنفها العريضة كباقي أهل البلدة، نظرت لها بكل ود وحنأن ثم أمسك بيدها النحيلة وقالت.

- أنت أختي التي طالما حلمت بها وأنا صغيرة يا كريستينا فلولا أنت لم يقتنع منشاري ابد ولم نكن هنا الآن، أنا حقا مدينة لك طوال حياتي.

قالت إيتا تلك الكلمات لكريستينا ثم احتضنتها بشدة ودمعت عينيها وقالت بعد بعض التنهيدات.

- شكرا يا كريستينا، شكرا يا أختي العزيزة.

***

وصل أيتال الى البلدة وهو يحمل الغزالة ومن خلف ابنه أيال المنهك من حمل الغزالة عدة مرات في قلب الغابة فأكمل أبوه الطريق وهو يحملها، عندما رأه بعض هل البلدة ابتهجوا كثيرا وتهللت وجوههم وحيوا صائد الغزلان وابنه على هذا الصيد الثمين وشعر أيال بالفخر الشديد وتمنى أنه لو كان يحمل تلك الغزالة في مدخل البلدة وقال في نفسه أنه في يوم ما سيحملها فهو الآن يعرف سر الغزلان الذي لابد سيصطاد منها وحيدا في يوم من الأيام.

كان من بين الجمع الذي رأي أيتال وابنه الرجل ذو الندبة المولع كغيره بمعرفه سر صيد الغزلان فقال.

- أين وجدتموها يا أيتال، حسنا اعرف أنك لا تتكلم، أخبرني أنت إذن يا أيال أيها الصائد الجديد، أين حالفكم الحظ لوجود هذه الغزالة.

نظر اليه أيال في بلاهة ثم رحل خلف أبوه بينما لحق به هينوا وقال له.

- أحسنت صنعا يا صديقي، أنا فخور جدا بك، لا تنس اتفاقنا أنا أريد أن أتعلم الصيد منك أنت، أنا لا اطمع في معرفة سر صيد الغزلان، طبعا هذا ليس من حقي، أنا فقط أريد أن أتعلم منك كل شيء عن الصيد إلا صيد الغزلان، يا له من شعور عظيم أن تشارك في اصطياد الغزالة يا رجل.

رحل أيال مسرعا خلف أبيه وهو يشعر بالزهو ولكنه ارتاب قليلا من تطلع الناس للسر الذي يحويه الآن في صدره، بالأمس كان مثلهم يسأل

ويتعجب من أين تأتي تلك الغزلان وكيف يصطادها أبيه ولكنه الآن يعرف جيدا أن هيا ويعرف جيدا كيف يصطادها، أصابته بعض الرهبة والقلق عندما فكر في هذا الأمر ولكنه تجاوز هذه الحالة عندما رأي امه خارج المنزل منتظر عودة ابنها الذي اصبح رجلا كبيرا يصطاد الغزلان، تقف امه أمام المنزل ومن خلفها مايانا وهما في غاية الفرح والسرور كادت امه أن تطير من على الأرض لتحمل هذه الغزالة وتقول للناس أن ابني اصبح صائد للغزلان، هذا الشبل من ذاك الأسد. كان أيال يرى كل هذه السعادة على وجه امه ولا يكاد يصدق أن ذلك اليوم الذي أنتظره منذ سنوات قد جاء، فهو صبر كثيرا حتى يستطيع تعلم هذا الأمر وها هو يحصد نتيجة صبره فالكل ينظر اليه الآن كرجل له قيمة كبيرة في البلدة، فكان يدور في عقله أنه اهم رجل في العالم بعد أبيه ولا يكاد يصدق أن أحدا حتى ولو يعيش فيما وراء الهلاك خلف الجبل يستطيع أن يكون صائدا للغزلان.

أندفع أهيال خارج المنزل في سعادة وحماسة شديدة.

- شكرا يا أخي، شكرا لك، لن أنسى لك أبدا كل هذا، شكرا يا أيال.

احتضن أهيال ابن أخيه وقال.

- أنا فخور جدا بك يا رجل، أنت الآن صائد الغزلان بعد أبيك وسيعلم أولادي أن أيال قد ساعد في صيد غزالة الزفاف الخاصة بأبيهم ومن يدري فمن الممكن أن تختار واحدا منهم ليكون خليفة لك.

كان يوما مليء بالفخر والزهو لأيال وليكمل هذا اليوم كبطل اخرج خنجره وبدأ في سلخ الغزالة وساعده في ذلك عمه كاسكال وانتهوا منها بسرعة كبيرة فكان أيال يبدي همه عالية بعد تلك الشحنة الكبيرة من الحماسة فهو يشعر أنه الرجل الجديد الرجل القادم، سيصارع النمور من اجل القرية ويطرد الدببة دفاعا عن أهلها ولم لا فقد شارك في اصطياد دبة منذ أسابيع وهو اليوم يصطاد غزالة مع أبيه، وزاد هذا الإحساس في عقل

أيال وقلبه وامتلئ صدره بالزهو أكثر عندما جاء جده وضرب على كتفه والابتسامة ترتسم على وجهه مع بعض الماء الخفيف في عينه الذي يجعلها تلمع وقال له "الآن أصبحت رجلا كبيرا يا أيال"، هنا تغير كل شيء، لقد تغير صوته اصبح اكثر غلظة وأنتصب ظهره وأصبح يمشي كالطاووس بكتفيه العريضين، يعلم أن الجميع ينظرون له ولكنه يدعهم ينظرون وهو لا يعبأ بهم بل من المفترض أن ينظرون ويتأملون كما ينظر الناس الى ريش الطاووس المفرود، أنه شيء فطري طبيعي أن يأخذ الناس بجمال هذا الريش وألوانه الزاهية وكان أيال يعلم حينها أن جميع من حوله ينظرون اليه بأعجاب شديد أيضا ولكنه لا يهتم فكان يفكر أنهم من المفترض أنهم يتأملون البطل الجديد الصائد الماهر ذو الهمة العالية والنشاط المتقد والقدرة الغير عادية حتى أولنا نفسها يجب عليها أن تتأمل هذا البطل الهمام وتتمنى أن تكون بقربه فكل فتيات البلدة يتمنونه زوجا الآن.

مرت أولنا ذاهبة الى صديقتها مايانا استعدادا للزفاف فرأت أيال ينزع الفرو من الغزالة فنظرت اليه بكل حب وود وتمنت قرب الوصال بينهما ولكنه لم ينظر اليها، لم تتأكد أن كان لاحظ وجودها أم لا ولكنها نظرت اليه اكثر من مرة فأدركت انشغاله الشديد وجديته فيما يصنع وقد علمت أن هذا الفرو سيكون هدية لإيتا لتصنع منه معطف كبير يدفئها في ابرد ليالي الشتاء الطويلة، فزوجات هذا البيت هم من لهم تلك الميزة في القرية وفقط كل واحدة منهم تملك معطفا مصنوع من فرو غزالة الرنة وهو افضل أنواع الفرو وأولنا تتمنى أن تكون واحدة من هؤلاء النسوة لا طمعا في الفرو وإنما حبا في أيال.

عندما دخلت أولنا المنزل كان أهيال يستعد للخروج كي يذهب ليغتسل في منزله الجديد في الماء المنقوع فيه الورد العطري ذو الرائحة الذكية، اغتسل أهيال على عجل وارتدى الملابس التي صنعتها امه له خصيصا لهذا اليوم وخرج من المنزل وكان أيال يجد في إشعال النار لبداية عملية شواء الغزالة وكان أهيال في سعادة لا توصف فقد أخذه أبوه من يده واصطف من خلفه الرجال المتجمعين أمام المنزل ومعهم إخوته ثم هموا

بالتحرك تجاه منزل منشاري وهم ينشدون الأناشيد والأصوات تعلو في البلدة ممتزجة بدخان ورائحة شواء لحم الغزالة فكان الجميع يغني وينشد في حماسة كبيرة وعندما وصلوا بيت العروس خرج منشاري وعلى يمينه إيتا الجميلة وأندهش الناس من جمالها فهي أصبحت الآن أنثى بكل ما تحمل الكلمة من معنى، عندما رحلت كانت فتاة على مشارف الأنوثة أما الآن فهي امرأة ناضجة بقوام كامل وخدود متوردة وجسد ممتلئ بعض الشيء وغير هذا وذاك وكل مفاتن المرأة الجسدية الظاهرة فأن هناك عامل أخر زاد بهائها وجمالها، أنه الفرح والسعادة، سعادة عام كامل سعادة الانتظار المفرح، انتظار أمر شيء كان احتمال حدوثة هو المستحيل نفسه، الفرح والسعادة تجعل البشر يقبلون على الحياة فتتحسن حالتهم النفسية ويظهر ذلك بعد ذلك على الجسد نفسه، فهي عندما عرفت أن أهيال لم يتزوج وعرفت أنها ستذهب للزواج منه أقبلت على الحياة وأصبحت نشيطة اكثر وأصبحت مقبلة على إطعام بشهية مفتوحه بلا إطالة وإسهاب السعادة والفرح تحول الهرم الى شباب وتزيد الشباب جمالا.

وقف أهيال أمام إيتا بعدما تقدم ثلاث خطوات الى الأمام وكأنما يخطو تلك الخطوات الى عالم أخر، عالم لامعقول من الجمال والحب الخالص لم يكن يرى أي شيء في هذا العالم إلا إيتا وعينيها التي تسيل منها الدموع وابتسامتها المشتاقة اليه، لم يرى في هذه اللحظات إلا عينيها وفقط لا شيء أخر لم يرى وجنتيها الممتلئتين المتوردتين ولا شفتيها الساحرتين وبالطبع لم يرى ضفائرها الجميلة التي فقدت بعض منها شعرها في الأربع السنوات العجاف، كان عالمه في حدود عينيها وفقط وعندما ادرك دموعها هم باحتضانها لولا ادراك منشاري أن هذا الرجل لا بد وأنه سكران، نعم لم تعرف تلك البلدة الخمر ولكن أهيال كان سكران بحلاوة الحب وجماله.

امسك أهيال منشاري من يده وضغط عليها حتى يفيق وجذبه بلطف الى يساره ثم مشى الى الأمام ومن خلفه الناس وهم ينشدون أناشيد الفرح والسعادة مستبشرين بلحم شهي وعندما وصولوا الى المنزل اخذ أهيال

إيتا من يدها ودخلا المنزل الجديد لم تكن الشمس قد غربت ولكن أهيال اشعل المصابيح من مصباح أخر قد أحضرته مايانا اليوم وقرب احدهم الى وجه إيتا والصمت يعم المكان ولا يسمع في المنزل إلا همهمات الجمع في الخارج، نظر أهيال الى وجه إيتا على ضوء المصباح وظلا صامتين لدقائق والسعادة تسيطر عليهم والدموع تنهمر من عينيهما وبعد فترة من النظر الى وجه إيتا وضع أهيال المصباح على الأرض وجلس بجواره فجلست إيتا بدورها وهي تنظر اليه بدهشة ولا تعلم ماذا تفعل فهو ينظر اليها تارة ثم ينظر الى المصباح تارة أخرى واستمر هذا الأمر لفترة، قلقت إيتا بعض الشيء وأصابها بعض الخوف أن يكون حبيبها قد أصابه الجنون كما يقول أخيها وأصيبت بكثير من الإحباط حينما امتدت هذه الحالة لدقائق، ابعد خمسة سنوات ترجع لتجد حبيبها قد أصابه الجنون، لقد ضاعت حياتها هكذا كانت تفكر ثم تشكك في الأمر الى أن صنع أهيال أمرا كادت تخرج من المنزل هاربة منه فقد وجدته ينظر الى نار المصباح كالطفل الصغير حينما يفتن بشعلة النار وتسيطر على عقله بل كان ينظر الى النار كالمجنون ثم وجدته يضع إصبعه على النار وهو ينظر في وجهها بعدما تراجعت بعض الشيء أمامه وعيناه مفتوحتين جدا ثم قفز من مكان وقال فجأة.

- الحمد لله أنه ليس حلما.

وقفت إيتا واحتضنت أهيال وقالت.

- أنه ليس حلما يا حبيبي، أنه ليس حلما، أنا احبك كثيرا.
- احبك أكثر من نفسي، لقد كدت أموت حزنا.

وضعت إيتا يدها على فمه وقالت.

- لا مجال للحديث عن الحزن، من الآن فصاعدا سيكون حديثنا عن السعادة، لابد أن ننسى الماضي ونحيا سعادة الحاضر.

*****

الفخ.

بعد أسبوع من الزفاف شعر أيال أن عليه الانفصال عن أبيه والبدء في الصيد مستقلا وهو ما اسعد أبيه كثيرا فعندما تحدث أيال الى والده في هذا الأمر ابتسم أبوه وقال له "لقد أصبحت رجلا الآن" وبدأ أيال في التحضير لنصب المصائد في الغابة فقد اختار الأماكن التي عليه نصب مصائده فيها واحضر فروع الأشجار التي يحتاجها وفكر في أنه سيبدأ في

نصب المصائد واحدة تلو الأخرى ولا ينصبهم جميعا على التوالي حتى يستطيع صيد أي فريسة بسرعة وإثبات أنه فعلا صائدا ماهرا.

في اليوم الأول اخذ أيال كلبه الأصفر وذهب الى داخل الغابة في اتجاه مخالف لإتجاه أبيه واجتهد أيال في نصب مصيدتين مع أنه توقع أن يستطيع أن ينصب خمسة مصائد فهو يريد أن يعادل رقم أبيه في عدد المصائد فهو يملك خمسة عشرة مصيدة، ولكن الأمر ليس بهذه السهولة فتثبيت المصيدة يأخذ الكثير من الوقت والجهد فتهيئة المكان وحدها تأخذ ساعة أو ساعتين وغير ذلك كان يجد صعوبة في موازنة الفرع العلوي من المصيدة على القطة الخشبية الصغيرة التي تحفظ توازن المصيدة ويكون بها الطعم بحيث اذا جاء الحيوان ليأكل الطعم يختل توزان الفرع العلوي من المصيدة ويسقط على الفريسة فيعلق داخل المصيدة، أنهى أيال المصيدتين بعد جهد طويل ولكنه تذكر أنه لم يحضر أي طعم مع ليضعه في المصيدتين فلم يضع أي شيء يجذب الحيوانات الي المصيدة فأعترف بينه وبين نفسه أن ذلك كان خطأ ساذجا من صائد ماهر مثله وأنه سيحضر جيدا في اليوم التالي.

في اليوم التالي جاء أيال بقطع من لحم الأرانب أخذها من صيد أبيه ووضع في الصباح طعمين في المصيدتين ثم ذهب بعيدا لينصب مصائد أخرى ونصبها بعد عمل يوم كامل ووضع فيها قطع لحم ثم عاد أخر اليوم الى المصيدتين وكان متلهف أن يبدأ الكلب الأصفر في النباح عند الاقتراب من موقع المصيدة علامة على اصطياد أي فريسه ولكن ذلك لم يحدث فابتسم وقال في نفسه أنه لم يتركها إلا ساعات قليلا ولكنها حتما سيكون فيها فريسة في الصباح.

كان أيال منعزلا في تلك الأيام، كان قلقلا، لا يضع أي احتمال أن يظهر بمظهر الصائد الفاشل، لا بد له أن ينجح وأن يكون صائدا ماهرا مثل أبيه لابد أن يرجع قريبا بصيد كبير تراه كل البلدة وهو يحمله على ظهره، كيف له أن لا ينجح وهو صائد ماهر للغزلان ومصارع الدببة المغوار، كيف ذلك، هذا غير ممكن، غاص أيال في فكره عن عدم احتمال الفشل ولم

يفكر في أي شيء غير أنه لا بد أن يظهر لجميع الناس أنه صائد مقتدر يستطيع فعل أي شيء، يستطيع أن يفعل ما لا يفعله الأخرون، فهو يتذكر جيدا تلك النظرة التي كان ينظر بها الناس اليه، لا ينسى ذلك الشعور بالفخر الذي استولى عليه بعد اصطياد الغزالة ولا يريد أن يفرط فيه أبدا مهما كلفه الأمر.

في اليوم الثالث ذهب أيال الى أول مصيدة ووجد الطعم قد أوكل ولم تصطاد المصيدة أي فريسة ولم تسقط فعرف أن القطعة الخشبية المسؤولة عن التوازن سميكة أكثر مما ينبغي فعمل على إصلاحها ولكنه كان عصبيا جدا فكسرها قبل أن يصلحها مما كلفه بعض الوقت ثم ترك تلك المصيدة دون إصلاح وذهب للثانية فوجدها خالية والثالثة كذلك بل وجد طعم المصيدة الرابعة لم يمس فغضب غضبا شديدا وترك المصائد وعاد الى المنزل.

***

مكث منشاري وأسرته أسبوعين كاملين في البلدة بالرغم من طلب كريستينا المتكرر من منشاري أن يطيلوا فترة بقائهم في هذا المكان الساحر الذي يشكل لها قطعة من الخيال، الطبيعة في هذا المكان بكر، لم يلوثها احد، ولكن لم يكن هذا الذي يجذبها كثير بل الناس وطيبتهم وطباعهم الحسنة هي ما كانت تأثرها بجانب وجود صديقتها الحبيبة إيتا في هذا المكان ولكن في نهاية الأمر اصر منشاري أن يرحلوا بعدما تزود بكثير من الطعام وكثير من العزيمة والإصرار على الرحيل من هذا المكان المجهول والذهاب الى بيتهم المجهز في الجزء المتحضر من العالم، كانت هذه الرحلة شبه مستحيلة خاصة وأن هناك أولاد يرافقونهم ولكن منشاري قد اتفق مع والد كريستينا أن يأتي ليقللهم من نفس المكان الذي وجدهم فيه من قبل بعد شهرين وعشرة أيام من رحيلهم قد خلى من هذه الفترة خمسة وأربعون يوما بالتمام والكمال وأمامه أسبوعين للوصول الى نقطة الالتقاء، فلا مجال للتأخير حيث أنه أن تأخر سيحل الشتاء ويكون مستحيل أن يخرجا خارج حدود هذه البلدة لعام أخر.

قبل الرحيل كانت كريستينا تزور صديقتها كل يوم تقريبا ولكن منشاري لم يذهب قط لزيارة أخته ولكنه قبل الرحيل بيوم وجد أهيال يدق بابه ويقول له اطلب صداقتك ثانيا يا أخي وكانت على وجه أهيال ابتسامة حزينة مختلطة برجاء قديم، تردد منشاري قليلا في السلام عليه ولكنه في أخر الأمر فتح ذراعيه واحتضنه وقال له فلننس ما مضى أنت أخي وزوج أختي ولندع الماضي يذهب بعيدا ولعل هذا الخلاف كان سببا لي في رؤية العالم خلف الجبل. فرح أهيال كثيرا بهذا ولكن أكثر ما فرح به هو قول منشاري أثناء حديثهما "أعلم يا صديقي، أني لم أجد صديق أوفي منك، أنت صديقي الوحيد، لن أوصيك على إيتا، فأنا اعلم جيدا أنك ستصونها".

عند رحيل منشاري وأسرته ودعتهم إيتا وأهيال وكل أهل بيته كما خرج الكثير من أهل البلدة يلوحون بأيديهم وعلى وجوههم بسمات حزينة، وتسألت إيتا هل ستراهم ثانيا أم لا مع أن كريستينا وعدتها أن ستأتي الى زيارتها كل ثلاثة أعوام ولكنها غير متأكدة من هذا الأمر فالطريق طويل وصعب وفي حقيقة الأمر من السهل جدا أن يموت المرء فيه ولكنها لا تفقد الأمل أبدا، حتما ستراهم وهي تعرف الطريق جيدا حفظته وهي خارجة من البلدة منذ خمسة أعوام وحفظته وهي قادمة فطريق الأحبة لا يُنسى أبدا.
أما من نسى فهو أيال نسى كل شيء عدا الصيد وليس الصيد في ذاته وإنما إثبات أنه الصائد الماهر والحفاظ على صورة الرجل القوي الشجاع الذي لا يوجد مثله فهو خليفة لأبيه، فقد مرت أولنا عدة مرت من أمامه ذهابا وإيابا تزور أخته وتنظر إليه ولكنه في شغل عنها بل هي عرفت جيدا أنه يتجاهلها لا يريد أن ينتبها اليها ولا تفهم السبب، لا تفهم أين ذهبت تلك البسمة وذاك التطلع الذي في العيون وتلك اللهفة التي كانت تنتشر رائحتها في الأجواء حين كان يراها فهي تزعم أنها كانت تشم تلك الرائحة أما الآن فهي لا تشم أي شيء ولا تشعر منه إلا بالتجاهل مع سبق الإصرار والترصد وهذه جريمة شنيعة يعاقب عليها قانون الحب كثيراً، فالتجاهل هو اقرب طريق لإعدام الحب وقطع أوصار الود.

مر أسبوعين ولم يصطاد أيال أي فريسة بدأت تعج تصرفاته بالعصبية الزائدة والحساسية المفرطة فأن سألته امه عن يومه في الغابة رد بعصبية وأن جاء قال له جده أن الصيد يحتاج الى الصبر وأن أفضل الصيادين كانوا في البدء يرجعون من الغابة خالين الوفاض ترك المنزل ورحل في غضب تجاه البحر وفي يوم جاءه صديقه هينوا وقال.

- متى ستعلمني الصيد يا صديقي أنا متطلع جدا لهذا الأمر.

نظر اليه أيال في غير اهتمام وقال.

- عما قريب.
- حسنا سأكون في انتظارك، هل صحيح أنك لم تصطاد أي شيء منذ أن تركت والدك وأصبحت مستقلا في الصيد، لا اصدق هذا فمن اصطاد الغزالة لابد له وأن يصطاد الثعالب والأرانب، أنه امر هين، أنا اعلم.....
- أنا مازلت احضر مصائدي، لقد نصبت أربعة عشرة مصيدة وسأقوم بوضع الطعم حينما أكون مستعدا لذلك كل شيء له وقته لا بد أن تعلم هذا جيدا ثم أنني لست في مزاج جيد الآن أرجوك ابتعد عني أو أنك تلزم الصمت.

رحل أيال عن صديقه في هذا الوقت وبدأ الأمر في التأزم أكثر وعندما تحدثت امه بلطف وقالت.

- ما بك يا صغيري.
- لم اعد صغيرا يا أماه، أنا رجل، لا تناديني بمثل ذلك.
- حسنا يا ولدي، أنا اعلم سبب غضبك، أنت غاضب لأنك لم تصطاد شيئا منذ أن تركت أبيك، لا تخش شيئا يا بني ستصطاد أنت صائدا ماهرا.

استشاط أيال وغضب غضبا شديدا ثم وقف منتفضا وقال.

- أنا لا احتاج الى أحد ليثبت لي هذا الكلام، اتركوني جميعا وشأني، أنا صائدا ماهرا لا أحد يستطيع أن يسبقني في الصيد.

خرج أيال غاضبا من المنزل وخرجت امه خلفه ولكنه اتجه مندفعا تجاه الغابة وتبعه كلبه الأصفر واختفيا بين الأشجار.

قلقت امه كثيرا مضت ستة ساعات ولم يعود ابنها وكان في قمة غضبة وعزمت على أنها لن تتحدث في أي امر من أمور الصيد أبدا وبدأت تتحدث لأبيه وتحثه أن يذهب الى داخل الغابة ليبحث عنه ولكنه قال لها أنه اصبح رجلا كبيرا ولا داعي للقلق عليه وظلت امه جالسة أمام المنزل تنظر الى الغابة وترقب خروج ابنها الوحيد من بين الأشجار ومرت نصف ساعة بعد الساعات الستة مرت كأنها أربعة ساعات أخرى قاربت الشمس على المغيب حيث يستمر النهار في هذا الوقت من السنة لمدة تسعة عشر ساعة، ازدادت الأم قلقا وجلست مايانا بجوارها تواسيها ولكنها لمحت ابنها يخرج من الغابة أنه يخرج ويحمل فوق ظهره غزالة، فرحت الأم فرحا شديدا وقالت.

- لقد جاء ابنك يا أيتال.

ركضت الأم تجاه ابنها لتساعده في حمل الغزالة الثقيلة، لم تكن بنفس حجم الغزالة التي اصطادها أبوه يوم زفاف عمه أهيال بل كانت اصغر، عندما اقترب الأم من ابنها أنتصب ظهر ابنها بحركة سريعة وعندما رفعت الأم يدها لتحمل مع ابنها دفع أيال يد امه ونظر لها نظرة جافة جدا لا تحوي أي عاطفة طيبة ثم رحل عنها وذهب الى المنزل ثم القى بالغزالة أمام الباب وخرج بعض أهل البلدة متهللين بحلم شهي على العشاء وهم يقولون "أنظروا أنه أيال الصائد الماهر، أنظروا الى تلك الغزالة الجميلة" شعر أيال ببعض من الزهو ولكن في داخله يعلم أنه ارتكب شيئا فظيعا وثبت هذا الأمر عندما خرج أبوه ونظر الى الغزالة الملقاة على الأرض وغضب غضبا شديدا وأمسك ابنه من كتفه وأخذه الى داخل المنزل ثم دفعه الى الحائط وقال له.

- ماذا فعلت أيها المعتوه.
- لم افعل شيئا، لقد أصدت غزالة، هذا كل شيء.
- أتحسب أن هذا يصنع منك رجلا كبيرا، أنت اثبت اليوم أنك طفلا صغير يندفع خلف رغباته ضعيف أمام ما يشتهي، أذهب لا أريد أن أراك ثانيا.

خرج أيال مندفعا من المنزل، نادت عليه امه ولكنه لم يجيبها ولم يعرف أين يذهب ولكنه اتجه الى الغابة، لم يذهب كلبه خلفه هذه المرة، أندفع تجاه الغابة بسرعة، كان غاضبا من أبيه الذي وبخه ومن امه التي لازالت تعامله كفتى صغير، غاضبا من مصائده التي لم تصطاد أي فريسة حتى الآن مما أصابته بخيبة الأمل الكبيرة، فدخل الغابة مخلفا كل هذه الهموم وحينها سمع الجميع صوت فرقعة مدوية داخل الغابة ذعر على اثرها كل الطيور التي على الأشجار فانتفضت وطارت بعيدا وارتعد كل سكان البلدة وخشوا على أنفسهم وحسبوا أن جزءا من الجبل قد سقط.

جمعت النساء أولادهم الذين كانوا قد تجمعوا أمام الغزالة الجديدة وذهبوا الى داخل بيوتهم وتعجب الرجال من هذا الصوت المدوي، هذا الصوت الذي ترك أثرا مخيفا في داخل نفوس كل من في البلدة، وقف الرجال ينظرون الى الجبل فوجدوه ساكنا مكانه ولم يحدث له أي شيء، اقترب بعض الرجل بحذر من الغابة وحينها سمعوا الصوت المدوي يعلو مجددا فهرع كل الرجال الى منازلهم ولكن أيال لم يخاف هذا الصوت، هذا الصوت جذبه اليه ركض ناحيته، شعر أنه يوجد شيء بداخله يدفعه اليه، من الممكن أن يكون قد ضاق ذرعا بأبيه وبأهله ولذلك يرض ناحية الخطر، أو أنه أصابه شعور بالفضول الشديد باكتشاف ما لم يكتشفه أبوه نفسه فيكون هذا سرا جديدا لا يعلمه إلا هو ولا يخبر به احد شعر أن عليه أن يسبق الأخرين الى مصدر هذا الصوت وعندما سمع الصوت للمرة الثانية توقف قليلا ثم اسرع اليه ثانيا، عندما اقترب جدا سمع صوت بعض الرجال يتحدثون ولكن بلغة لا يفهمها، أنهم رجال من خلف الجبل رجالا من عالم الهلاك، فكر قليلا هل يرجع أم يتقدم الى الأمام

ولكن الفرصة لم تسنح له بالرجوع فلقد شعر به احدهم وقال كلمات كثيرة بصوت عال لا يفهمها أيال وكان الرجل غاضبا جدا ويمسك في يده قطعة حديدة طويلة بها عبارة عن ماسورة ويصوبها نحو أيال وهو يتحدث اليه، أيال لا يفهم تلك اللغة ولكنه كان خائف مرتعد من طريقة الرجل في الحديث ولماذا يصوب اليه تلك القطعة الحديدة لا بد وأنها مصدر الخطر.

تلك القطعة الحديدة كانت بندقية صوبها أحد الرجال الروس الواقفين أمام أيال وهم ثلاثة رجال الذي يحمل البندقية يدعى جوزيف ورجل أخر يفق على يمينه في مثل سن جوزيف تقريبا في حوالي الثلاثين من عمره ويدعى ألكسندر والأخر رجل كهل يقف في الخلف يدعى ديمتري.

كان أيال يشعر بالخوف ولا يعرف ماذا يفعل فقال عدة جمل عفوية بسرعة.

- أرجوك اتركني وشأني، لا أريد أي شيء فقط اتركني ارجع.

ظل أيال يردد تلك الكلمات الى أن تقدم ديمتري الى ألكسندر ووضع يده على البندقية واخفضها ثم قال له بالروسية " أنهم أناس لا خوف منهم" ثم توجه الى أيال وتكلم معه بلغته فقال له.
- لا تخش شيئا يا فتى، ما اسمك، وكيف تعيش هنا. قال ديمتري.
- اسمي أيال وأعيش هنا مع أهلي ولكن كيف تتكلم لغتي. قال أيال وقد خفت لهجة الخوف عنده.
- أنا مندهش كيف تعيش أنت واهلك هنا في الشمال أنت تتحدث لغة الياقوتين ولكنهم لا يعيشون هنا هم يعيشوا في شرق روسيا.
- لا اعرف شيئا مما تقول نحن هنا من قديم الأزل. قال أيال أكمل. كيف جئتم من خلف الجبل الى هنا.

لم يرد ديمتري ولكنه توجه الى ألكسندر وتكلم معه بضع كلمات بالروسية وكان ألكسندر عصبي للغاية ولكنه في نهاية الأمر هدأ قليلا مما اعطى

فرصة لأيال أن ينظر في الجوار ويجد أن أرنبا كبيرا قد أصيب بشدة فعلم على وجه اليقين أن تلك القطعة الحديدية التي في يد ألكسندر هي مصدر تلك الإصابة.

- هيا يا ألكسندر نريد أرنبا ثانيا حتى نأكل ولكن كن حريص فليس معنا الكثير من الرصاص. قال ديمتري.

بحثوا كثيرا عن أرنبا أخر ليصطادوه فلم يجدوا، لقد هربت كل الأرانب خوفا من هذا الصوت العالي وكان أيال يراقب هذا العالم المختلف كثيرا عن عالمه وفجأة ظهر أرنبا على بعد عشرين مترا فصوب اليه ألكسندر البندقية وضربه فأصبته الرصاصة في بطنه فاخترقتها صانعة بما يشابه الانفجار وتناثر الدم في الجوار، أندهش أيال من هذا الأمر وأعجب بتلك القطعة الحديدية كثيرا وأعجب بهؤلاء الرجال لابد وأنهم صائدون ماهرون حقا – هكذا كان يجول في فكر أيال- فهم يستطيعون أن يصطادوا أي شيء بهذه البندقية بل يصطادوا بكفاءة عالية، فكر أيال لو كان يملك مثل هذه البندقية لكان الرجل الأول في البلدة بلا منازع ولتفوق على أبيه ولم يضاهيه احد في الصيد، عقد العزم على المكوث مع هؤلاء الرجال والتعلم منهم فهو جلس مع أبيه يتعلم الصيد لسنوات وفي أخر الأمر عندما شرع في الصيد لم يستطيع صيد أي شيء صحيح أنه تعلم صيد الغزلان ولكن أبوه وبخه على استخدام هذا السر لإظهار نفسه كصائد ماهر فعزم على التعلم من هؤلاء المتطورين الذين جاؤوا من خلف الجبل فهو أن تعلم منهم الصيد بتلك البندقية فسيكون صائدا ماهرا جدا وسيكون بطل خارق في البلدة.

فكر أنه لا بد وأن يصنع شيئا يجذب به انتباه هؤلاء الرجال فاختفي فجأة عن نظرهم وركض الى مصائد أبيه وظل يبحث فيهم عن أرنبا أخر ليذهب به إليهم فهو يريد أن يمكث معهم، يريد أن يستحوذ على إعجابهم، بحث كثيرا حتى وجد أرنبا وأمسكه وركض إليهم ووجد ألكسندر يحاول سلخ الأرنبين، فنظر ألكسندر اليه وقال.

- أنظروا لقد أصبح الفتي البدائي ذو نفع.

جلس أيال واخرج خنجره وبدأ في سلخ الأرنب فسخله بسرعة كبيرة ثم توجه الى ألكسندر وأخذ منه الأرنبين الأخرين وكان على وجه أيال ابتسامة خفيفة حينها، أنها استخراج الفرو بسرعة وكفاءة عالية ثم ذهب لجمع بعض الحطب وأشعل نارا وبدأ يشوي الأرانب فقال ألكسندر.

- سيكون هذا الفتى خادم ماهر، أفكر في أخذه معي حين ننجو من هذا الأمر.

توجه ألكسندر الى ديمتري وقال.

- هل تعتقد أن مازالوا يبحثون عنا.
- لا اعتقد ذلك فنحن هاربون من ثلاثة أسابيع، ولولا أنك سرقت هذه البندقية من عسكري الحراسة لما تبعونا أصلا. قال ديمتري.
- الى أين سنذهب الآن. قال جوزيف.
- أنا أرى أن نمكث هنا بعض الأيام فهذا المكان من المستحيل أن يتبعنا اليه أحد فلا أحد يعرف أن خلف هذا الجبل الكبير بشر. قال ديمتري.
- حسنا نمكث هنا بعض الوقت ولكن أنتظر يا رجل نحن هربنا سويا منذ ثلاثة أسابيع ولا نعرف قصتك يا ديمتري، أنا اعرف أن جوزيف هذا الطبيب الصامت الهادئ قد قتل زوجته، لا أعرف كيف يقتل هذا الوجه الهادئ ولا أعرف يقتل طبيب فمن المفترض أن يحرص الأطباء على حياة الناس ولكن هذا ما تم وأنا أعذرك يا رجل فالزوجة الخائنة مصيرها الموت خاصة وأن كانت جميلة.
- توقف عن هذا الحديث يا ألكسندر والا لم تسلم العواقب. قال جوزيف بلهجة غاضبة جدا.
- الآن أراك غاضبا يا رجل، اعذرني أنا لا اقصد إهانتك يا جوزيف، أنا فقط أريد أن أتحدث مع هذا الرجل الغامض أريد أن اعرف عنك أكثر أيها العجوز ديمتري، نعم لقد هربنا سويا ولكن أنا لا أعرف عنك أي شيء.

- ماذا تريد أن تعرف، وماذا يهم في معرفتك بقصتي، كل ما يهم أننا كنا مسجونين وهربنا، لماذا تهتم بأي شيء بعد ذلك الم يكن ذلك ما كنت تحلم به طوال فترة سجنك. قال ديمتري.
- ولكن يا رجل فلنعرف على الأقل ما هي تهمتك، أعرف أن تعرف عني أنني كنت جندي في جيشنا العظيم في موسكو وقت أن هجم عليها الفرنسين وأعرف أنك تعرف أني قد أخذت بعض الأشياء الثمينة من بعض قصور الأمراء بعد هروبهم من المدينة اعرف ذلك، ولقد سجنت ظلما، فماذا يهم هؤلاء الأمراء لقد هربوا من المدينة وتركوا كل شيء هل هناك فرق بين أن يأخذها رجال نابليون وأخذها أنا الجندي الفقير الذي حارب ودافع عن البلاد لسنوات، هل تعرف ما حجم الكراسي في قصور الأمراء والأغنياء، ليتك رأيت ما رأيت كان أول مرة ادخل أماكن كهذه قصور كبيرة وصالات رقص لطالما رقصت فيها الفتيات الفاتنات على الحان الفالس الجميلة بينما أنا وزملائي نموت جوعا في حربنا للدفاع عن البلاد، كانت كراسي القصور مصنوعة من حرير ناعم يا رجل أتعرف الحرير أقول لك من الحرير الناعم ولا نجد نحن قطعة من القماش الخشن لندفئ بعض أجسادنا، نعم أنا سارق ولكن أنا كنت اسرق حقي.
- اسمع يا ألكسندر، أعلم أنك كنت جندي في الحرب الأخيرة وعانيت كثيرا كما عانى أغلب الجنود في هذه الحرب الطويلة، اعرف أن الطعام كان قليلا والمؤن كانت تنقطع كثيرا، أنا اشتركت في هذه الحرب متطوعا عندما اقتحم الفرنسيون موسكو ولكني اسمعني جيدا، معاناتك الشديدة لا تعطيك الحق في خرق القوانيين ومخالفة الأخلاق في حقيقة الأمر سوء حالك لا يبرر أن تكون سارقا، فما أخذت من القصور لم يكن ملك لك فبدلا من أن تحمى موسكو ذهبت لتسرقها، هذا ليس من النبل في شيء.
- اسمع يا ديميتري يا عزيزي، ما هي موسكو وما هي روما، هل هي الجدران والشوارع والقصور، لا بالطبع المدينة لا تكون مدينة بدون سكانها فأن فرغت مدينة من سكانها ستكون خرابة وليس مدينة، مدينة مهجورة أن جاز التعبير وموسكو حينها لم تكن موسكو ذات القداسة في قلوبنا أنها كانت كسيدة شريفة تركها أولادها ليغتصبها الغرباء، لم تكن موسكو التي نعرفها وأني لأقسم بأغلظ الأيمان أنها لم تكن موسكو، هل تعرف ماذا يحدث عندما تترك سيدة نبيلة للاغتصاب، أنها تتحول الى

شخص أخر بعد اغتصابها ومن الممكن أن تتحول للجنون هذا ما حدث لموسكو تركها كل متشدق بحبها وكل متنعم بترفها تركوها للفرنسيين بكل سهوله ينهبونها، تتذكر تلك القصور العالية التي كلما مررنا بجوارها نشعر بالرهبة والخوف أنها كانت خالية فارغة كنت اشعر أن القصور ذاتها تخاف الهدم وتشعر بنذالة من سكنوها ثم تركوها هاربين فليذهبوا جميعا للجحيم، لتعرف شيئا واحدا يا ديمتري أن كل تجربة في حياة الأنسان تعلمه شيئا جديدا وعلى مدار السنين في تلك الحرب اللعينة تعلمت أنك أن أردت شيئا في هذه الدنيا فعليك بالذهاب لأخذه بيدك وبالقوة كما سأخذ هذا البدائي ليكون خادما لي طوال حياتي واكفيه أكله وملبسه.

- ماذا تقول يا ألكسندر هل هذا يعقل تأخذ رجلا مسالما لتجعله عبدا لك، ماذا بك هل وصل بك الجنون لهذه الدرجة. قال ديمتري.

- كيف تقول هذا أيها المخبول. قال جوزيف ثم أكمل بعد صمت. الفتى يعد لنا الطعام ويتودد الينا وتأتي أنت بكل خسه لتقول ستأخذه عبدا لك.

- فلتقولا علي افظع ما يقال، أنا سارق وخائن وغير وطني واحقر من الفرنسيين أنفسهم لقد سمعت اكثر من هذا، الجميع مذنب وأنا اخترت أن أحيا في هذه الدنيا متصالح مع ذنوبي ولكني الآن لا ادعيها ذنوب أو عيب هذا أنا وهذا حقي في هذه الدنيا القصيرة سأعيش لأقصى حد فيها واستمتع بها كما لا تستمتعون أنتم، اعلم جيدا أنكم تريدون أن تذهبوا الى أوربا لتهربوا هناك أما أنا فسأحيا في قلب موسكو نعم في قلب موسكو فما هي قيمة المال أن لم تمتع به نفسك في قلب اهلك لا بين الغرباء، سأخذ هذا العبد وسأتفضل عليه ونذهب سويا وأجعله يشاهد المدينة بسحرها واجعله يشاهد القصور الجميلة ويشاهد الحسناوات، واشرب النبيذ وأنا أتمتع بجسدهم العاري وهو بجواري يخدمنا. أي خدمة أسديها لهذا البدائي سأشتري له حذاء ومعطف وأعلمه الروسية بل والفرنسية كذلك واعرضه على كل معارفي من الأغنياء، نعم أنا غني لقد دفنت الكثير من الذهب خارج موسكو قبل أن يلقوا القبض علي سأذهب واستخرج ذهبي وكنوزي وأغير اسمي وسيكون جوزيف ديمتري الثري المعروف وسأشتري سمعتي بهدايا كثيرة أوزعها على الأغنياء وبلاط القصر ولا تستبعدا أن أكون وزير في الدولة في المستقبل، الأموال تشتري كل شيء يا صديقي

التاجر القديم ديمتري الأموال تشتري الاسم والسمعة وتشتري المتعة والأصدقاء وتشتري حسناوات وفواكه من بلاد بعيدة بغير قصور موسكو العتيقة وكان من الممكن أن تشتري حريتك أنت يا ديمتري، نعم أنا اعرف قصتك جيدا أنت كنت تاجر كبير تعمل في تجارة الأصواف والجلود وكنت تشتري من هؤلاء القبائل المدعوين بالياقوتين ولذلك تعلم لغتهم اعرف جيدا قصتك ولكني أردتك أن تتكلم ولكنك فقدت كل ثروتك في المقامرة، لعنة الله على القمار، فقدتها كلها وأصبحت مدينا لأغلب معارفك بعد رواج تجارتك ولذلك هربت وتطوعت في الجيش ودافعت عن موسكو كما تدعي ولكن لكثرة شكوي الدائنين وكثرة الدين جيء بك الى هنا الى سجون سيبيريا القاتلة فلو كان معك مال لاشتريت حريتك أيها التاجر الوقور، كما ترى يا عزيزي كلنا مذنبون وكلنا خاطئون ولكني اعرف أن هذه طبيعة نفسي هذا أنا لقد علمتني الحرب أشياء لن أنساها، علمتني أن البطل يموت سريعا ولكن الجبان يحيا كثيرا، اذكر مرة كنا نضرب بالمدفعية جموع الفرنسيين وكان معنا ضابط جبان ومعنا بعض الجنود كان أكثرهم شجعان وكان الفرنسيون يقتربون من المدافع كثيرا ونضربهم ويضربوننا ببنادقهم ويموت منهم كثيرا ويموت منا كذلك كانت الأمر أشبه بالانتحار الجماعي وعندما اقترب الفرنسيون لم أرى الضابط ولكن الجنود وقفوا وظلوا يدافعون عن المدفع بينما رأيت الضابط يرفع جندي ميت ويضع نفسه تحت جسد هذا الجندي الميت الذي كان يوبخه طوال الوقت بالمناسبة بينما ندافع نحن عن المدفع لقد أصبت يومها برصاصة أفقدتني الوعي كانت إصابة بالغة في بطني وبعد أن شفيت رأيت هذا الضابط حي يرزق بل وملتحق برأسه أركان الحرب لبسالته وشجاعته، هذا هو الدرس الكبير الذي تعلمته جيدا في هذه الحرب اللعينة الجبان المحتال هو الي يفوز في عالمنا أيها القوم، أنظروا لقد اعد العبد الجديد الأرانب يا له من خادم نافع فلنأكل جميعا هيا.

كان أيال قد اعد الطعام راغبا في أن ينال رضاء هؤلاء الرجال حتى يعلموه الصيد بتلك البندقية وهو لا يعرف أن أحدهم على وشك تدمير عالمه وأحلامه كلها.

بعدما أنهو طعامهم قال ألكسندر.
- أنه لطعام شهي، هل ترون ماذا صنع خادمي، سيكون ذو نفع شديد هناك في المدينة عندما أوفر له كل الأدوات المتحضرة.
- لن اسمح لك يا ألكسندر أن تأخذ هذا الفتى، أتركه وشأنه.
- اسمع يا ديمتري، اسمع يا صديقي، لا أحد في هذه الدنيا يحول بيني وبين ما أريده، سوف أخذ ما أريده دون إذن من أحد.
- لن تأخذه، اسمع جيدا أنا من خططت للهروب ونجحت بوعدي لكم، قلت لكم سنهرب وهربنا، أنا سبب حريتك يا ألكسندر ولن اسمح لك بسلبك لحرية أنسأن مسالم هكذا. قال ديمتري وهو غاضب جدا.
- حسنا يا صديقي لن أخذه رغم إرادتك اهدأ، والآن اسأله لماذا يجلس هنا بجوارنا بتلك الوداعة، أراه ينظر لتلك البندقية بتطلع شديد.
- أنه يرغب في تعلم الصيد بها. قال ديميتري.
- أترى أنه يريد أن ينضم الى عالم التحضر، لماذا تريد أن تحرمه هذا الميزة، عندما أخذه سأعلمه كل شيء ولكن قبل أي شيء سأعلمه كيف يكون عبدا، أنت تحرمه أن يكون رجل في القرن التاسع عشر قرن التقدم والرقي، هذا الفتى لم يسكن في مبني من الطوب أبدا، لم يرى قصورا في حياته، لم يركب عربة تجرها الخيول ولم يسمع البيانو ولم يشاهد حفلة من حفلات الشاي في موسكو ولم يشاهد حفلة راقصة بعد، عندما كنت جندي شاهدت حفلة من حفلات الرقص أقيمت بعد انتصارنا في واترلو دعي اليها كل فتيات الأغنياء في البلدات المجاورة والبعيدة عن معسكرنا ورقص الضباط معهم وكان منظر مبدعا، أنت تحرم هذا الفتى أن يرى العالم المتحضر يا ديمتري، ولكن كن على ثقة أنني لن أخذه رغما عنك.

*****

النهاية.

مرت ثلاثة أيام لم يعود فيها أيال الى المنزل، شعرت امه بالحسرة في بادئ الأمر من ردة فعل ابنها حينما ذهبت لتحمل عنه الغزالة، كانت تتذكر تلك النظرة الحقيرة التي نظرها أيال اليها، كانت نظرة تخلو من أي قدر من الحنان أو أي شعور طيب، لم تكن تشعر أن هذا الرجل الذي أصبح غريب هو ابنها ولكنها أم في نهاية المطاف فبعد مضي أول ليلة بكت لفراق ابنها وتحدثت مع أبيه أن يذهب ويحضره من قلب الغابة فلم يتجاوب معها زوجها وقال لها اتركيه سيعود حينما يريد العودة.

كان أهل البلدة قد ارتابوا كثيرا وأصابهم الرعب من هذه الأصوات العالية في قلب الغابة وكانت سيانا تقول.

- أخشى من هذا الصوت كثيرا، أخشاه أكثر من الدبة.

كانت الوحيدة التي تعرف ما هو هذا الصوت هي إيتا فهي قد سمعت صوت البنادق في المنطقة التي كانت تعيش فيها مع اخوها منشاري شرحت ما تعرف لزوجها وقالت لابد أنهم قوم من خلف الجبل جاؤوا للصيد أو شيء من هذا القبيل ولكنه فضل عدم ذكر أي من ذلك لأيتال وسيانا وذهب أهيال متخفيا الى الغابة ليراقب هؤلاء القوم وأقترب منهم وسمع أصواتهم ولكنه تفاجئ كثيرا وظهرت على وجهه كل علامات الضجر والغضب وكاد أن يندفع صوب الرجال ولكنه سمع صوت تلك البندقية ورأي ماذا صنعت في أرنب كان يجري على مرمى البصر، لقد رأي أهيال ابن أخيه مربوط من يديه ويمسك الرجل صاحب البندقية طرف الحبل، أنه مربط كحيوان مسلوب الإرادة، كاد أهيال أن يندفع اليهم ولكنه عندما سمع صوت البندقية علم أن عليه الذهاب الى البلدة وإحضار عددا من الرجال حتى يخلص ابن أخيه من اسر هؤلاء الجبارين.

كان أيال يبكي فلقد استيقظ في اليوم الثاني بعد لقاء هؤلاء الرجال ليجد نفسه مقيدا بشدة من يده ويجد ديمتري الرجل الطيب الذي كان يعرف لغته قد قتل فقد قتله ألكسندر وهو نائم ومنذ ذلك الحين وهو مربوط من يده ويمسك ألكسندر بطرف الحبل ويجر أيال خلفه وعند الصيد يترك الحبل ليركض أيال ويحضر الأرانب التي صيده ككلب صيد مطيع ثم يعود الى سيده ويبدأ في تحضير الطعام ولكن لم ينتهي الأمر عند هذا الحد فقبل أن يجلس ألكسندر في أي مكان كان على أيال أن ينظفه ويزيل منه أوراق الشجر وكان عليه أيضا أن يصنع له حذاء من جلود الأرانب التي تم اصطيادها فكان ألكسندر يجلس جزع شجرة مكسورة ويجلس تحت قدميه أيال يحاول أن يصنع له الخف الذي يريده لأن الحذاء الذي يرتديه قد بلي ولم يكن أيال يفهم أي كلمة مما يقوله ألكسندر فكان ألكسندر يركله بقدمه كل مرة لا يفهمه فيها ويضربه على وجهه وقد بكى أيال كالأطفال بكى لأنه فقد كل كرامته ففي اليوم الثالث ذهب ألكسندر ليقضى حاجته وربط أيال بجواره في فرع شجرة وكانت الرائحة قذرة

بدرجة لا تطاق وبعد ما أنهى ألكسندر قضاء حاجته أشار الى أيال أن يخفي هذا الأثر المقيت وهذه الرائحة المميتة.

أصبح أيال عبدا مهينا لا يقدر على صنع أي شيء، كان يشعر بالمهانة الشديدة لكل كلمات ألكسندر له لم يع منها كلمة واحدة ولكنه يعرف أنها كلها كلمات قذرة كقذارة قائلها ولأنه كان يرفق كلماته بلكمات وضربات في كل أنحاء الجسد، كان ألكسندر يعرف ما يصنع جيدا، هو يريد أن يحول أيال من أنسأن له إرادة الى عبدا مطيعا، كان يضربه سواء كان ما يصنعه جيدا أو سيئا كان يريد من أيال أن يخشاه يهابه وكان يعلم أن أيال سيحاول الهرب وكان مستعدا لذلك.

تحرك ألكسندر ومع جوزيف الذي خاف على حياته كثيرا بعد موت ديمتري ولم يعترض على أفعال ألكسندر لأنه عرف أنه أمام رجل لا توقفه القوانيين ولا الأخلاق ليس له رادع ولا ضمير. كانوا يتحركوا تجاه الجبل وعرف حينها ألكسندر أن أيال سيحاول الهرب كلما اقتربوا من الجبل فعمر بندقيته ووضعها على كتفه وامسك خنجره في يده وكان معه فرعا اخضرا صغيرا رفيعا من شجرة يلوح به في الهواء كسوط قصير وكان يتحرك في الهواء في ليونة وكان ألكسندر يمشي ويجر خلفه أيال وعندما يمشي أيال ببطء كان ألكسندر يجذبه فجأة فيندفع الى الأمام بسرعة ويقع أرضا بعض المرات وكان ألكسندر يسبه ويلعنه وبعدما جذبه بشدة ذات مرة تدحرج أيال أرضا فجاء ألكسندر ثم ضربه ضربا شديدا كان أيال يخفي وجهه بذراعيه خوفا من هذا الغاضب الجائر فتمادى ألكسندر في الضرب ثم بثق عليه فشعر أيال بالمهانة الشديدة وفكر أن لا بد أن يهرب مهما كلفه هذا الأمر وعرف ألكسندر بمكره أن أيال سيهرب فترك الحبل عن قصد فركض حينها أيال بكل ما أوتي من قوة ولكن ألكسندر أمسك البندقية دون أن يصدر أي تحذير واطلق طلقة على قدم أيال فأصابته في قدمه اليسرى.

تدحرج أيال على الأرض وهو يتألم بصوت عال وصل الى قلب البلدة واخترق الصوت قلبه امه فصاحت بأبيه أن يذهب مع أيال فقال الذي لم

يكن في داع ليستعجله أحد قال إنه سيحضر ابنه وأنه كان يراقبه كل ليلة وقال لها أن سيحضره.

جرح أيال في قدمه اليسرى وبدأ الدم يخرج من الخف وكان أيال يتألم كثيرا وعند ذلك جاء ألكسندر وربطه في جذع شجرة ونذع عنه ملابسه وبدأ يضربه بهذا الفرع الأخضر الذي في يده ويقذفه بالحذاء البالي الذي كان يحمله ويبثق عليه ويركله في بطنه ويضربه في وجهه بشدة.

بكى أيال كثير تمنى أن تعود الأيام الى الخلف، تمنى أن يفيق من هذا الكابوس المزعج، تمنى أن يرى أولنا، أن يحبها أن ينظر اليها ويذوق حلاوة تلك النظرة في قلبه، تمنى أن يقف أمامها ويقول له أنا احبك يا أولنا، لا اهتم أن كنت افضل صائد في القرية أم لا بل أتمنى أن احبك وأتزوجك الى نهاية عمرى، تمنى أنه لو باح لها بحبه وبمشاعره تمنى أنه لم يفوت فرصة للنظر اليها والاستمتاع بتلك اللذة التي كان يذوقها في قلبه، تمنى أن يرجع لأبيه ويعتذر له، تمنى أنه لو كان صبورا اكثر في الصيد فلو عادت به الأيام لم يكن يمل الصيد حتى وأن لم يصطاد لمدة شهرا فهو مازال في البداية فكما قال له جده امهر الصائدين يعودون في البداية خالي الوفاض من الغابة، تمنى أنه لو يدفع يد امه حينما جاءت له لتحمل عنه الغزالة، اشتاق لجلستها بجواره وهي تقول له يا صغيري، ندم كثيرا على صيد تلك الغزالة وخيانة السر والاتفاق مع أبيه حول صيد الغزلان.

مرت كل لحظات الندم أمام عينه وبكى بشدة، بكي كما بكى الكلب الأصفر حينما كان بين فكي المصيدة تذكر هذا المنظر جيدا تذكر كلبه الأصفر وهو يبكي والدموع تنهمر على فروه الأصفر الناعم ورقبته تحت فرع الشجرة حتى كان أن يموت ثم دفع أبيه الفرع بقدمه وتحرر الكلب ولكن أين أبي الآن لقد خنت سره واثبت أني اهتم بمجدي وسمعتي أكثر من أي شيئا أخر، لم يأتمن أبي أي شخص أخر على سر صيد الغزلان وأتمنني أنا ولم أكن عند حسن ظنه.

كان أيال يفكر في كل هذا بينما يكيل له ألكسندر اللعنات والضربات وهو مقيد في جزع الشجرة بينما هرب جوزيف وصرح لألكسندر بأنه قد فقد عقله وأنه لن ينجو من فعلته.

ظل ألكسندر يضرب أيال ويشتمه ولم يعبأ بأن قدمه تقطر دما وسمع الكسندر حينها قدوم بعض الأشخاص اليه ولكنه لم يرى أي احد ولكنه على يقين من وجود بعضهم خلف الأشجار فرجع الى الخلف وأمسك ببندقيته وصوبها تجاه الأشجار فخرج أهيال بسرعة من بين الأشجار وركض الى شجرة قريبة وأطلق حينها ألكسندر طلقة نحو أهيال الذي اختفي بسرعة خلف شجرة أخرى ونظر أيتال فوجد أن الكسندر يحاول أن يعمر بندقيته بسرعة فأخرج خنجره وقذفه ناحية ألكسندر بقوة فأصاب ألكسندر في قدمه ولكنه ظل واقفا يتألم ولكن متماسك ويمسك ببندقيته بشدة ويصوبها تجاه أيتال وهو خائف ووقف وهو يرتعد أمام أيتال وكان يتألم بشدة فأمسك بالخنجر ونزعه من فخذه وألقاه خلفه وكان أيتال يقترب بحذر وكان ابنه في سعادة وعرفان لظهور أبيه لا يقدر بثمن ولكنه كان يخشى أن يموت أبيه بطلقة من هذه البندقية بيد هذا المتهور.
سقط ألكسندر أرضا وكان يزحف الى الخلف وهو جالس ويمسك بندقيته بينما يقترب أيتال من ابنه بحذر ليفك وثاقه وعندما أدر أيتال ظهره وبدأ في فك وثاق ابنه صوب ألكسندر طلقة تجاهه وسمع صوت تألم من أيتال وألكسندر على حد سواء فقد جاء جوزيف من الخلف وقتل ألكسندر بخنجر أيتال قتله في منظر غريب لكل الحاضرين ولم ينتبه أهيال وكاسكال لهذا كثير بل ركضا لأخيهم الملقي على الأرض فوجده مصاب في كتفه والدم ينزف منه فجاء جوزيف واخرج الرصاصة من كتف أيتال وتفقد قدم أيال ووجد أنها قد خدشت ولم تدخل الرصاصة فيها وعادوا جميعا الى البلدة ومعهم جوزيف يسند أيتال المصاب وقد وجد أهيال وكاسكال في جوزيف سيمة الطيبة فاستأنسوه لأنه هو من قتل ألكسندر وخلص أيتال من ألمه وأخرج منه قطعة النار التي اخترقت صدره وعندما خرجوا من الغابة ركضت سيانا الى زوجها وابنها وكان أولنا في الانتظار هي الأخرى.

اطمأنت سيانا على ابنها وتفقدت قدماه وبكت كثيرا لرؤيته هكذا وقال لها أيال.

- أنا اسف يا أمي.
- لا تأسف يا صغيري. ردت الأم وهي تحتض ابنها.

فرح أيال كثيرا لسماع هذه الكلمة مجددا وقبل رأس امه وبعد ذلك رأي أولنا تقف الى جانب مايانا أخته وكان الاثنتين يبكون بحرقة وعندما اقترب أيال من أولنا قال لها.

- أحبك يا أولنا وأريد أن أتزوجك.

فرحت أولنا كثيرا لهذا الحديث الجميل والنظرة التي في عيني أيال التي أخذتها بعيدا الى اسعد أحوالها.

أندهش الجميع من وجود جوزيف وكانت إيتا بين الجموع فتحدثت معه فقال لها أنه طيب ويريد أن يطمئن على الاثنين أيال وأيتال وصرح في نهاية اليوم قائلا لإيتا.

- أنا أريد أن أحيا هنا بينكم ولكن قبل كل شيء لابد أن نتخلص من هذه البندقية.

*****

تمت بحمد الله.

mohammedzaitoun@gmail.com